

تجديد الوعي
بالعالم الإسلامي
والتغيير الحضاري

قضايا ونظرات

تقرير ربع سنوي | العدد التاسع والعشرون | أبريل ٢٠٢٣

أبعاد إنسانية في السياسة والعلاقات الدولية

د. نادية محمود مصطفى

الصراع العالمي في الشرق الأقصى: المحركات والاستراتيجيات

شيماء بهاء الدين

تجدد المقاومة في الضفة الغربية: السمات والمسارات

محمد كمال محمد

البرازيل: من اليمين المتطرف إلى اليسار مجددًا

أحمد عبد الرحمن خليفة

الرياضة والسياسة والهوية: جدالات كأس العالم لكرة القدم ٢٠٢٢

إيمان علاء الدين

تجديد الوعي بالعالم الإسلامي والتغيير الحضاري

قضايا ونظرات

تقرير ربع سنوي

يصدر عن مركز الحضارة للدراسات والبحوث

العدد التاسع والعشرون - أبريل ٢٠٢٣

إشراف

أ.د / نادية مصطفى

مدير التحرير

د / مدحت ماهر

سكرتير التحرير

مروة يوسف

الموقع الإلكتروني: www.hadaracenter.com

المراسلات: alhadara1997@gmail.com

محتويات العدد

رؤية معرفية ٤

د. نادية مصطفى، أبعاد إنسانية في السياسة والعلاقات الدولية: بين التوظيف وتعدد المرجعيات والميزان

الحضاري ٥

شؤون إقليمية وعالمية ٢٣

عمر سمير، مبادرات مجتمعية شعبية تجاه الكوارث: نماذج من الشرق والغرب ٢٤

طارق جلال، مؤتمر المناخ في شرم الشيخ ٢٠٢٢: بين المنجز والمأمول ٣٣

إيمان علاء الدين، الرياضة والسياسة والهوية: جدالات كأس العالم لكرة القدم ٢٠٢٢ ٤٣

محمد كمال محمد، تجدد المقاومة في الضفة الغربية: السمات والمسارات ٥٠

أمنية عمر، اتجاهات الدراما في مصر (٢٠٢١/٢٠٢٢): بين الدولة والمجتمع ورأس المال ٦١

محمد علي إسماعيل، الطائفية وأزمة السياسة والاقتصاد في لبنان ٦٩

سارة أبو العزم، بوادر المجاعات في عدة دول: الأسباب، والدلالات ٧٥

عبد الرحمن عادل، عودة نتنياهو وإشكاليات الحكم في إسرائيل ٨٦

شيماء بهاء الدين، الصراع العالمي في الشرق الأقصى: المحركات، والاستراتيجيات ٩٥

أحمد عبد الرحمن خليفة، البرازيل: من اليمين المتطرف إلى اليسار مجددًا ١١١

عروض كتب ١٢١

د. آية عنان، صناعة علاقات دولية عالمية ١٢٢

يمنى صلاح، مدرسة كيوتو والعلاقات الدولية: محاولات غير غربية لنظام عالمي جديد ١٢٧

رؤية معرفية

أبعاد إنسانية في السياسة والعلاقات الدولية: بين التوظيف وتعدد المرجعيات والميزان الحضاري

أ. د. نادية محمود مصطفى*

مقدمة:

الكتابة عن "الإنسان" أو "الإنساني" مهمة صعبة مركبة إذا تحرينا ما يسمى "الموضوعية"؛ لأنه في الأساس "لا موضوعية" ابتداء فيما يتصل بالأمور الاجتماعية-الإنسانية بصفة عامة، ولأن الإنسان هو موضوع لمنظورات ورؤى متعددة المرجعيات. ومن ثم فإن مثل هذه الكتابة إما أن تكون ذاتية أو تكون نقدية حضارية، وكل منا لابد أن يكون له خبرة ذاتية مع هذا المفهوم (الإنسان) في سياقات طرحه المختلفة. كما أنني لي خبرة تخصصية نقدية حضارية أريد مشاركتها مع القارئ، وهي خبرة ذات انتماءات معرفية-فلسفية من ناحية، وتنعكس على الرؤى والمواقف من مفاهيم جدالية مثل مفهوم "الإنسان" من ناحية أخرى.

تزداد صعوبة الكتابة في الموضوع مع تعدد مستوياته وتداخلها؛ ابتداءً من "واقع السياسة والعلاقات الدولية"، التاريخية والمعاصرة على حد سواء، مروراً بالفلسفات والأفكار المقارنة حول الإنسان، وصولاً إلى تفعيل رؤية إسلامية حضارية، ميزاناً ومقياساً، لتغيير مأمول في حال الأمة والعالم، تغيير حضاري شامل ينطلق من: "الإنسان"، وفي قلبه "الإنسان"، وغايته "الإنسان".

ومن ثم؛ تطرح الورقة ثلاثة عناصر للموضوع: كيف؟ ولماذا يتم توظيف "الأنسنة" في الخطاب السياسي للدول الكبرى؟ وما هي الرؤى المقارنة الفكرية والفلسفية للإنسان غرباً وشرقاً التي تساعد على تفسير هذا الوضع الراهن الدولي لتوظيف "الإنسان"؟ وأخيراً: هل من رؤية كلية شاملة يستلزمها إحداث تغيير عالمي ليصبح النظام العالمي أكثر عدلاً وحرية ومساواة أي "أكثر إنسانية"؟

ومن ثم، فإن هذه العناصر الثلاثة للورقة إنما تجمع بين ثلاثة مداخل: مسألة الترويج لمفهوم أنسنة السياسة في الاستخدامات الدولية الراهنة من منطلق تخصصي واهتمامي، ومدخل الأعمدة الفكرية والفلسفية؛ ومن ثم التحليل المفاهيمي المقارن على صعيد الفكر السياسي الغربي والإسلامي، وأخيراً: رؤية حضارية إسلامية للمفهوم في سياقاته الاجتماعية والسياسية المعاصرة.

(١)

كل منا -أيًا كان موقعه أو مهنته أو مكانته أو طبقة أو انتماءاته... إلخ- يواجه سياقات تستدعي كلمة "الإنسان" و"الإنساني" ولو في مساحات وساحات متعددة المعاني.

سيل من الكلمات تموج بها كتب ومقالات فكرية أو علمية وخطب وتصريحات وتعليقات وبيانات رسمية أو غير رسمية، وملتقيات وتجمعات ومظاهرات عامة أو نوعية، احتفالات واحتفالات فرحة أو حزن... إنها كلمات: حقوق الإنسان، الأمن الإنساني، المشترك الإنساني، التدخل الدولي الإنساني، الحماية الدولية الإنسانية، القانون الدولي الإنساني، التنمية الإنسانية، العلوم الإنسانية، الخطاب الإنساني العالمي، الحضارة الإنسانية العالمية، أو البعد الإنساني للأمور المختلف... إنها كلمات ترد خلال الحروب أو السلام، خلال الصراع أو التعاون، خلال الأزمات العالمية أو الكوارث الطبيعية، خلال الحديث عن الهجرات القانونية أو غير الشرعية، خلال الحديث عن الدول

* أستاذ العلاقات الدولية المتفرغ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ومدير مركز الحضارة للدراسات والبحوث.

أو المجتمعات والجماعات، خلال الحديث عن الكبار الأغنياء أو الصغار الفقراء، خلال الحديث عن الشيوخ أو الشباب... إنه "الإنسان" مفردٌ ونواةٌ وجزئٌ "البشر" على اختلاف الأعراق والأقوام واللغات والأديان، هو الحاضر الغائب أحياناً، والحاضر بصراحة وجلاء أحياناً أخرى، أو الغائب تماماً في أحيان كثيرة، وتتدخل السياقات الزمانية والمكانية والمعرفية في تحديد درجة الحضور هذه أو درجة الغياب. مقابل ماذا؟ لمصلحة من؟ أو لأمن من؟

إذن كيف في عصر العولمة التي أسقطت بأدواتها حدود الزمان والمكان، يتلقَّى الإنسان "العادي" هذا السيل المتدفِّق من المواقف والأفكار حول نفسه ونظيره: "الإنسان"؟ بعبارة أخرى: ما هي حالة إدراك "الإنسان" المتعين لما يتصل بما يسمى "الإنسان" المتصور والعالم؟ إنها حالة مركبة وصعبة ومتداخلة، وقد يشوبها الاضطراب عند "الإنسان" المهتم، إذا لم يمتلك مهارات فك الاشتباك الفكري والسياسي، أو -وهو الأهم- لا يمتلك فطرة سوية وحكمة يقظة؛ حيث إن حالات "استدعاء الإنسان" ليست موحَّدة أو بريئة أو منزهة أو إيجابية دائماً كما يحلو للبعض الاعتقاد، فإن للعملة وجوهاً أخرى... والأمثلة الشارحة لذلك عديدة متدفقة إلى ما لا نهاية. فعلى سبيل المثال وليس الحصر، ومن واقع أحداث متتالية متراكمة معاصرة وراهنة، نلاحظ:

- استمرار وتزايد الحديث عن حماية البعد الإنساني في وضع الأراضي الفلسطينية المحتلة (الأصري، الحصار، الاعتداءات الإسرائيلية)... هل يكفي خطاب حقوق الإنسان الفلسطيني عوضاً عن "الحقوق السياسية" وغيرها في أرض فلسطين الوطن؟ وألا يعرض هذا الخطاب القضية الكبرى (التحرير والاستقلال) للاختزال؟ (وما معنى "الإنساني" في هذا السياق، وصلته بالسياسي، والحضاري)؟
- الحديث عن التدخل الدولي الإنساني في مناطق الصراعات المسلحة لحماية حقوق الإنسان من الانتهاك؛ سواء من النظم أو فيما بين الفرق المتصارعة... هل يتحقق بالفعل ويحمي "الإنسان" دون تمييز؟ أم يخضع ذلك التدخل لقيود وضوابط تبيّن انحيازاته الأيديولوجية وتوظيفه السياسي (البوسنة، رواندا وبوروندي) (اليمن، ليبيا، سوريا) (العراق، أفغانستان): (الإنساني في إطار الأيديولوجيا).
- حديث الدول الكبرى الغربية عن حقوق الإنسان في الحرية والمساواة في نظم لا تمارسها على النمط الغربي (إيران، أفغانستان) أو في نظم حليفة عميلة تخدم مصالح غربية... هل هو وسيلة للضغط السياسي أم لتغيير هذه النظم، أو وسيلة لتجميل الصورة أمام الرأي العام الغربي؟ (توظيفات الإنساني في الخطاب الدولي)
- الحديث عن حقوق الإنسان للأقليات المسلمة في الشرق (الصين، ميانمار، القوقاز، الهند) أو في الغرب الأوروبي بصفة خاصة: لماذا يصاحبه من جانب الدول الإسلامية حديث عدم التدخل في الشؤون الداخلية؟ هل هو حديث تقية أم تخاذل في النصره أم يأتي خوفاً من العواقب على المصالح مع الدول المعنية؟ (الإنساني في إطار موازين القوة المختلة).
- حديث أولويات الأمن القومي وتقديم حماية الدولة على المطالبة بحقوق الإنسان في: الحرية، والعمل والكرامة... هل هو حديث عن أولوية أمن الوطن ضد عدوان خارجي يستلزم تضامناً وتماسكاً داخلياً وتضحية يتحملها الجميع على قدم المساواة أم هو حديث عن أمن نظم حكم وحكام ومن والاهم من نخب ذات مصالح ولو على حساب حقوق وحرية غالبية الناس؟ (الإنساني ضمن جدلية الأمني والسياسي والحرية والاستبداد).
- حديث حقوق الإنسان في بيئة نظيفة صحية، هل يعني الشيء نفسه في الغرب المتقدم مقارنة بالجنوب المتخلف؟ فالمسئولية عن تلوث وتدهور البيئة لا تتطابق بين الجانبين، وبالمثل واجبات حماية البيئة... الإنسان على الكوكب مهدد بالفناء؛ سواء أكان في الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب... تتعدد الأسباب والموت واحد... (البيئة: قضية الإنسان وكوكب الأرض).

- هل إنسان عصر العولمة ثم عصر الذكاء الاصطناعي أكثر حظًا من إنسان ما قبل هذين العصرين أم أقل حظًا بل والأكثر تعرضًا لانتهاك حقوق أصيلة للإنسان (الخصوصية، الإبداع، المبادرة...)? فهل للإنسان حقوق فقط أم واجبات أيضًا؟ (الإنسان والإنساني في إطار المستقبل الذي تغزوه الأداة والتقنية).

- وأخيرًا تتعدد أنماط حقوق الإنسان النوعية؛ كحقوق: المرأة، الطفل، ذوي الإعاقة، المهمشين، الفقراء، السكان الأصليين... كما تتعدد أوجه حقوق الإنسان الفرعية (والتي تندرج في جملة الأمن الإنساني) وعلى رأسها الحقوق الثقافية والحضارية، إلى جانب حقوقه المادية في المسكن والمأكل والصحة والتعليم. وفي المقابل فإن "أمن الوطن والإقليم والسيادة"، والأمن القومي أو أمن الدول، ليس إلا الوجه الأول لعملة وجهها الآخر هو الأمن الإنساني.. ولكن واقع الحال، لا يشير إلى الجدل بين الوجهين في كل الحالات، ولكن أحيانًا كثيرة يشير إلى الصراع بينهما؛ وهو في جوهره صراع بين المادي من ناحية والقيمي الأخلاقي من ناحية أخرى. (إشكالية أمن الإنسان بين المادي والقيمي، والسياسي والأخلاقي، والتجزئة والمنظور الحضاري).

إن التدبر في جملة هذه النماذج والمسائل التي تتفرع عن كل منها أمثلة عديدة لا بد أن يُبرز المقولة التالية:

إن خطابات "الإنسان" جزئيًا أو كليًا، ليست إلا أحاديث متحيزة، والهدف وغاية المرام من كل منها ليس إيجابيًا بصورة مطلقة أو دائمة (كما يعتقد البعض لمجرد سماع كلمة "إنسان")، كما أن الحاضر الغائب في هذه الخطابات أن الإنسان ليس ذا حقوق فقط، ولكنه بالأساس عليه واجبات.

إذن ما الذي أصاب حالة خطابات الإنسان، سواء الفكرية-النظرية، أو السياسية العملية؟ الصادرة من الغرب أو الشرق أو الشمال أو الجنوب؛ من الرسي أو غير الرسي؟ وأما من ميزانٍ تستقيم به أمور الفهم والتدبر؟

(٢)

إن ذاكرتي العلمية والعملية المتراكمة -عبر عقود سابقة منذ ما يقرب من عقود أربعة- حبلت بكلمة "الإنساني"؛ سواء أكانت مجرد مفردة أو كانت مفهومًا أو مصطلحًا. وتتعدد السياقات والمناسبات والأحداث والتفاعلات التي استدعت خلالها هذه الكلمة. ورغم أن الكلمة صفةً مشتقة من "الإنسان" إلا أن ذلك "الإنسان" بدوره اسمٌ تتداعي على تحديد ماهيته وصفاته ووظائفه ومكانته، رؤى ومنظورات وفلسفات؛ سواءً من مرجعيات دينية أو وضعية علمانية. ومن ثم فإن كلمة "الإنسان" وتلك الصفة: "الإنساني" ليست محل إجماع أو توافق. ولذا، فإن ذاكرتي المتنوعة عن "الإنساني" ترصد وترسم خريطة متعددة المداخل لذلك "الإنسان" من حيث ماهيته وصفاته ونطاقاته ووظائفه ومكانته.

ومن أهم هذه المداخل -الحية في ذاكرتي- والتي تراكمت خبرات كل منها عبر أربعة عقود وحتى الآن؛ المداخل التالية:

- مدخل علم العلاقات الدولية الذي تخصصت فيه، ولقد وجدت فيه أن المنظورات المتجادلة تختلف أيضًا حول الإنسان والطبيعة الإنسانية وما هو إنساني وما هو مادي... ومن هذا المدخل تراكمت خبراتي في الدراسة النظرية وفي عملية التنظير لبناء منظور حضاري إسلامي. وإذا كان علم العلاقات الدولية هو علم دراسة شئون العالم؛ فإنه بهذا ينظر -أو يجنبغي أن ينظر- إلى الإنسان بكليته؛ إلى الإنسانية، ويتداخل في هذا مفهوم العالمية مع مفاهيم العولمة والخصوصية، والأحادية والمركزية المضيقتين في قبالة التعدد والتنوع الإنساني الكبير.

- مدخل القضايا العالمية المعاصرة؛ من التقليدية (مثل الصراعات المسلحة) إلى غير التقليدية (مثل قضايا المرأة، والبيئة، والفقر، والجريمة المنظمة)، وفي القلب من هذه القضايا كان يقفز دائمًا إلى الأولوية عندي: "الصراع العربي-الإسرائيلي". ويرتبط بمدخل

القضايا العالمية مدخل السياسات الخارجية المقارنة لدول كبرى أو إقليمية أو صغرى. فالسياسة الخارجية وقضاياها هي مستويات لدراسة العلاقات الدولية في إطار مستوى كلي شامل هو مستوى النظام الدولي؛ الذي يضم البشرية أو الإنسانية جمعاء.

• مدخل التاريخ المقارن، بين تواريخ الأمة الإسلامية وتواريخ الأمم الأخرى؛ سواء على مستوى التاريخ السياسي والعسكري أو التاريخ الاقتصادي أو التاريخ الثقافي الاجتماعي؛ وذلك على المستويين المتفاعلين: الداخلي والدولي، أو الكلي (العالمي) والجزئي (القطري والأمة).

• مدخل الفكر والفلسفات المقارنة؛ سواء من دوائر حضارية عربية إسلامية أو غيرها من الدوائر، والتي كان "الإنسان" موضوعاً لتجلياتها المتنوعة.

• وأخيراً، كان التأسيس القرآني، وما انبثق عنه من تأصيل مفكري وعلماء الأمة عن "الإنسان"؛ هو الميزان الذي احتكم إليه عقلي وقلبي ووجداني لكي أفكّ الاشتباك بين الرؤى المتعددة عن "الإنسان والإنساني"، التي تجادلت معها خبراتي عبر هذه المداخل.

تعددت على صعيد جميع هذه المداخل، نماذج خبرات هذا التفاعل الجدالي الذي تستدعيه ذاكرتي الآن، ويظل لبعض من هذه النماذج حضورها الأقوى من حيث الدلالة. وهذه النماذج لصيقة الصلة بأناس ذوي تأثير "إنساني" -مثل التأثير العلمي- على مسارى المهني والعلمي. وهي تدور في سياقات ووقائع متنوعة داخلية وإقليمية وعالمية؛ ومن ثم فهي تقدم مشاهد حية علمية وعملية، متتالية ومتراكمة: مشاهد في ساحات التعلم والتدريس والبحث، أو في ساحات الحوارات بين أهل الأديان والثقافات، أو في ساحات الجدالات بين ساسة ونشطاء من كافة الأطياف داخلياً وخارجياً، أو في ساحات مناظرات الإعلام والمحلي والعالمي حول القضايا الساخنة في أوطاننا أو على صعيد أمتنا والعالم.

ولقد كان من الصعب تحديد مجموعة مشاهد دالة دون الإحساس بأنني أستبعد ما لا يقل أهمية عنها... ولذا رأيت أنه من الأنسب أو الأكثر ملاءمة أن أسجل هنا مجموعة من الاستنتاجات التي خلصت فيها من خبراتي المتراكمة. وهي التي وردت مجتمعة في محاضرة قدمتها في ٢٠٠٦ في مناسبة علمية وإنسانية شديدة الأهمية والدلالة منذ سبعة عشر عاماً^(١). ورغم مرور هذه الأعوام ما زال لهذه الاستنتاجات دلالتها المعرفية، الفكرية، النظرية، الحركية، على الأقل بالنسبة لي. فما يهمني ليس بيان كيف تختلف التقديرات حول الإنسان ولكن الأهم، من وجهة نظري، هو فهم لماذا تحدث الاختلافات أصلاً؟

(٣)

كان عنوان المحاضرة المشار إليها هو "أنسنة السياسة"^(٢)، وهو عنوان جذاب في ذاته، ويستدعي للإجابة عنه والحديث فيه أبعداً حضارية ونظرية وحركية.

(١) إن طرح مثل هذا العنوان في مؤتمر دولي، موضوعه "تنميتنا والخطاب الإنساني العالمي"، يستدعي ابتداءً سؤاليين أساسيين: ألم تكن السياسة إنسانية؟ وكيف ولماذا؟ ووفق منظور من نقول إنها إنسانية أو غير إنسانية؟ أو نستدعي أنسنتها باعتبار الأنسنة عملية إضافة هذا البعد إلى السياسة؟ السؤال الثاني: هل يمكن أن تصبح السياسة إنسانية؟ وكيف ولماذا أيضاً؟ وأيضاً: وفق منظور من، ووفق

(١) نادبة مصطفى. أنسنة السياسة، (في) سعيد خالد الحسن (محرر)، نظرات استشرافية في حصيلة قرن غابر: مناقشات حول أعمال مؤتمر تنميتنا والخطاب الإنساني العالمي وما دار حولها من نقاشات، (الرباط: مؤسسة خالد الحسن، مركز الدراسات والأبحاث، ٢٠١١).

(٢) النص الكامل لهذه المحاضرة منقولاً عن المرجع السابق، مع إضافة هوامش وبعض التحرير الشكلي.

أي شروط؟

هذان السؤالان بدورهما لا بد أن يفرضا سؤالاً أعم وأشمل: مَنْ الذي يطرح السؤال؟ ولماذا يتم طرحه الآن (سواء بالنظر لواقع السياسة الدولية الراهن أو حالة علم السياسة)؟ ومن الذي يتحدث عن الأنسنة ويروج لها ويدعونا للتفكير فيها؟ ولماذا يفعل ذلك؟

في هذا المقام، وقبل أن أشرع في الإجابة من زوايا معرفية ونظرية وسياسية، لا بد وأن أسجل مقولة تلخص بعض أبعاد الواقع الراهن؛ وهي مقولة ذات وجهين: أن هناك دوائر أكاديمية وسياسية في الغرب-الآن ومنذ فترة ليست بعيدة- هي التي تستدعي "الإنساني" كصفة، وعلى أكثر من مستوى: حقوق الإنسان، التدخل الإنساني، الأمن الإنساني، التنمية الإنسانية، الإغاثة الإنسانية...

وفي المقابل، يأتي الوجه الآخر لهذه المقولة، فإن ساحات العالم غير الغربي تلمح بأشكالٍ متعددة من انتهاك الإنسان وحقوقه من جانب القوى الغربية، وباستخدام أدواتٍ عديدةٍ: عسكرية، واقتصادية، وثقافية. ناهيك بالطبع عن انتهاكات من نوعٍ آخر يتعرض لها الإنسان في الغرب ذاته تحت وطأة منظومة الحداثة الغربية.

ومن ثمّ، وعلى ضوء وجهي المقولة، يبدو لنا أن الغربي الآن هو الداعي للإنساني، في حين أن غير الغربي اتهم بعدم العلمية، وعدم الرشادة، وعدم العقلانية، والافتقار إلى الحداثة وإلى التنوير؛ اتهم بذلك لأنه ما زال يستدعي القيم (وفي قلبها الإسلام أو الدين؛ والمقصود هو الإسلام) وما زالت مصادر معرفته وعلمه غير تلك التي تقبلها الحداثة، أي إنه اتهم بكل ما سبق لأنه كان "إنسانياً" وليس "مادياً"؛ سواء على المستوى المعرفي أو النظري، أو لأنه ينطلق من القيم ومن مصادر للمعرفة وللعلم مغايرة للواقع المادي الملموس، وما زال يتهم حتى الآن بأنه يحمل مصادر تهديد الإنسانية كلها نظراً لما يفرزه من أصولية متطرفة وغيرها وفق زعمهم^(١).

(٢) إن هذه المقولة ذات الوجهين تطرح أمامي قضية مهمة؛ وهي: قضية "الأنساق المعرفية المتقابلة" وتأثيراتها على منظورات السياسة فكراً وحركة. فالأنساق المعرفية صنفان: مادي (غربي، علماني)، وقيمي (إسلامي، توحيدي، وسطي)، وهنا لا بد أن أشير وأشير بالإسهام والجهد الذي بشرت وبادرت به أ.د. منى أبو الفضل في التأصيل لـ"مفهوم الأنساق المعرفية المتقابلة": فلم تستخدم أوصاف الإسلام والغربي، بل استخدمت: المادي والتوحيدي، واستخدمت الوسطي والمتأرجح^(٢). ومن المهم كذلك في هذا المقام

(١) تسجل إصدارات برنامج حوار الحضارات (٢٠٠٢-٢٠٠٧)، ومركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات (٢٠٠٨-٢٠١٤)، حالة الجدل المتنوعة حول قضايا الحوار الساخنة في هذه المرحلة منذ ٢٠٠١، انظر على سبيل المثال:

- د. نادية محمود مصطفى (محرر): السياسة الأمريكية تجاه الإسلام والمسلمين: بين الأبعاد الاستراتيجية والأبعاد الثقافية، جامعة القاهرة: برنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٣.
- د. نادية محمود مصطفى، د. علا أبو زيد (محرران)، من خبرات حوار الحضارات، جامعة القاهرة: برنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٣.
- د. نادية محمود مصطفى (محرر)، مسارات وخبرات حوار الحضارات: رؤى متنوعة في عالم متغير، جامعة القاهرة: برنامج حوار الحضارات، ٢٠٠٤.
- د. نادية محمود مصطفى، د. علا أبو زيد (محرران): رؤى عربية وغربية في حوار الحضارات، جامعة القاهرة: برنامج حوار الحضارات ودار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة، ٢٠٠٤.
- د. نادية محمود مصطفى (محرر)، أوروبا وإدارة حوار الثقافات الأوروبية. نحو تفعيل رؤية عربية، أعمال المؤتمر الذي نظمه برنامج حوار الحضارات في أبريل ٢٠٠٥، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٨.
- (٢) د. نادية محمود مصطفى: بناء المنظور الحضاري في العلوم الاجتماعية والإنسانية، في: نادية محمود مصطفى، سيف الدين عبد الفتاح، ماجدة إبراهيم (تحرير)، التحول المعرفي والتغيير الحضاري: قراءة في منظومة فكر منى أبو الفضل، سلسلة قراءة في الفكر الحضاري لأعلام الأمة (٢)، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١١.

الإشارة إلى الجهد اللاحق للأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري فيما يتصل بـ"فقه التحيز" وما طرأ على هذا الفكر، فقد كان د. المسيري يتحدث عن النموذج المعرفي الغربي باعتباره العلماني المادي النفعي، في مقابل النموذج المعرفي الإسلامي، ثم تحدث لاحقاً عن النسق المعرفي العلماني في مقابل النموذج المعرفي الإنساني.

إن النسق المعرفي الغربي (العلماني-الحداثي-المادي)، والذي بات يشيع وصف العلماني له في الكتابات الغربية نفسها، وبالأخص كتابات علم السياسة، قد قاد عملية تشكيل العلوم الحديثة؛ ومن ثم فقد قاد هذا النسق المعرفي عمليات التفكير وإدارة السياسات على المستويات الداخلية والخارجية، سواء في الدول الغربية نفسها أو في الدول التي نقلت إليها هذه النماذج المعرفية والفكرية والسياسية سواء بطريقة إرادية عن طريق بعض النخب أو عنوة وقسراً.

إلا إنه يمكن ملاحظة ملمحين رئيسيين: الملمح الأول- وكما سبق وذكرت، استدعاء صفة الإنساني على مستوى الدراسات الدولية الآن، أما الملمح الثاني- أن هناك مراجعة كبيرة لحالة العلم الاجتماعي بصفة عامة وعلم السياسة بصفة خاصة وفرع العلاقات الدولية منها بصفة أخص. وإن أهم خصائص هذه المراجعة (الفكرية والنظرية والمنهجية) هو تجدد الاهتمام بالأبعاد القيمية والثقافية والحضارية على نحو أفرز الحديث (داخل الدوائر العلمية الغربية ذاتها) عن انتهاء "علمنة علم السياسة"، أو على الأقل "إعادة تعريف السياسي": أي إعادة تعريف مستوى التحليل؛ بعيداً عن المستويات التقليدية التي ركزت على الدولة القومية، واتجاهاً نحو مستويات تحليل أرحب من قبيل: الجماعة العالمية، أو المجتمع العالمي، أو المجتمع المدني العالمي. وكذلك إعادة تحديد نطاق العلم ليتسع ليشمل موضوعاتٍ جديدة، وألا يقتصر على الموضوعات التقليدية: السياسية والعسكرية والاقتصادية فقط^(١).

هذا النمط من المراجعة، الذي بدأ ونما في الدوائر العلمية الغربية منذ ما يقرب من العقدين، الجديد فيه هو تجدد الاهتمام بموضع "الدين" من دراسة العلاقات الدولية وانتقاده الشديد لحالة نفي الدين في ظل النموذج الواقعي من ناحية، ولحالة استدعاء الدين في أطروحات من قبيل "صدام الحضارات" وغيرها من الأطروحات التي يربط غالبها بين عودة ظهور دور الدين وبين مناخ الحرب الباردة الجديدة، وخطر السياسات الأصولية الدينية والصراعات الدموية ذات الأبعاد الدينية، وتهديد ما يسمى الإرهاب العالمي، وحالة الفوضى التي يعيشها العالم... إذأ فاستدعاء الدين يتم مصحوباً بنظرة سلبية، وهناك من ينقض هذا التوجه الرامي إلى الاقتصار على استدعاء الجوانب السلبية للدين فيدعو هذا التوجه إلى الاهتمام بالتقاليد الدينية والحضارية الكبرى يمكن أن يقود إلى إنجازات سياسية وعلمية وخلافه، بينما ظلت نظرية العلاقات الدولية صامته بغياً بشأنها. وبالتالي يدعو هذا التوجه ليس إلى مجرد تغيراتٍ أو تعديلات طفيفة في الأطر النظرية، ولكن النظر في كيف يمكن أن يصبح الدين إطاراً مرجعياً يسهم في التأصيل للعلاقات الدولية وحل مشكلاتها^(٢).

كذلك من أهم مخرجات عملية المراجعة هذه، التي تتم في أدبيات غربية رائدة في مجال علم العلاقات الدولية، والتي تعلن عن بداية مرحلة جديدة لنظرية العلاقات الدولية، الدعوة إلى أهمية تعدد المنظورات، ومن ثمّ الحاجة إلى منظورات حضارية مقارنة (غير غربية) حتى يصبح علم العلاقات الدولية علماً عالمياً^(٣).

(١) حول أبعاد هذه المراجعة انظر: د.نادية محمود مصطفى، مسار علم العلاقات الدولية بين جدال المنظورات الكبرى واختلاف النماذج المعرفية، (في) د.نادية محمود مصطفى (محرر)، العلاقات الدولية في عالم متغير: منظورات ومدخل مقارنة، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ٢٠١٦.

(٢) انظر على سبيل المثال:

- F. Petito, P. Hatzopoulos. Religion in International Relations: The Return from Exile. London: Palgrave Macmillan, 2004.

(3) Amitav Acharya, Barry Buzan. Re-imagining International Relations: World Orders in the Thought and Practice of Indian, Chinese, and Islamic Civilizations. Cambridge: Cambridge University Press, 2021.

(٣) كلُّ هذا يقودني إلى أن تجدد الاهتمام بالدين وبالقيم في العلاقات الدولية -بوصفها علمًا ومجالًا للممارسة- هو عملة ذات وجهين، وإن كانت تتمحور حول موضوع الإنسان بقيمه وثقافته وتستدعيه مرة أخرى إلى دائرة الاهتمام في السياسات، بعد أن كانت الاهتمامات مركزة على المصالح والدول والنظم فقط. إذًا فهذا الاستدعاء على مستوى الفكر والممارسة يجعلنا أمام معضلة؛ لأن الاستدعاء على مستوى الفكر والثقافة والقيم أحيانًا ما يُبرز آثارًا سلبية خاصة حين يُوظف لاستدعاء الصراعات والحروب بين الشعوب والأمم، وقد يراها اتجاه آخر أحيانًا أنها عامل للتقارب.

وفي الوقت نفسه، وعلى صعيد الواقع، كما نراه وكما نلمسه، نجد بالفعل أن الساحات المتفجرة الساخنة والدموية أو حتى الهادئة تنصدر فيها الأبعاد الدينية والثقافية التي تمسُّ الإنسان.

كلُّ هذا يجعلني أقول بأن استخدامات لفظ "أنسنة السياسة" الآن يجب أن تؤخذ في سياقاتها وأطرها التي ليست كلها ذات منحنى إيجابي. وبالتالي تجعلنا نفكر في: كيف نستطيع أن نقدم منظورنا في أنسنة السياسة في مواجهة المنظورات الأخرى والبرامج والسياسات الأخرى التي تتراوح في تناولها لهذا الأمر.

إذا كانت رؤيتي لأنسنة السياسة هي رؤيتي لعملية المراجعة لحالة العلم التي جددت الاهتمام بالدين والثقافة والقيم في الغرب: نظريًا وحركيًا، وانسابت منه إلى دوائر أخرى، بحيث نجد اليوم بعض الدوائر في أطراف الفكرية وجماعاتنا البحثية -وكانت شديدة الرفض لإدخال أي ما يتصل بالدين والثقافة في دراسة العلاقات الدولية- صارت تقول الآن بإمكانية ذلك؛ لأنه بات يحدث في الغرب.

إلا أنه يجب أن نسجل أن أنسنة السياسة كانت قائمة دائمًا وفق منظور حضاري إسلامي للسياسة. وهو القائم على النسق المعرفي التوحيدي (الإسلامي) الذي يتحدد فيه موضع الإنسان بالنسبة للخالق وللطبيعة على نحو يخالف النسق المعرفي المادي.

وتتعدد تجليات هذه الإنسانية أو هذه القيمية ابتداءً من المفاهيم إلى العمليات. فلنأخذ على سبيل المثال مفاهيم مثل: القوة والمصلحة ما بين منظور حضاري إسلامي وبين منظور واقعي برجماتي ذرائعي، وكذلك فلنأخذ مثالًا لمجموعة مفاهيم مثل الدعوة والتعارف والتدافع والجهاد في مقابل مفاهيم الصراع والتعاون وتوازن القوى، ولنضعها جميعًا في إطارٍ مقارنة مع مفاهيم المنظورات الأخرى لنعرف الفارق بين درجة قيمية أو إنسانية كل منظور من خلال التناول المقارن لهذه المفاهيم.

(٤) ويظلُّ طرقي السابق يفرض معضلة تستوجب أن نفكر فيها معًا، وتتلخص في: أن هناك فجوة بين النسق والأصل الذي نتحدث عن قيمه وعن إنسانيته وعالميته، وبين ما أضحي عليه ووقع حال الأمة وحال المسلمين على نحو يدعو للتساؤل: أين السياسة الإنسانية في هذا العالم؟! سواء من جانب النظم أو ما أضحي عليه نمط تفاعلات البشر ذاتهم.

هذه المعضلة/ الفجوة: ما بين الأصل والنسق، وبين المفهوم المحمل بالإنسانية والعالمية في الرسالة كدعوة عالمية في جهة، وبين واقع المسلمين أنفسهم في الجهة الأخرى، وقبل أن نتحدث عن سياسات الآخرين تجاهنا.. هذه الفجوة/ المعضلة تستوجب علينا التفكير معًا حول دور القيم ووظائفها، ومن ثم علاقتها بالإنسان: هل هي مجرد مثاليات مجردة؟ أم يجب أن تكون حافزًا على التغيير أيضًا نحو عالم أكثر إنسانية؟ بعبارة أخرى: أحاول أن أنتقل من مستوى القيم المجردة إلى مستوى القيم بوصفها مبعثًا للمصلحة يحقق وجودها مصالح فعلية، وأن تكون القيم حافزًا على التغيير نحو عالم أكثر إنسانية، وليست مجرد مثاليات. وبالتالي: كيف يتحقق هذا الانطلاق من القيم إلى مجال الحركة لتحقيق المصلحة وليس مجرد الاقتصار على ذكر شعارات أو مثاليات أو ما ينبغي، والقيم مهمة في حد ذاتها، ولكن لا يمكن أن يبقى اقتصار أهميتها على تجردها.

بالطبع لن نعدم إذا ما فكرنا معًا أن نجد كثيرًا من النماذج الفكرية (المعاصرة والحديثة والسابقة) التي تناولت في كتاباتها وتحليلاتها

كل ما يتصل بقوة المنظور الإسلامي الحضاري ونموذجه، وكيف يمكن أن يمثل مدخلاً للتغيير، ليس في المجتمعات الإسلامية فقط، ولكن على الصعيد العالمي أيضاً، وبالطبع لن أدخل في تفاصيل هذه النماذج الفكرية^(١)، ولكن الأهم من وجهة نظري هو أن أتوقف عند الإشكاليتين الأساسيتين التاليتين:

الإشكالية الأولى- أن الأنسنة الحقيقية للسياسة لن تتحقق إلا بتحقيق عالمية السياسة. وذلك بأن تساهم المنظورات الحضارية المتعددة في إرساء قيمها وتنفيذ هذه القيم على قدرٍ من التكافؤ، وعلى قدرٍ من التوازن فإذا كان المستشار البشري في المحاضرة الافتتاحية لهذا المؤتمر قد تحدث عن التوازن بوصفه شرطاً أساسياً حتى نستطيع أن نتحدث عن مشترك إنساني أساسي، فإنه ليس هناك أخطر من احتكار حضارة واحدة (علمًا، وحركة وسياسةً) لمفهوم "الإنسانية". وحيث إن مفهوم الإنسانية ليس مطلقًا، وبالتالي يختلف المفهوم من حضارةٍ إلى أخرى؛ فإذا كان الغرب بدوائره الأكاديمية والسياسية يتحدث عن الإنسانية، فبأي مفهوم عن الإنسانية يتحدثون..؟ وكيف نستطيع نحن أن نتحدث عن مفهوم مقارن عن الإنسانية من منطلقات قيمية وحضارية أخرى؟

ثانية هاتين الإشكاليتين تتمثل في: خطورة الثنائيات التي نقع فيها (العقل/الوحي- المادي/القيمي، الداخلة/الخارج، المطلق/النسي، الواقع/المثال، الثابت/المتغير)، وخطورتها على وعي الإنسان وتكامله واتساقه، ومن ثم إنسانيته، والتي لا يمكن أن تتحقق واحدة (أو طرفٌ منها) دون الأخرى.

فإذا كانت الحضارة الغربية لم تجد حلولاً لمشاكلها من داخلها فقط، وإذا كان منظور حضاري قيمي إسلامي قادرًا على أن يمثل مدخلاً من مداخل إصلاح النظام العالمي، بل وعليه واجب تقديم الحلول لمشاكل العالم الراهن (على المستوى الفكري وعلى المستوى العلمي) بقدر الإمكان، ليحقق إنسانية السياسة داخليًا وخارجيًا انطلاقًا من مفهوم الإسلام عن "الإنسان"، إلا أنه تظل الفجوة التي سبقت الإشارة إليها تطل علينا؛ إنها الفجوة بين: الأصل والتراث وبين الواقع القائم. بمعنى آخر: إذا كان كل نظام إنساني واجتماعي يحاسب في ضوء نتائج تطبيقه -ليس الماضية منها وإنما الحاضرة أيضًا- فإن التحدي أمام المسلمين هو أن يعثروا على الرابطة بين الأصل وبين الواقع: الأول بتماسكه وحيويته، والثاني بشوائبه. كذلك عليهم أن يحاكموا إنجازات الغرب ويبينوا كيف أنها غير نهائية وغير مطلقة وغير عالمية.

وكيف أن على الغرب أن يبحث في خارجه عن نماذج لكبح غلو ماديته، بينما يقدم الإسلام تلك الكوابح؛ لأنه لا يفصل بين القيمي الروحي وبين المادي المعيش.

وهنا أستدعي مقولة لـ "ميشيل بوازارد" كتبها في بداية الثمانينيات، في أحد كتبه التي نشرها اليونسكو، وهو الذي كتب كتابًا في نهاية السبعينيات عن "عالمية الإسلام" باللغة الفرنسية (Humanism de Islam)، ثم ترجم للإنجليزية بعد عدة أعوام تحت عنوان شديد الجاذبية The Jihad: a universal commitment to peace، ويقول "بوازارد" في هذا الكتاب (وأراه قائمًا حتى الآن منذ بداية الثمانينيات): "قد لا تبدو الظروف الراهنة ملائمة لظاهرة تأكيد الذات الإسلامية؛ فالتذكير المتكرر بالأخلاق وبالعدالة والإنصاف يشبه الضرب على حديد بارد في محيط عالمي موصوم بالتكالب المسعور على الماديات، وبالبحث اللاهف على التفوق السياسي والاقتصادي، بل والثقافي. فضلًا عن ذلك، فالمهمة ستكون عويصة داخل الأمة الإسلامية نفسها التي قطع التاريخ أوصالها والمتكونة من مجتمعات جزأتها إلى مستويات مختلفة؛ جزأتها ثنائيات نشأت من دخول الأفكار الأجنبية التي لم تهضم، وخاصة على مستوى الشباب". هذا ما قاله "ميشيل بوازارد" في بداية الثمانينيات.

(١) انظر نموذج: د. حامد ربيع، د. منى أبو الفضل، د. عبد الوهاب المسيري، د. أحمد داود أوغلو.

ويقول أيضًا: على الإسلام أن يتقدم إلى العالم برسائلته الخاصة، بل بما عنده من مختلف إسهاماته الممكنة للمستقبل؛ حتى يوضح استعداده لجمع -لا لخلط- المبادئ والمواقف التي جزأتها الحضارة المعاصرة كل التجزئة. لن أفيض في ذكر أمثلة أخرى، لمفكرين عرب ومسلمين، ويكفي هذا لنقول: "وشهد شاهد من أهلها".

أخيرًا، وعلى ضوء الطرح السابق، لعلي يمكنني القول إن جهود الجماعة البحثية في مصر التي أنجزت مشروع العلاقات الدولية في الإسلام في عقد من الزمان (من ١٩٨٦-١٩٩٦)، والتي والت بعد ذلك -وعلى مدار عقدين ونصف من الزمن (من ١٩٩٦- حتى الآن) عملية التدريس والبحث في العلوم السياسية من منظور إسلامي، والتي تابعت شبكة من الأنشطة الطلابية لتنمية الوعي بالأمة؛ مثل: نموذج منظمة المؤتمر الإسلامي "MOIC" (الذي طالبنا من منظمة المؤتمر الإسلامي نفسها ومن الإيسسكو رعايته ولم نتلقَ ردًا إيجابيًا بشأنه)، كما توالى العديد من الأنشطة للتثقيف الحضاري، وللتدريب والإعداد في مجال الرؤية الإسلامية للعالم، وللمناهج الإسلامية في العلوم الاجتماعية، يمكنني القول: إن هذه الجماعة البحثية التي قادت جهودها إصدارات: "أمي في العالم" و"الأمة في قرن"، وغيرها عندما تشارك بجهودها هذه في تأسيس خطاب إنساني يصدر من دائرة الحضارة العربية والإسلامية ومتجاوزًا مع غيره من الخطابات التي توصف أيضًا بالإنسانية ولكن من دوائر حضارية أخرى، وذلك لأن الإنساني ليس مفهومًا مطلقًا، ومن ثم فإن الحديث عن أنسنة السياسة لا بد وأن يسبقه تعريف: من يدعو إلى هذه الأنسنة؟ وكيف؟ وما هو مفهوم الأنسنة المراد الحديث عنه؟

أختم حديثي عن موضوع أنسنة السياسة بأني أراه يتلخص في كلمة واحدة: إن أنسنة السياسة -إذا ما حكمنا النظر في من يقوم بهذه الأنسنة- فإنها مفهوم ظاهره الرحمة وباطنه من قبلة العذاب.

إن المعنى الإيجابي لأنسنة السياسة -والذي يجب أن نُشجع عليه وأن نطقن إليه وأن نخشى من العواقب السلبية عليه- هو: مصالح الإنسان؛ وليس مصالح السلطة والأنظمة؛ لأن محنة الدولة القطرية -مثلا- وعجزها عن حماية الأمن القومي في عالمنا الثالث، وفاعلية المقاومة في هذا الإطار، يجب أن تفتح المجال أمام مستوى الحركات الشعبية وتحقيق التوازن بين التكوينات الاجتماعية لكل أمة. فالذي يهدد التوازن داخل وبين هذه التكوينات في حد ذاتها هو نفسه التهديد الموجه للإنسان المكون لها (أي لهذه التكوينات الاجتماعية).

وبالتالي، أعتقد أن الحديث عن أنسنة السياسة له شق إنساني حقيقةً يعاني منه الإنسان (ولكني أعتقد أنه يفسح المجال لأدوات تدخل عديدة في دوائرها؛ تستهدف الإنسان وتهدف قدرته على المقاومة الحضارية لمشروعات الهيمنة عليه)، بعد أن تخطى الغرب -فكرًا وحركة- التركيز على مستوى الدول القومية (التي كان يقدها وحدةً للتحليل ووحدةً للتكوين) إلى مستويات أرحب وأكثر اتساعًا يكون الهدف المباشر فيها هو الإنسان الفرد في زمن العولمة (سواء كان فردًا بمفرده أم كان متعملاً ومنتمياً إلى جماعاتٍ عبر قومية أو متخيلة "virtual")، فهذا الإنسان على الرغم من محاولته الاستقواء بالتكنولوجيا الحديثة يكونُ ضعيفًا في أماكن كثيرة ومعرضًا للاختراق بصفة كبيرة.

هناك وجهان لأنسنة السياسة: أحدهما يهدف إلى كسر ما تبقى من قدرة على المقاومة، دون أن ننظر إليها من وجهة مقولات دوائر غربية سياسية عن المقاومة، ولكن في رداء قيمي -أخلاقي- إنساني، يدعى العالمية. والثاني هو أنسنة السياسة ليس دفاعًا عن مصالح وطنية ضيقة أو مصالح نظم أو نخب محددة، ولكن لحماية مصالح الشعوب.

وبالتالي يظل محور المقاومة هو "الإنسان"، ولهذا نفهم لماذا يتم الآن يتم تخطي حدود الدولة القومية؟ لأنها لم تعد تمثل خطرًا، وأن ما يمثل خطرًا مستقبليًا على استمرار المقاومة هو الإنسان ب قيمه وثقافته وهويته، حيث إن الإنسان هو آخر خطوط الدفاع لدينا، الإنسان في جماعة وليس منفردًا: "رب لا تذرني فردًا"- الآية: ٨٩ من سورة الأنبياء.-

إن التدبر في أسباب الاختلافات النظرية والحركية حول ماهية وضع الإنسان في العلوم السياسية وحول توظيفه في الحركة السياسية (كما يتضح مما سبق) إنما يرتكن في شقه الحدائي الغربي إلى المفاهيم المقارنة للإنسان، وينطلق منها: من هو الإنسان وفق الفلسفات الحديثة المقارنة المنبثقة عن النموذج المعرفي الوضعي الحدائي؟ وهذه الفلسفات تقع في مقابلة مع الرؤية الإسلامية عن الإنسان التي تستند على نموذج معرفي قيمي أخلاقي.

لقد اجتمعت المفكرون والفلاسفة في التأصيل المقارن لمفهوم الإنسان: ماهيته وطبيعته ومآلاته ودلالته بالنسبة للتجمع البشري والسياسي. والاختلافات بين هذه الاجتهادات - كما سبق القول - هي التي تساعد على فهم المفارقات حول الأبعاد الإنسانية الدولية المشار إلى نماذجها من قبل. ومن نماذج هذه الاجتهادات ما يلي:

يقول عباس العقاد في مقدمة كتابه "الإنسان والقرآن": "إنسان القرآن هو إنسان القرن العشرين، ولعل مكانه في هذا القرن أوفق وأوثق من أمكنته في كثير من القرون الماضية؛ لأن القرون الماضية لم تلجئ الإنسان إلى البحث عن مكانه في الوجود كله، وعن مكانه بين الخلائق الحية على هذه الأرض، وبين أبناء نوعه وأبناء الجماعة التي يعيش فيها من ذلك النوع، وبين كل نسبة ظاهرة أو خفية ينتهي إليها، كما ألجأه إلى ذلك كله هذا القرن العشرون.."

قديمًا كان الحكماء يجعلون شعارهم في نصيحة الإنسان: "اعرف نفسك!". وإنها لنصيحة قد ترادف سؤالهم: من أنت؟ أو سؤالهم: ما اسمك؟ غير أن الإنسان إذا أجابه فإنما يجيبه باسم "باطني" يعرفه بملامح وجدانه وقسمات ضميره، ولا يقف عند تعريفه بالاسم الذي يختار اعتساقًا من بضعة حروف..

وهو على أية حال سؤال إلى "شخص" بعد شخص، قد يسمعه عشرون في الحجرة الواحدة ويجيبون عليه عشرين جوابًا متفرقات.. وقديمًا كانوا يزعمون أن أبا الهول كان يلقي سؤاله، فيهلك من لم يعرف جوابه. وكان سؤالاً عن الحيوان الذي يمشي على أربع في الصباح، وعلى اثنتين عند الظهيرة، وعلى ثلاث عند المساء... فكان سؤالهم لغزًا من ألغاز الأقدمين عن الإنسان في إطوار عمره، بين الطفل الذي يحب على أربع، والفتي الذي يعتدل على قدمين، والشيخ الذي يتحامل على عصاه، وهو لغز شبيه بطفولة الإنسان كله... لا تتعد المسافة بين جهله وعلمه ولا بين الهلاك فيه والنجاة.

إلا أن القرن العشرين جمع الأسئلة، فلم يدع سؤالاً عن نسبة من نسب الإنسان لم يطلب جوابه، على نذير بالهلاك لمن جهل الجواب، وقد يكون هلاكًا للجسد والروح..

ما مكان الإنسان من الكون كله؟ ما مكانه من هذه السيارة الأرضية بين خلائقها الأحياء؟.. ما مكانه بين أبناء نوعه البشري؟ وما مكانه بين كل جماعة من هذا النوع الواحد، أو هذا النوع الذي يتألف من جملة أنواع يضمها عنوان "الإنسان"...

وهي أسئلة لا جواب لها في غير "عقيدة دينية" تجمع للإنسان صفوة عرفانه بدنياه وصفوة إيمانه بغيها المجهول... تجمع له زبدة الثقة بعقله، وزبدة الثقة بالحياة... حياته وحياة سائر الأحياء والأكوان...

إن القرن العشرين كان حقيقًا أن يسمى بعصر "الأيدولوجية"، أو عصر الحياة "على مبدأ وعقيدة": لأنه كلما ألقى على الإنسان سؤالاً من أسئلته تلك لم يعفه من جوابه، ولم يسلمه إلى جزء أهون من جزء الحيرة عند السكوت عليه... فإن يكن سكوتًا عن الأجوبة جميعًا فهو الهلاك المحقق بالأبدان والعقول. وليس أكثر من "المبادئ والعقائد" التي نسمع عنها في هذا القرن. ويسمونها بالمناهج و"الأيدولوجيات".

ولكن أجوبة القرن العشرين، مهما يكن من شأنها، فهي أجوبة العصر الذي يحل المشكلة الزمنية ولا يتعداها إلى مشكلة الأبد: مشكلة

ما مضى وما أتى من الدهر وما يأتي إلى غير نهاية، ولا جواب لهذه المشكلة غير العقيدة الدينية التي تؤمن بها الإنسانية، فلا يعني فيها إيمان فرد واحد بينه وبين ضميره، أو جواب سؤال واحد لمن يقول: من أنت؟ وماذا تعرف من نفسك بين عامة النفوس؟ قصارك إنك واحد منها بين ألوف الألوف، عاشوا ويعيشون وسيعيشون، ولا يسكتون عن تلك الأسئلة عامة، ولا أمان لهم ولا لك إن سكتوا عليها.

هذه العقيدة الدينية توجد كما ينبغي أن توجد، وإنما الضلالة فيمن يريد لها على غير سوائها الذي تستقيم عليه، ولا تقسيم على سواه.

هذه العقيدة الدينية لا توجد اليوم لتنبد غداً، ولا توجد على الأيام للعارفين دون الجاهلين، وللعاملين دون الخاملين، ولمن يطلبون الخير للناس دون من يطلبون الخير لأنفسهم، ولمن يعتقدون دراية ومحبة دون من يعتقدون تسليماً ورهبة، ولمن يسعون سعيهم إلى العلم والإيمان دون من يقعدون في مواطنهم منتظرين، وقد يقعدون وهم يجهلون أنهم قاعدون، لا يعلمون ما الخير وما المنتظر؟ وإن علموا أنهم منتظرون^(١).

يقول عبد الوهاب المسيري في مقدمة كتابه "دفاعاً عن الإنسان": "الإنسان ظاهرة فريدة مركبة، وكل إنسان فرد له تنوعه وتعرجاته وأسراره ومنحناه الخاص الذي يميزه عن بقية الجنس البشري، وبرغم إيماننا بأن ثمة إنسانية مشتركة تجمعنا جميعاً، فإن هذا لا يعني رفض الخصوصيات الإنسانية المختلفة. وهذه التركيبية الإنسانية التي لا حدود لها هي ما يميز الإنسان عن الكائنات الطبيعية/المادية، ويفصله عن عالم الطبيعة/المادة.

ولكن هناك من يرى عكس ذلك؛ إذ يذهب هؤلاء إلى أن الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة، فهو ظاهرة طبيعية/مادية لا يوجد ما يميزه عن عالم الطبيعة/المادة؛ ومن ثم فالقوانين الطبيعية الكامنة في المادة والتي تسري على الظواهر الطبيعية/المادية تسري عليه هو الآخر. وحسب هذه الرؤية المادية يمكن رد الإنسان إلى القوانين الطبيعية/المادية ويمكن تفسيره في كليته في إطارها، ويمكن دراسته من خلال نفس المناهج التي تستخدم في دراسة الظواهر الطبيعية/المادية. ولذا يحاول من يؤمنون بهذه الرؤية أن يستخدموا منهجاً واحداً سواء في تعاملهم مع الظواهر الطبيعية/المادية أو مع الظواهر الإنسانية؛ فيختزلون الإنسان إلى عنصر واحد أو عنصرين، ويسقطون كثيراً من الأبعاد المركبة التي تميزه عن غيره من الكائنات. وهم بإنكارهم تركيبته وفرادته ينكرون إنسانيته.

ونحن نذهب إلى أن أصحاب هذه الرؤية يستخدمون نماذج تحليلية مادية اختزالية لا تصلح في تفسير الظواهر الإنسانية، تاريخية كانت أم اجتماعية أم ثقافية، لأنه لتناول الظاهرة الإنسانية لا بد من الابتعاد عن الموضوعية المادية المتلقية، ولا بد من استخدام نماذج تحليلية مركبة، والنماذج المركبة هي النماذج التي يدخل في تركيبها عدد من العناصر المتنوعة المتداخلة بل والمتناقضة، منها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني والحضاري. والنموذج التحليلي المركب يمكنه الإحاطة بمعظم جوانب الظاهرة الإنسانية موضع الدراسة لأنه متعدد الأبعاد والمستويات. واستخدام النماذج المركبة في تصوري هو تعبير عن احترام إنسانية الإنسان وتركيبته، فهو في نهاية الأمر دفاع عن الإنسان ضد النزعات المادية (العدمية) التي تحاول تفكيكه وردة إلى ما هو دونه؛ أي قوانين المادة وحركتها^(٢).

وفي كتاب محرر عن صورة الإنسان بين المرجعيتين الإسلامية والغربية تقول المقدمة: "يتزايد في الآونة الأخيرة ظهور صيغ جديدة لنسج معالم الإنسان ضمن الإحداثيات الزمانية والمكانية التي تكتنفه في سياقه التاريخي. ومثل هذه الصيغ تنطلق في تحديد معالم الإنسان المنشود من خلال جملة معايير وضوابط مرجعية، العمل في كنفها هندسة عميقة لمقومات التعامل مع الإنسان بقدر ما ينحدر

(١) عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)، ص ٤-٥.

(٢) عبد الوهاب المسيري، دفاع عن الإنسان: دراسات نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٦).

نحو التعدّد والتنوّع، وهو ما يفترض مناهج من التعامل مع كلّ أنموذج في سياقاته المكانية والفكرية والحضارية.

وما من شك في أن ثمة مفارقة بينة بين الفكر الغربي والفكر العربي الإسلامي في النظر إلى الإنسان وتأسيس النظريات العلمية والعملية المتعلقة به؛ إذ برز في الفكر الغربي خللٌ منهجي وتصوري في تفحص الإنسان، مما أفقد الإنسان مكانته الاستخلافية المكرّمة؛ إذ اختزلت هذه النظريات الإنسان في بعده المادي، فعدا إنساناً طبيعياً مادياً، وأصبح يُعرّف في إطار مقولات صراعية حول الوظائف البيولوجية، والدوافع الغريزية، والمثيرات العصبية إلخ. وجاء تيار الأنسنة ليثبت مفهوم مركزية الإنسان في الكون (وخاصة الإنسان الأبيض)، وأن الإنسان هو مرجعية ذاته، وهو الوحيد القادر على إنتاج القيم والأخلاق؛ فأخلاق الإنسان هي ما يُقرره الإنسان، ثم جاء فكر ما بعد الحداثة ليقضي على المرجعية والمركز من خلال التفكيك والعدمية؛ مما يفسر حالة الإلحاد التي تجتاح المجتمعات الغربية خاصة. وتنثال الأسئلة والتساؤلات المتعلقة بالمفارقة بين الفكرين العربي والعربي الإسلامي، من مثل: ما المرجعية التي اتكأت عليها تيارات الفكر الغربي في إنتاج صورة الإنسان؟ وما المقاربات المعرفية التي نشأت في عالمنا العربي الإسلامي في إنتاج الصورة ذاتها؟

ولعلنا نلاحظ أن مجتمعاتنا قد غدت حقلاً للتصارع بين كل الأطروحات التي تسوّق وتشعر لصورة الإنسان؛ فهناك الصورة المتسلّلة من تراكمات التراث، التي عزّزت من مكانة التقاليد، واختزلت الوجود في صيغته المنصرمة من دون إقدام على التوليف الإجمالي بين لحظات الزمن الثلاث الماضي والحاضر والغد، فباتت صورة الإنسان تتنافى والمنهج الاستخلافي المؤسس للإنسان- الخليفة. وثمة نماذج الجدل بين أنصار الأنسنة المؤمنة وأنصار الأنسنة "الهيومانية" المتحرّرة من مرجعية الوحي. ومنها نماذج انبثقت عن تعامل تاريخي نقدي مع متعلّقات الموروث الثقافي والديني للذات أو الآخر المختلف، ونشأت نماذج فكرية بشحنات إيديولوجية غريبة عن الفضاء القيمي القرآني. ومنها مراجعات فكرية متشعبة، تحوّلت إلى حقل السجلات السياسية جعلت صورة الإنسان خاضعة للخيارات السياسية والإملاءات الوافدة، إلى درجة التعسّف على قراءة انصوص المرجعية من قرآن وسنة وسيرة، وما تعلّقت بها من أحكام شرعية، فتحولّ التشريع من الوحي إلى العقل، الإلهي إلى الإنساني، إلى درجة الوصول إلى تأسيس للنموذج الدنيوي للإنسان يثبت مفهوم تاريخانية النص القرآني، وتسلك إلى الأفكار والمناهج والرؤى ثلاثية التأسيس والتعقيل والتاريخ، وغدت الأوساط الثقافية والفكرية والتربوية تبحث في قضايا مهمة حول تشكيل العقل العربي تارة والمسلم تارة أخرى ضمن أسئلة محورية أهمها: ما أهم المراجعات الفكرية التي تمت حول صورة الإنسان في الفضائين: الغربي والعربي الإسلامي؟ وما الخلل المنهجي الذي اعتري مدرستي الاستدساح والأسقاط؟ وما تمثلاته في البيئة المجتمعية؟ وما السمات الأساسية للمنهج القويم الذي نحتاج إلى ممارسته لفك الاشتباك بين تراكمات التراث وقبضة الطارئ المتفوق بعدته المدنية والثقافية، والأحتفاء بخصوصية الزمان والمكان والفعل والمخاطب؟ وما المتطلبات اللازمة لتحقيق التمكن والاستيعاب والمراجعة والتجاوز؟

لقد أظهر الفكر الإسلامي في أصوله التأسيسية (القرآن الكريم والسنة النبوية) والفعل التراثي المتسق مع النص معالم مميزة لصورة الإنسان مفارقةً للرؤية الغربية، ومكانته في الرؤية الكلية، ومكانته في منظومة القيم العليا الحاكمة (التوحيد، والتزكية، والعمران)، ودوره الاستخلافي الذي كرمه الله به، وغائيته في هذا العالم، فجاءت هذه الصورة على مسافة واضحة تفصيله عن المتعالي المتجاوز على حد تعبير المسيري مما يمنحه الحرية المسؤولة، ولكته يشترك مع الكائنات في بعده المادي مما أسماه عبد المجيد النجار بوحدة التكوين، فهو تجليات مكونين: روعي/مادي، وبناء عليه، ثمة حاجة كبيرة إلى الكشف عن تجليات هذه الرؤية الإسلامية الحضارية في فعل الاستخلاف البشري في الأرض، وتبين انعكاساتها على بناء الشخصية الإسلامية القادرة على الفعل الحضاري.

إن صورة الإنسان كما يستهدفها الوحي الإلهي ويمارسها الهدي النبوي لا تفارق مكانة التكريم والتزكية، لجسمه وعقله وروحه، في المال والبنين والأسرة، وفي الفرد والمجتمع والأمة، حتى إننا نرى التزكية قيمة حاكمة علياً لا تنفك عن قيمة التوحيد وقيمة العمران. وبين هذه القيم الثلاث: التوحيد والتزكية والعمران من وشائج التداخل والتكامل ما يقدم للإنسان صورةً عن نفسه، تمتلئ بالثقة والقدرة على تحقيق مقاصد الحق من الخلق. والمقصد الأعظم من التشريع الرباني الحياة الإنسان في هذا العالم -كما يقول الطاهر بن عاشور- هو

جلب الصلاح ودرء الفساد، وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان ودفع فساد؛ فهو المهيمن على هذا العالم، وصلاح أحواله صلاح أحوال العالم. ولذلك ربطت مقاصد الرسالة الربانية الخاتمة بين تلاوة الكتاب، والتزكية، وتعليم الكتاب والحكمة. فعن التزكية التي يتحقق بها الإنسان في عقله ونفسه، تنبثق سائر أفعاله وتصرفاته وأساليب حياته، ومن دون هذه التزكية يختل بناء العمران البشري كما أراد الله، وتتوجه حركة الحياة والحضارة في اتجاهات تصادم قطرة الإنسان، وينتشر الفساد، ويسود الظلم، وتنعدم العدالة. فكيف نفهم نصوص الوحي الإلهي والهدي النبوي حول مفهوم التزكية، وقيمة التزكية وتكاملها مع القيم الأخرى، وانعكاسات هذه القيمة على صورة الإنسان في الفكر الإسلامي والنهوض الحضاري المنشود؟

لقد أسهمت النظريات الاجتماعية والفلسفية الغربية المادية في مسح الشخصية الإنسانية عامة، وحصرتها في بُعد أحادي كما عبّر عنه بعض المفكرين الغربيين، انطلاقاً من مركزية غربية استعمارية ترسخ صورة الإنسان الغربي المتفوق والأسسى. ونحسب أن البدائل المنشودة لهذه النظريات كامنة في النصّ القرآني عند استرجاع مفهوم الأدمية والتعارف والمشتراك الإنساني. وقد قدّم بعض المفكرين المحدثين والمعاصرين المسلمين تصورات معرفية وثقافية للإنسان بشكل عام والإنسان المسلم بشكل خاص ضمن مشروع حضاري يهدف إلى التخلص من قيود النظريات الغربية. ونذكر من هؤلاء المفكرين على سبيل المثال لا الحصر: الغزالي، وإقبال، ومالك بن نبي، والفاطوري، وعلي شريعتي، وبيجوفيتش، وجارودي، والمسيري، وطه عبد الرحمن، وعبد الحميد أبو سليمان إلخ. فهؤلاء تجمعهم مدرسة فكرية توحيدية تكاملية تستعيد صورة الإنسان بطبيعته الاستخلافية المزدوجة المادية/الروحية التي توظف مناهج مركبة. وكان لهذه الجهود موقعها في مثاقفة النظريات الحديثة والعودة إلى الذات، في سبيل تأسيس متن عربي إسلامي في التعامل مع الإنسان وتفحص ماهيته ومكانته ومقصدي وجوده مع توظيف نقدي رشيد للمنتج المعرفي البشري. وهذا يستدعي جهوداً جماعية في تفحص معالم المشاريع والبدائل المعرفية النهضوية الحاضرة في الساحة الفكرية المعاصرة، والكشف عن دورها في البناء الحضاري، وتلمس سمات المناهج التي تقترحها في سبيل رسم صورة الإنسان^(١).

بالرغم من اختلاف مداخل وبؤر تركيز ومنهجية هذه النماذج من الاجتهادات الفكرية الفلسفية النظرية والتطبيقية إلا أنها تتوافق على المقابلة بين صورتين للإنسان: مادية اختزالية، وأخرى ربانية قيمية، إذن هي اجتهادات تطرح ثنائيات متقابلة ذات تأثيرات على وضع الإنسان ودوره ووظيفته في منظومة الاجتماع البشري بصفة عامة والسياسي بصفة خاصة إلا أنها تتوافق من ناحية أخرى على أمر أكثر أهمية وهو أن الرؤية "الربانية" الإسلامية القيمية عن الإنسان تستبطن العلاجات اللازمة لأمراض الإنسانية من خلال تجاوز هذه الثنائيات النكدة. على أساس أن الرؤية الوضعية المادية للإنسان تختزل طبيعته وتظلمه وتسقط عليه فطرة الشر فقط. وهو الأمر الذي تنبثق عنه كل النظريات الغربية ذات الطبيعة الصراعية (الغاية تبرر الوسيلة، البقاء للأقوى، صراع اللعبة الصفرية، المصالح المادية محرّكة التاريخ...) التي تحكمت في العلم الاجتماعي والسياسات الغربية منذ بداية عصر النهضة وصعود وسيادة النموذج الحضاري الغربي وهيمنته بأسسه المعرفية والفلسفية والعلمية ذات التوجه المادي النفعي الوضعي... في حين أن تاريخ البديل المعرفي والعقدي والسياسي (الإسلامي) -والذي مني بالتراجع- لم يفتح ولم يسد العالم إلا من خلال "الأنسنة"؛ أنسنة سلوك كان مفقوداً في العالم حينذاك.

والجدير بالذكر أن الخطاب الغربي عن الإنسان ليس جميعه أسير الرؤية المادية الوضعية، ولكن للعملة وجهًا آخر قيمياً أخلاقياً، وإن ظل أسير العلمانية (بمعنى لا مرجعية دينية)؛ حيث إن الغرب ليس مصمماً أو واحداً -فلسفياً وفكرياً وسياسياً- فالتيارات المثالية أو القيمية بصفة عامة حاضرة دائماً في تاريخه قبل وبعد عصر النهضة، ولكن لم يقدر لها أن تحقق في السياق الحضاري الغربي التاريخي

(١) رائد عكاشة، عائشة الحضيري، المقدمة، (في) رائد عكاشة، عائشة الحضيري (محرران)، صورة الإنسان بين المرجعتين الإسلامية والغربية، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٢٠) ص ٩-١٢.

أو المعاصر هيمنة أو تفوقاً يحكم الواقع ويديره. ومن ناحية أخرى، يظل التمايز قائماً بينها وبين رؤية قيمية حضارية أخرى؛ وهي رؤية إسلامية تتخذ "الإسلام" شريعة وثقافة مرجعية لها. وقُدِّرَ لهذه الرؤية أن تسود في مرحلة وتؤسس حضارة زاهرة حاكمة مهيمنة حتى قدر لها، التراجع والتدهور في مقابل صعود حضارة أخرى نزعت إلى وانطلقت من نموذج مادي وضعي. وها هي الآن تشهد بدورها عوامل الاضمحلال والانحدار والبحث عن منقذات لها وللعالم في نموذج آخر.

خلاصة القول: هل توظيف الأنسنة يعني أنه لا سياسة إنسانية فعلية، بدون توظيف مفتعل يستهدف أموراً أخرى عدا الخير والأخلاق؟ هل القوة والمصلحة المادية نقيض لإصلاح الإنسان؟ هل حماية الإنسان لصيقة السلام ونافية للحرب؟ هل ثقافة السلام مرادفة لثقافة حماية الإنسان؟ هل كل دعوات المساواة التامة أو الحرية المطلقة في "صالح الإنسان"؟ هل كل تقدم مادي استهلاكي خطي صاعد ينفع "الإنسانية" أم يضرها؟ هل الدفاع عن دين أو قومية أو عرق أو أي خصوصية حضارية يضاد "الإنسانية"؟... إلخ من الأسئلة المنبثقة عن الثنائية المطلقة عند النظر إلى الإنسان (بكل مقوماته) في منظومة الاجتماع البشري والسياسي. وأقصد بمقومات الإنسان هنا كل ما يتصل به في منظومة: دين، قوم، عرق، ثقافة، هوية، مجتمع، جماعة، ناس، أهل، روح وعقل، ذات وآخر...

إن الإنسان في قلب العالم، منذ بداية الله سبحانه وتعالى الخليفة ولكن كيف صار أسيراً للثنائيات النكدة؟

(٥)

إذن هل من رؤية تساعد على تجاوز هذه الثنائيات جميعها؛ سواء على مستوى الواقع أو الفكر والفلسفة أو النظرية؟ أما من ميزان للفكر والحركة سلباً أو إيجاباً؟ أما من ميزان حضاري يحقق التناسق والتناغم بين هذه الثنائيات من منطلق ثابت عقدي يحدد المبادئ والأحكام؟ إنها المرجعية الإسلامية بأصولها ومصادرها الثابتة قرآنًا وسنة، وباجتهادات من ينطلقون منها عند إنتاج أفكارهم وعلومهم.

إن من قدموا المقارنات بين رؤى غربية ورؤية إسلامية انطلقوا من تأصيلات معمقة لمصادر وأبعاد وتجليات الرؤية الإسلامية "للإنسان"^(١)، وبدون الدخول في تفاصيل تتجاوز المستهدف هنا يكفي الإشارة باختصار إلى ثلاثة نماذج انقل عنها ما يلي:

والبداية لابد وأن تكون مع الإنسان في القرآن. فهو -في القرآن- إنسان متعدد الأبعاد والمستويات على نحو يخرجنا به القرآن من الثنائيات فيتضح لنا صورة كلية شاملة نزن بها كل حالة وكل موقف: "فقد ذُكِرَ لفظ "الإنسان" في القرآن فوق ٦٠ مرة، وجمعتها في كلمة "الناس" فوق ١٧٠ مرة، وبكلمة "الإنس" نحو ١٤ مرة، وبتعبير "الأناسي" مرة واحدة، وبتعبير "بني آدم" ثماني مرات،... وتعددت دلالاتها. وبالتالي في المواضع والسياقات القرآنية المختلفة، تتجلى لنا ثلاث دلالات رئيسية لمفهوم الإنسان (بتعبيراته المختلفة) في القرآن، على النحو الآتي:

(١) انظر مثلاً:

- نور الدين الخادمي، "الانتظام الإنساني بين المرجعتين الإسلامية والغربية"، (في) رائد عكاشة، عائشة الحضيبي (محرران)، صورة الإنسان بين المرجعتين الإسلامية والغربية، مرجع سابق.
 - العياشي ادواردي، حقيقة الإنسان: من ضيق التصور العقلاني إلى سعة الفهم الأخلاقي، المرجع السابق.
 - عبد الحليم مهورباشة، مفهوم الإنسان في العلوم الاجتماعية: من النموذج الدنيائي إلى النموذج الانتمائي، المرجع السابق.
 - عبد القادر عبد العالي، الإنسان القرآني: دراسة مقارنة بين خصائص الإنسان وصورته في الاجتهاد الإسلامي والرؤية الغربية، المرجع السابق.
- انظر أيضًا:
- عبد الحميد أبو سليمان، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية: المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٩).
 - د.فتحي الملكاوي، رؤية العالم: حضور وممارسات في الفكر والعلم والتعليم، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٢١).

١. الإنسان الأصلي: أي ذلك المخلوق المخصوص بصفات معينة الذي خلقه الله تعالى مكرّماً معلّماً؛ ليجعله في الأرض خليفة، ويستعمره فيها، ويحمّله أمانة التكليف، وهو آدم وبنوه المنتاسلون إلى يوم القيامة. وهو الكائن الكادح المخلوق في كبد، وفي أحسن تقويم. وأحسن تقويم هو "فطرة الله التي فطر الناس عليها"؛ وهي الإيمان وحب الخير والعمل به.

٢. الإنسان من حيث استعداداته النفسية والسلوكية الكامنة فيه: فقد ألهم الله تعالى نفسه الاستعداد للتقوى والصلاح والخير، والاستعداد للفجور والفساد والشر. وخلق الإنسان ضعيفاً، عجولاً، ظلوماً، جهولاً، هلوغاً، جزوعاً منوعاً، مجادلاً، وهو على نفسه بصيرة.

٣. الإنسان التاريخي: أو كما كشف عنه التاريخ الطويل حتى نزول القرآن، ويغلب عليه حتى نهاية العالم الدنيوي: "إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا..-سورة العصر، نسي، يئوس، ظلوم، كفور، كفار، خصيم مبين، قنور، لا يسأم من دعاء الخير، ذو دعاء عريض، فرح فخور، "كلا إن الإنسان ليطغى"، "إن الإنسان لربه لكنود".

من هذا التبع يتضح أن هذه الأوصاف السلبية أو السيئة التي يوصف بها الإنسان في القرآن لا تتعلق بأصل خلقته، ولا بتسويته على الفطرة السوية، إنما تتعلق بتجربته التاريخية التي -للأسف- غلب خطؤه فيها صوابه، وغلب غيئه رُشدته. وفي هذا ما فيه من الجمع بين الأصل المثالي، والتفصيل الواقعي، والتحذير من طبائع الإنسان وأثرها على حركة وأحوال العمران، والأخذ بشرائع الرحمن، والدعوة للعودة إلى الأصل الأول الذي خلق الله عليه الإنسان؛ وهو الفطرة^(١).

وفي دراسة تحت عنوان التمدن والعالم وجدل الفطرة والإنسانية^(٢) تقدم د. هبة رؤوف رؤية كلية تجدل فيها المقارنة بين الغربي والإسلامي، وبين الاجتماع السياسي والفكر السياسي والعلاقات الدولية، وبين الأصول الإسلامية والاجتهادات الإسلامية؛ بحيث نجد أن الدراسة تعبر عن رؤية حضارية إسلامية اجتهادية تسعى صاحبها إلى بناء جسر بين واقعين وفكرين ومرجعيتين دون تليفق أو التواء، وعلى نحو تصبح معه هذه الرؤية متجاوزة للثنائيات النكدة على كافة المستويات.

فالفطرة تبدأ مع بداية الخلق الإنساني مقترنة بوحداية الله؛ باعتبار هذه الخليقة آية من آيات الله. وهي تتسم بالبراءة عند الميلاد قبل التأثر بالبيئات المختلفة بعد ذلك، كما أنها تتحرك نحو التعارف فلا يظل إنساناً منفرداً، وهي ترتبط بالسموات والأرض -آيات الله الأخرى- إلى جانب خلق الإنسان والتي تم تسخيرها له.

ويحيط بهذه المنظومة ابتداءً من خلق الإنسان، مصادر الهداية والبوصلة الموجهة إليه، والإنسان وفطرته يتصل بمنظومة معرفية مزدوجة: الأمانة التي حملها الله للإنسان، والخلافة على الأرض والعمران، وكذا ثلاثية العقل والسنن في ظل الوحي، من ناحية. ويرتبط الإنسان بمنظومة أخرى واقعية؛ هي: الأمة، القوم، بني آدم، الناس، البشرية، وجميعها في قلب التصور عن البشرية والسعي نحو التمدن، في الناحية الأخرى.

وهذا التمدن المستهدف تؤثر في طبيعته التصورات عن الطبيعة البشرية وإسقاطاتها على نظريات ونظم الحكم والنظم الدولية، فالتصور عن الطبيعة الخيرة يولد نظريات تعاونية مثالية سلامية، وعلى العكس من ذلك التصور عن الطبيعة الشريرة.

إلا أن مقاصد الشرع (حفظ الدين، والنفوس، والعقل، والمال، والنسل) توجه الأفق الإنساني نحو التعارف والجدال بالتي هي أحسن،

(١) هذا الموجز عن مفهوم الإنسان في القرآن من إعداد د. مدحت ماهر الليثي.

(٢) هبة رؤوف عزت، عن التمدن والعالم: جدل الفطرة والإنسانية، أعمال الندوة العلمية الدولية: القرآن الكريم ورؤية العالم - مسارات التفكير والتدبير، الرباط: الرابطة المحمدية للعلماء، ٢٠١٤.

فوفق الرؤية المقاصدية فإن الإنسانية هي غاية التمدن والاجتماع البشري، حيث يتم النظر للإنسان من وجهات متكاملة تبرز تكامله واتساقه وتوازنه المفترض إذا توافرت السنن والشروط اللازمة والعكس صحيح.

هذه الرؤية الاجتهادية المتراكمة لدهية عن موضع الإنسان في عملية التمدن على ضوء طبيعة الفطرة ثم شروط خيرية أم شرور الإنسان، هذه الرؤية تنبئ من رؤية القرآن عن الإنسان التي قدمها د.مدحت. والرؤيتان تتجاوزان الثنائيات الحتمية المطلقة التي تأسر التصورات المقارنة الوضعية العلمانية عن الإنسان.

واستكمالاً للتأصيل القرآني لد.مدحت ثم الرؤية الفكرية الاجتهادية لدهية، تأتي الحاجة إلى النظر في بعض من إشكاليات التفكير في وضع "الإنسان المسلم" في العلاقة المعاصرة بين "العالم الإسلامي" والغرب، وبين أوطان ودول الأمة الإسلامية ومنها على سبيل المثال.

من ناحية: إن إصلاح حالة الأمة والنهوض بها يقع في قلبه إصلاح الإنسان بل إعادة بناء الإنسان، ولذا تقع مشروعات الدعوة والتربية والتعليم في قلب مشروعات الإصلاح والتجديد الفكرية والحركية في العالم الإسلامي على حد سواء^(١).

ومن ناحية أخرى: فإن إصلاح السياسات في أوطان الأمة ودولها، وإصلاح العلاقات بينها في إطار الأمة الواحدة، يكمن في إصلاح العلاقات بين الحكام والمحكومين على أساس العدل والحرية. ولا يرتبه الأمر بيد الحكام فقط ولكن أيضاً بوعي وبصيرة المحكومين لحيوية وضرورة المراقبة والمحاسبة وعدم القبول بالظلم تحت أي مبرر من مبررات توظيف الحكام لخطاب "الأنسنة" لتجميل سياساتهم غير الإنسانية^(٢).

ومن ناحية ثالثة: إن إصلاح العالم لن يتم من داخل الغرب بمفرده، ولكن الحاجة ماسة لإسهامات من الدوائر الحضارية المختلفة على نحو يحقق "التعددية" في عملية التغيير الحضاري العالمي، وعلى ضوء إصلاح مسبق في حال الأمة ذاتها كي تستطيع المشاركة في هذا التغيير^(٣).

ومن ناحية رابعة: الغرب ليس صندوقاً مصمتاً واحداً تغلب على سياساته العقلية الصراعية الداروينية والوضعية المادية، ولكن هناك أيضاً الغرب المعرفي والفكري "الإنساني" وهو نقدي، والأمة الإسلامية بدورها ليست صندوقاً مصمتاً واحداً تغلب عليه صورة

(١) انظر على سبيل المثال:

- أعمال د.عبد الحميد أبو سليمان وإنتاجه الفكري: نادية مصطفى (محرر)، قراءة في فكر أعلام الأمة: في رؤية ومنهج الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، (ولاية فرجينيا: مركز الإسلام في العالم المعاصر جامعة شناندوا، ٢٠٢١).
- نادية محمود مصطفى، الإنسان في قلب الإصلاح الإسلامي، مجلة حراء، ٢٠٠٩.
- نادية مصطفى، د.إبراهيم البيومي، د.باكينام الشراوي، مقدمة الكتاب، (في) د. نادية مصطفى، د.إبراهيم البيومي، د.باكينام الشراوي (محررون)، مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي: خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن، بالتعاون بين: جامعة القاهرة مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، ومجلة حراء، القاهرة، ٢٠١١.
- نادية محمود مصطفى (محرر)، التربية المدنية، (جامعة القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، ٢٠٠٧).
- مدحت ماهر (محرر)، معايير بناء الإنسان عبر التربية والتعليم: من منظور حضاري إنساني، غير منشور.

(٢) انظر على سبيل المثال:

- هبة رؤوف عزت، علا أبو زيد (محرران)، المواطنة المصرية ومستقبل الديمقراطية: رؤى جديدة لعالم متغير، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، ٢٠٠٥).
- (٣) أحمد داوود أوغلو، العالم الإسلامي في مهب التحولات العالمية، إبراهيم البيومي (مترجم)، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦).

الإنسان الوسطي في القرآن، وأمام هذا فإن التعارف والحوار عبر حدود الأمم ضرورة حيوية من أجل تأسيس خطاب إنساني معاصر عالمي بالمعنى الحقيقي للمعاصرة والعالمية^(١).

ومن ناحية خامسة: يظل لمفهوم الأخوة الإسلامية خصوصيات مقارنة بمفهوم الأخوة الإنسانية، وفي هذا أحيل إلى د. محمد عبد الله دراز في كتابه "الصوم تربية وجهاد": إذ يقول: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴿ها هنا يكمن دستور الإنسانية، ومن هنا تستمد كل قوانينها. فلو أننا أحصينا ما في الإسلام من تشريعات فردية أو اجتماعية، اقتصادية أو جنائية، سياسة أو دولية، لما وجدنا فيها إلا تفصيلاً دقيقاً، وتطبيقاً أميناً لهذا الدستور الأعلى، سارية في آحادها ومجموعاتها من ألفها إلى يائها.

فمن دستور الأخوة الإنسانية انبثق القانون الذي محا به الإسلام آثار العصبية وألغى به الفوارق في الأنساب والأجناس والألوان «ألا إن ربكم واحد... ألا إن أباكم واحد... كلكم لأدم وأدم من تراب.. ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى...» ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾..!

ومن دستور الأخوة الإنسانية نبع قانون احترام العقائد والشعائر وإطلاق حرية التفكير والتعبير:

﴿لا إكراه في الدين﴾.

﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني، فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾.

ومن هذا الدستور انبجس قانون العدل السابغ الذي يستوي في حكمه البعيد والقريب والعدو والصديق.

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾.

ومن دستور الأخوة الإنسانية اقتبس قانون تقديس الأمانات ووجوب أدائها حتى إلى الخارجين عن الوطن والجنس والدين: ﴿بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين﴾.

ومن دستور الأخوة الإنسانية استمد قانون حماية الأعداء اللاجئين إلى جوارنا: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾.

ومن دستور الأخوة الإنسانية اشتق قانون الوفاء لخصومنا بعهودهم ومواثيقهم:

﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها﴾.

ومن دستور الأخوة الإنسانية تولد قانون التساوي في الحرمات.

﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾.

و من دستور الأخوة الإنسانية نشأت مسؤولية الدولة عن رعاية المواطنين وتأمين أرواحهم وأموالهم «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

ومن دستور الأخوة الإنسانية تفرع قانون المواصاة للمعوزين ومشاطرتهم للأغنياء في ثروتهم:

(١) حول مفهوم المعاصرة، انظر: طارق البشري، ماهية المعاصرة، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥).

حول مفهوم العالمية، انظر: أميرة أبو سمرة، مفهوم العالمية في العلاقات الدولية: دراسة مقارنة في إسهامات نظرية نقدية، (رسالة دكتوراه)، ٢٠١٤.

- عل الشامي، الحضارة والنظام العالمي: أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب، (دار الإنسان للدراسات والنشر، ١٩٩٥).

﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾.

بل مشاطرتهم للدولة في مالها :

﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾.

في وسط هذا الفردوس من الأخوة الإنسانية تنبت شجرة طيبة مباركة من الأخوة الإسلامية وهي أخوة لا تنقض الأخوة الأولى ولا تناقضها بل إنها تنضم إليها وتضاعفها فليس التفاوت بينهما تفاوت ما بين العدو والصديق، أو ما بين البعيد والقريب، بل تزايد ما بين القريب، والأقرب، أو الأخ الشقيق والأخ لأب^(١).

بعبارة أخرى، إذا كان مفهوم "الأنسنة" يبدو أحياناً كثيرة مفهوماً ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، فيجب تزكية العمل المشترك بين الأمم، عبر الحدود الحضارية، لجعله مفهوماً إيجابياً؛ أي يعكس مصالح الإنسان بمحدداته القرآنية وليس الداروينية؛ وذلك بعد أن يصبح الخير فينا ومنا -أولاً- بارزاً واضحاً في مجال حماية الإنسان ضد الظلم والفساد والكرهية والاستبداد وضد تسييس الإسلام وادعاء أسلمة السياسة في أوطاننا. بعبارة أخرى، بعد أن نجسد تقاليد إسلامية راسخة وقت الصعود الحضاري للأمم؛ وهي عدم الفصل بين قيم التعامل السياسي الداخلي وبين قيم التعامل السياسي الخارجي.

خلاصة القول: على ضوء تجليات "أنسنة السياسة" في الخطاب الدولي المعاصر، والمفاهيم المقارنة عن الإنسان، وأبعاد رؤية حضارية إسلامية عن "الإنسان والإنساني"، فإن "الإنسان" لا اختبار له إلا في جماعة واجتماع بشري، والأخير بدوره نواة لأمة قبل الدولة. هكذا يجب أن يكون التناغم والتناسق عن العلاقة بين الإنسان والمجتمع والدولة والعالم، فهم ليسوا بدائل متصارعة.

ومن ثم، فإن الاهتمام بالإنسان ليس خروجاً على التصور الجمعي للأمم أو الدول، ولكن يعني إدراك أهمية الأبعاد القيمية والأخلاقية والثقافية في السياسة والعلاقات الدولية. كما أن هذا الاهتمام بالإنسان ليس خروجاً على الصيغ المؤسسية للحكم أو أسلوباً جزئياً سلوكياً فردياً للتحليل، ولكنه استعادة للاهتمام بأطر تحليلية مرنة، تقع في قلب تكوينات اجتماعية أكبر (هي الأمم) والعلاقات بينها.

ومن ناحية أخرى، لن يتوقف التوظيف السياسي للإنسان في لعبة القوى الداخلية والخارجية، بل تزداد فرص التوظيف مع التطور في وسائل التواصل الإلكتروني، إلا أنه سيظل لهذا الوجه من العملة وجهٌ آخر؛ وهو أن "الإنسان" لن يفتقد أبداً آليات وأدوات مقاومته الحضارية لاستلاب وعيه وذاكرته وهويته، أو لاستيعابه وإحاقه تماماً بالغير.

الحمد لله

القاهرة

٢٧ مارس ٢٠٢٣

(١) محمد عبد الله دراز، الصوم تربوية وجهاد، (القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ٢٠١١)، ص ٦٣.

شؤون

إقليمية وعالمية

مبادرات مجتمعية شعبية تجاه الكوارث:

نماذج من الشرق والغرب

عمر سمير*

نموذج الاقتصاد السياسي للوقاية من الكوارث، مدعوماً بدراسات الحالة والتجارب الأولية، لشرح سبب استعداد بعض الحكومات جيداً للكوارث وعدم استعداد البعض الآخر لها^(١).

تمثل هذه الحالات الطارئة أيضاً نموذجاً لاختبار العلاقة بين الدولة والمجتمع، ولقياس مدى توافر رأس المال الاجتماعي وتضافر أفراد ومؤسسات المجتمع للخروج من تلك الأزمات بأقل خسائر ممكنة بمنطق تقليل الخسائر الذي يغلب على دراسات الكوارث الطبيعية.

في الحقيقة أنه عندما تم استكتابي لهذه الورقة لم تكن قد حلت بنا بعد كارثة الزلزال المدمر الذي ضرب جنوب تركيا والشمال السوري وشعر به سكان لبنان وفلسطين ومصر وبعض دول المتوسط، والذي لا زلنا نعايش تبعاته على مستوى الدولة والمجتمع التركي، وإنما كانت بعض النماذج المطروحة لتلك الأزمات التي شهدتها العالم فيضاً باكستان، زلزال أندونيسيا، فيضانات أوروبا، أعاصير الولايات المتحدة الأمريكية، ولا يمكن أن نغفل هنا زلزال أفغانستان في ٢٠٢٢ وما تبعه من كارثة إنسانية كبيرة؛ حيث إن مناط التركيز هنا هو عالمنا الإسلامي.

وفي هذا الإطار فإننا نتحدث عن كوارث أعلى من قدرات الدولة -أية دولة- على تجاوزها من دون مجتمع مدني حي وشديد التنظيم والتطور ومبادر ويعمل في سياق اقتصادي واجتماعي وسياسي يسمح له بالنمو والتطور وحشد الطاقات.

مقدمة:

في عالمنا المعاصر تزايد الكوارث الطبيعية وتسارع وتيرتها بشكل يكاد يزلزل كيان وإيمان البشر بقدرات مجتمعاتهم أو دولهم على السواء، على تجاوز تلك الأزمات المرتبطة بالكوارث الطبيعية من أعاصير وزلازل وبراكين وتغيرات مناخية وما تُحدثه من تبعات شديدة التدمير. لا تناقش هذه الورقة مسببات هذه الكوارث، التي يختلط فيها العلمي بالغبي، ويغيب عن الإنسان الكثير من تفاصيل مسبباتها المادية، وتكاد تنعدم أية قدرة علمية على التنبؤ بغالبيتها، ويلجأ فيها إلى روابط مجتمعية أو روحية للاحتماء بها جراء عودته للإيمان بضعفه التام كفرد إن هو خرج عن السرب؛ أكان هذا السرب عائلته أو مجتمعه أو دولته.

تحدثت الكوارث في نطاق فضاء سياسي معين، حتى وإن لم تكن السياسة مصدراً لتلك الكوارث أو مسبباً لها إلا أنها ليست محصنة منها، فالعديد من الأدبيات تتناول الوقاية من الكوارث والاستجابة لها من البُعد السياسي باعتبار مثل هذه الإجراءات ضمن نطاق السياسات العامة، إلا أن مستوى استعداد الحكومة واستجابتها يحدد بشكل كبير مدى المعانة التي يتكبدتها السكان المتضررون.

في وقت الكوارث تسارع الصحافة ووسائل الإعلام لاستخدام نماذج لتقدير الكلفة وتحديد الخسائر الناجمة عنها، بشكل يكاد يبتزها من سياقها الإنساني، فيما يستخدم بعض المؤلفين

* باحث في العلوم السياسية.

(1) Charles Cohen, and Eric D. Werker, "The Political Economy of 'Natural' Disasters", The Journal of Conflict Resolution, vol. 52, no. 6, 2008, pp. 795-819

٦,١ مليارات دولار)، بحسب بما أوردته وكالة الأناضول للأخبار^(١). تشير النتائج المبهرة التي حققتها الحملة إلى إمكانيات وطاقت كامنة لدى المجتمعات يمكن استخدامها في مواجهة الكوارث والأزمات بشكل فعال رغم حدة الاستقطاب السياسي المحلي الذي طال بعض أطراف الحملة ذاتها بالنقد والسخرية.

وعندما تطرّق بعض رموز المعارضة لنقد جهود الهلال الأحمر التركي، صرح الرئيس أردوغان بنفسه أن الهلال الأحمر التركي يقدم الطعام لـ٢,٥ مليون مواطن يوميا، نحن نتحدث هنا عن مؤسسات أهلية ضخمة البنية والإمكانيات وتعمل بتنسيق مباشر مع الحكومة يصل إلى الحد الذي يجعل المرء حائرا هل هي مؤسسات حكومية أم أهلية! لكن لكون غالبية مصادر تمويل حملاتها من التبرعات الأهلية، يمكن القول أنها وإن كانت تدار حكوميا فإنها أقرب للمؤسسات المجتمعية منها إلى الحكومية.

تعطينا هذه المبادرة درسا في قدرة التنسيق بين الدولة والمجتمع على حشد جزء مهم من الدعم المالي اللازم للتعامل مع الكارثة وتعزيز قدرة الدولة على مباشرة عملية إعادة الإعمار في أقصر وقت ممكن بعد الكوارث الطبيعية، مما يخفف بشدة التأثيرات الكبيرة لكارثة بحجم زلزال تركيا الذي عُرف بكارثة القرن.

لا يتوقف الأمر على هذه المبادرة فحسب، فهناك العديد من المؤسسات الوقفية مثل وقف الديانة التركي وجمعية الهلال الأحمر التركي قدمت مبادرات وحملات شديدة الأهمية في مواجهة آثار الزلزال، ومن قبل في مواجهة أزمة كورونا. فوفقا لتقرير لرئيس جمعية الهلال الأحمر التركي عن عام ٢٠٢٠، وقف الهلال الأحمر التركي إلى جانب الشعب في مواجهة ١٣٦ كارثة وحالة طوارئ في ذلك العام، ووصلت مساعداته إلى حوالي ٢٦ مليون شخصا في تركيا، وما مجموعه حوالي ٣٧ مليون شخصا في تركيا وخارجها، واستخدم في مساعداته موارد مالية

تهدف هذه الورقة إلى رصد وتحليل أهم المبادرات المجتمعية التي برزت استجابةً للكوارث الطبيعية، عبر استعراض عدد من المبادرات التي تتوفر حولها بيانات كافية من دول مختلفة تعرضت لمثل هذه الكوارث سواء في عالمنا الإسلامي أو من خارجه، بغية الوقوف على أهم الدروس المستفادة من تلك المبادرات المجتمعية وآلياتها وعلاقتها بالدولة في هذه التجارب.

أولاً- زلزال تركيا وسوريا المبادرات المجتمعية لمواجهة آثار الكارثة:

في السادس من فبراير ٢٠٢٣، في تمام الساعة الرابعة والنصف فجرا، ضرب زلزال بقوة تدميرية هائلة عشرة مدن تركية، بالإضافة لكامل مدن شمال سوريا التي يخرج غالبيتها عن سيطرة النظام وتغيب فيها الدولة بكل معانيها. وقد أعلنت الدولة التركية منذ اللحظة الأولى تصنيف الكارثة بأنها تهديد من الدرجة الرابعة، بما يعني ليس فقط طلب الإعانة من المجتمع المدني المحلي بل الدولي أيضا، وهنا بدأت عملية استقبال وفود المتطوعين من الخارج والداخل.

في المجتمع التركي، نحن إزاء خريطة هائلة من المبادرات المجتمعية المرتبطة بالكوارث والطوارئ، تتبعها شبكة معقدة من الأوقاف والمؤسسات. وعلى سبيل المثال يمكننا عرض المبادرات التالية:

مبادرة حملة تركيا قلب واحد **Türkiye Tek Yürek**: أطلقتها ٢١٣ محطة تلفزيونية و٥٦٢ إذاعة داخل وخارج تركيا، في ١٥ فبراير، عبر بث حملة مشتركة، شارك فيها مشاهير أتراك في تقديم الحملة على الهواء مباشرة؛ حيث بثتها قنوات وإذاعات في تركيا وأذربيجان وقبرص التركية. ولاقى الحملة دعماً واسعاً من رجال أعمال وشركات وساسة ورياضيين وممثلين، ونجحت في جمع أكثر من ٦ مليارات دولار في غضون سبع ساعات لصالح المتضررين من الزلزال؛ إذ تلقت الحملة تبرعات كبيرة وصلت قيمتها إلى ١١٥ مليارا و١٤٦ مليوناً و٥٢٨ ألف ليرة تركية (نحو

الرابط التالي: <https://is.gd/a2nLrG>

(١) حملة "تركيا قلب واحد" تجمع ٦,١ مليارات دولار في ٧ ساعات لمتضرري الزلزال، وكالة الأناضول للأخبار، بتاريخ ٢٠٢٣/٢/١٦، متاح عبر

منذ سنوات، بالإضافة لمئات المبادرات الصغيرة لدعم الشمال السوري، إلا أنه يمكن الإشارة إلى عدة مبادرات رئيسية منها:

فريق الخوذ البيضاء: "الحفر بالإبرة دون سؤال اللثيم فأسه".. مع تحول الثورة السورية السلمية إلى نزاع مسلح في أواخر عام ٢٠١٢، بدأت الحكومة السورية بقصف المنازل والأحياء السكنية الواقعة خارج نطاق سيطرتها بكل الأسلحة المحرمة دولياً، وأدى القصف الجوي على المدنيين بحياة مئات الآلاف وشرّد الملايين من منازلهم. وفي عام ٢٠١٣ تلقى بعض هؤلاء المتطوعين تدريبهم الأول في تركيا على أعمال البحث والإنقاذ المدني من قبل منظمة مختصة بالاستجابة للكوارث الطبيعية كالزلازل، بعد هذا التدريب أصبحت المجموعات أكثر تنظيمًا وقاموا بإنشاء مراكز وفرق متخصصة بالدفاع المدني، ومع حلول عام ٢٠١٤ أصبح هناك فرق دفاع مدني في سبع محافظات سورية، وفي أكتوبر من العام نفسه تم تأسيس منظمة وطنية موحدة هي "الخوذ البيضاء" (الدفاع المدني السوري)^(٣).

يشير تقرير مجلة التايم البريطانية، نُشر في السادس من أكتوبر عام ٢٠١٦، إلى أن فريق الخوذ البيضاء، الذي يعمل في ظل واحد من أسوأ الصراعات في العالم في منطقة بها ما يزيد عن ألف تنظيم مسلح بالإضافة للنظام السوري وحلفائه، ساهم في إنقاذ حياة أكثر من ٦٠ ألف شخص خلال عامين فقط من نشأته الرسمية^(٤).

تعمل "الخوذ البيضاء" على الأرض، عبر ٣٠٠٠ متطوع ومتطوعة، لانتشال جثث الموتى حتى تتمكن عائلاتهم من دفنهم بكرامة. كما تقوم الفرق بمسح وضع المنازل والمباني العامة وضمان سلامة المواقع وإزالة الأنقاض وإعادة فتح الطرق، وتعمل الفرق المختصة على إزالة الذخائر غير المنفجرة لجعل

بقيمة ١١,٣٩٠,٢٦٥,٩٦٥ ليرة تركية، قُدمت بمساعدة ١١,٣٩٠ موظفًا و١٢٥,٨٢٠ متطوعًا. حيث قدم مساعدات اجتماعية بقيمة ٧٨,١٦٨,١٨٤ ليرة تركية إلى ٧٩٦,٩٥٧ شخصًا، ومساعدات غذائية بقيمة ١٢٦,١٣٤,٨٢٩ ليرة إلى ١١,٠١٢,١٥٣ شخصًا، ومعلبات لحوم الأضاحي إلى ٢,٩٠٧,٦٥٠ شخصًا. كما قدم مستلزمات ومواد النظافة الشخصية إلى ٢,٨١٩,١٣٣ شخصًا خلال مرحلة الجائحة، ومساعدات في الإسكان إلى ٢,٣٩٤ شخصًا، ومساعدات الملابس إلى ٣١٠,٨٨٦ شخصًا، بالإضافة إلى توفير ٤,٢١٢,٥٠٤ وجبة خلال الكوارث، و٥,٩٧١,٧٦٤ وجبة في السكن الحكومي للطلاب KYK، و٢٢,١٨٩ وجبة يوميًا عبر مطاعم الفقراء التابعة له والتي يبلغ عددها ٢٣ مطعمًا. وقدم كذلك المساعدة في مجال الصحة/ ذوي الإعاقة إلى ٥٠,٠٨٤ شخصًا، و ٢٠٠ جهاز تنفس محلي الصنع^(١).

وفي مواجهة كارثة الزلزال الأخير واصل الهلال الأحمر أنشطته المختلفة تجاه المنكوبين في ١٠ محافظات تضررت من الزلزال؛ حيث قدم خدماته في منطقة الزلزال بما يقرب من ٢٠٠٠ متخصص وأكثر من ٤٠٠٠ متطوع. ويؤدي الهلال الأحمر -بشكل أساسي- واجب التغذية الذي فرضته عليه خطة الاستجابة للكوارث في تركيا، وفي هذا الإطار قدم الهلال الأحمر في الفترة بين السادس من فبراير والأول من مارس ٢٠٢٣ دعماً غذائياً لـ ٧٠ مليون شخصاً تقريباً، وذلك عبر خمسة مطابخ، و٨٦ مركبة توزيع، و٣٧٣ مطبخاً متنقلاً، و٤٠ فرناً متنقلاً، و٢٢ مطبخاً ميدانياً^(٢).

وعلى الجانب السوري نجد عشرات المبادرات الأهلية، والفرق التي عملت في الداخل والخارج لكسر الحصار الذي تفرضه روسيا وإيران ونظام بشار الأسد على الشمال السوري

<https://cutt.us/u9Fxi>

(٣) موقع الخوذ البيضاء: <https://is.gd/nZrwXK>

(4) Jared Malsin, The White Helmets of Syria, Time, Oct. 6, 2016, available at: <https://is.gd/nUFyVv>

(١) الهلال الأحمر التركي يستمد قوته من الشعب التركي، الهلال الأحمر التركي، بتاريخ ٢٠٢١/١/٦، متاح عبر الرابط التالي:

<https://is.gd/n5SnkR>

(٢) أنشطة الإغاثة للهلال الأحمر في المناطق المنكوبة"، الهلال الأحمر التركي، بتاريخ ٢٠٢٣/٣/١، متاح عبر الرابط التالي:

اللحظة؛ حيث بدأ الفريقُ المرحلةَ الأولى للحملة بهدف جمع ٢٠ مليون دولار لتأمين ٤٠٠٠ منزلاً بتكلفة ٥٠٠٠ دولار للمنزل الواحد، من خلال البث المباشر لحملة تحت اسم "قادرون".

وبحسب المصادر المحلية للحملة، فإن الشمال السوري بحاجة إلى ١٠٠ مليون دولار لإعادة الإعمار، ولذلك بدأ الفريق بدعوة المنظمات المحلية والعالمية لمشاركتهم بهذه الحملة. وحتى تاريخ ٢٢ فبراير ٢٠٢٣ كانت الحملة قد جمعت أكثر من نصف مستهدفات المرحلة الأولى بما يُقدَّر بحوالي ١١,٦٥٣,٩٦٢ دولار^(٢).

ثانياً- تجارب مجتمعية آسيوية في مواجهة الكوارث:

وفقاً لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، تأثر ١,٤ مليار شخص بوقوع الكوارث في منطقة آسيا والمحيط الهادئ في الفترة من ٢٠٠٥ إلى ٢٠١٤، أي ما يقرب من ٨٠٪ من مجموع الكوارث في العالم؛ حيث فقدَ ٥٠٠,٠٠٠ شخص أرواحهم بسبب الكوارث في آسيا والمحيط الهادئ، أي ما يقرب من ٦٠٪ من الوفيات الناجمة عن الكوارث العالمية. فقد وقعت ٤٠٪ من أحداث الكوارث الطبيعية في العالم في هذه المنطقة؛ حيث شهدت في ٢٠١١ زلزال اليابان، وفي ٢٠١٤ تسرب النفط في بنجلاديش، وفي ٢٠١٠ الفيضان في بانكوك وفي ٢٠١٥ زلزال نيبال؛ فهي المنطقة الأكثر عرضة للكوارث في العالم، كما أنها موطن لبعض من أكثر البلدان الهشة والمتأثرة بالنزاع^(٣).

● تسونامي إندونيسيا والمبادرات المجتمعية:

شهدت إندونيسيا، التي تقع على "حزام النار" في المحيط الهادئ، عدة موجات من الزلازل في ٢٠٠٤ و ٢٠١٨ و ٢٠٢٢؛ حيث تلتقي صفائح تكتونية يؤدي احتكاكها ببعضها إلى هزات أرضية وثوران براكين. وقد تسبب زلزال ٢٠١٨ في تسونامي، مما أسفر عن مقتل أكثر من ٤٠٠٠ شخص في جزيرة سولاويزي. وفي نوفمبر ٢٠٢٢، ضرب مدينة سيانجور زلزال بقوة أقل (٦,٥

المناطق آمنة للمدنيين، كما يقوم المختصون بالرعاية الصحية بجولات على الملاجئ التي تؤوي المتضررين من الزلزال ممن خسروا بيوتهم لتقديم الخدمات الصحية والنفسية.

فقد طوّر فريق الخوذ البيضاء آلية الاستجابة الطارئة للزلازل، ويمكن من خلال الاطلاع على موقعه إدراك كيفية إدارته للتمويلات، بداية من طلبها وتيسيرات تحصيلها عبر كافة الوسائل القانونية الحديثة وصولاً لبنود إنفاقها بشكل كامل. ووفقاً لموقع الفريق، فقد أنقذ متطوعو ومتطوعات "الخوذ البيضاء" أكثر من ٣٠٠٠ شخص من تحت أنقاض المباني التي دمرها الزلزال، كما بدأ المرحلة الثانية من استجابته الطارئة مستهدفاً التعافي وإعادة التأهيل. وذلك على الرغم من التعقيدات والحصار الذي يتعرض له الشمال السوري وما يطال الفريق من استهداف أودى بحياة أكثر من ٢٥٢ متطوعاً أثناء إنقاذهم للأخيرين^(١).

نحن إذن نتحدث عن مجتمع مدني ومبادرة شعبية فرضتها ظروف الحرب، أصبح محترفاً في مواجهة الكوارث ورفع الأنقاض وتقليل الخسائر البشرية إلى أقصى حد ممكن، وبشكل يجعل المقارنة بينه وبين إمكانات فريق رسمية في الدولة التركية قد تكون لصالحه؛ إذ أن خسائر زلزال السادس من فبراير في سوريا لا يمكن مقارنتها بنظيرتها في الأراضي التركية رغم الوضع المتردي للأراضي السورية، لكن الخبرة التي راكمتها "الخوذ البيضاء" ومبادرات المجتمع المدني السوري أحدثت فارقاً في الاستجابة رغم ضعف الدعم الدولي وغياب المعدات الثقيلة اللازمة.

فريق ملهم التطوعي: أطلق الفريق منذ اليوم الأول للزلزال حملة استجابة للمتضررين في كل من شمال سوريا وجنوب تركيا، للتعامل مع آثار الزلزال الذي أسفر عن آلاف الضحايا والشهداء، كما تم إعلان الشمال السوري منطقة منكوبة بالكامل. وبعد تجاوز الأيام الأولى للصدمة بدأ حشد الدعم من أجل الإعمار، باعتبار أن هذا ما تحتاجه العوائل في تلك

(١) انظر: موقع فريق الخوذ البيضاء، مرجع سابق.

(٢) هذه الأرقام حتى تاريخ ٢٢ فبراير ٢٠٢٣ الساعة السادسة والثلاث مساءً، راجع: موقع فريق ملهم التطوعي، متاح على الرابط التالي:

<https://cutt.us/C7bWp>

(٣) بناء القدرة على مواجهة الكوارث والنزاعات، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، متاح عبر الرابط التالي: <https://is.gd/r4cQ3m>

غير الحكومية وجماعات حقوق الإنسان والوكالات الإنسانية والمتطوعين من المقاطعات الأخرى والهيئات الطبية، والتي عملت على نطاق واسع. وعلى سبيل المثال فإن حزب العدالة والرفاه، وهو حزب إسلامي بارز جاء كسادس أكبر حزب في البلاد في الانتخابات التشريعية في أبريل ٢٠٠٤، حشد حوالي ١٧٠٠ متطوعاً من أجزاء أخرى من إندونيسيا خلال الأسابيع الثلاثة الأولى من الكارثة، واستأجر طائرات خاصة لنقلهم إليها، وفتح العشرات من مراكز الإيواء في أكثر المناطق تضرراً. وأدير الدعم اللوجستي من الهيئات الوطنية والدولية الأكبر بشكل جيد، وشهد النشاط التطوعي على حيوية المجتمع المدني والسياسي في إندونيسيا بعد سوهارتو، فضلاً عن تنوعه الشديد^(٣).

وعادة ما تستضيف إندونيسيا الكثير من الفعاليات الدولية لمواجهة الكوارث والحد من مخاطرها، فقد استضافت مدينة بالي الإندونيسية الدورة السابعة للمنتدى العالمي للحد من مخاطر الكوارث في الفترة ٢٣-٢٨ مايو ٢٠٢٢، الذي أكد أهمية دور المجتمع المدني المحلي، والتشبيك بينه وبين المجتمع المدني العالمي للحد من الكوارث^(٤).

تعطينا إندونيسيا نموذجاً في إشراك منظمات المجتمع المدني في حوكمة تمويل وإدارة مخاطر الكوارث على المستوى الوطني، لكن -وكما توصي الدراسات- لا تزال هناك حاجة إلى مزيد من التنسيق بين جميع أصحاب المصلحة في تمويل مخاطر الكوارث -بما في ذلك منظمات المجتمع المدني- لضمان التكامل والاتساق على المستوى الوطني والدولي، ينبغي أن تدعم مبادرات تمويل مخاطر الكوارث العالمية للمؤسسة الدولية لتنمية الحوكمة الشاملة والمتعددة أصحاب المصلحة وصنع القرار،

درجات) لكن على عمق ضحل، ممّا أسفر عن مقتل أكثر من ٣٣٠ شخصاً وإصابة الآلاف بجروح، كما تسبّب في تشريد عشرات آلاف الأشخاص ممّن دُمّرت منازلهم أو أُجبروا على النزوح بسبب انزلاقات التربة. وبعدها بشهر ضرب زلزال آخر بقوة ٥,٨ درجات جزيرة جاوا أكبر الجزر الإندونيسية^(١).

ووفقاً للبنك الدولي، فإن إندونيسيا واحدة من أكثر الدول عرضة للكوارث في العالم؛ حيث تطفو على الحزام الناري للمحيط الهادئ، فهي عبارة عن أرخبيل من عشرات الآلاف من الجزر يمتد على طول ٥١٠٠ كيلومتر من طرف إلى آخر. وهي موطن لـ ٧٦ بركاناً نشطاً؛ حيث تعتبر الانفجارات البركانية والفيضانات والانهيارات الأرضية، وهي أحداث نادرة في أماكن أخرى، أحداثاً منتظمة في إندونيسيا. أدى ذلك إلى تحمل إندونيسيا عبئاً مالياً ثقيلاً في الاستجابة للكوارث الطبيعية والتعافي منها؛ فبين عامي ٢٠١٤ و ٢٠١٨ أنفقت الحكومة المركزية ما بين ٩٠ مليون دولار و ٥٠٠ مليون دولار سنوياً على الاستجابة للكوارث والتعافي منها، بينما أنفقت الحكومات دون الوطنية ما يقدر بنحو ٢٥٠ مليون دولار إضافية. وهذا يعني أن ما بين ١,٤٪ و ١,٩٪ من إجمالي إنفاق الحكومة المركزية خلال هذه الفترة كان مرتبطاً بالكوارث الطبيعية؛ أي مرتين إلى أربع مرات أكثر مما توقعته الحكومة^(٢).

في وضع كهذا إذا لم تكن هناك مبادرات مجتمعية لآلت الأوضاع إلى كارثة أكبر بكثير مما آلت إليه، لكن وفقاً لبعض الدراسات فقد كانت هناك استجابة خيالية من قبل المجتمع المدني الإندونيسي في مواجهة هذه الكارثة؛ ففي كل ركن من أركان الشوارع تقريباً تم إنشاء مراكز لتنسيق وتوزيع المساعدة من قبل مجموعة متنوعة من الجماعات الإسلامية والمنظمات

History, Vol. 104, No. 680, 2005, P. 106.

(٤) الانتقال من المخاطر إلى القدرة على الصمود: نحو تحقيق التنمية المستدامة للجميع في عالم متحول في ظل جائحة كوفيد-١٩، المنتدى العالمي للحد من مخاطر الكوارث، الدورة السابعة بتاريخ ٢٣-٢٨ مايو ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/WM723>

(١) زلزال بقوة ٥,٨ درجات يضرب جزيرة جاوا الإندونيسية، الجزيرة نت،

بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٨، متاح عبر الرابط التالي: <https://is.gd/q8m65n>
(2) How Indonesia Strengthened its Disaster Response with Risk Finance and Insurance, World Bank, November 17, 2021, available at: <https://is.gd/JXR39>

(3) Edward Aspinall, Indonesia after the Tsunami, Current

إلى افتقار التماسك ومناقشات السياسة الإبداعية وغياب القيادة السياسية الديناميكية، لكن التجربة تكشف أنه بالمقارنة مع العديد من البلدان التي تتعامل مع تبعات الكوارث الطبيعية في العالم، تمتلك اليابان بنى تحتية اجتماعية متطورة تُدار في الغالب من قِبَل الحكومة، ولكن لديها مجتمع مدني مؤسسي ضعيف نسبيًا باستثناء الحركات التعاونية. ومع ذلك، فإن مفهوم المجتمع المدني (أو شيمين شاكاي) كان في الواقع مكونًا قويًا للقيم اليابانية لما يقرب من أربعمئة عام يعود تاريخها إلى فترة إيدو؛ حيث تقوم على أفكار نابذة من تضامن المجتمع ومساعدة البعض من أجل الرفاهية الجماعية، طالما أنها لم تتحدى السلطة الإقطاعية المطلقة لشون توكوجاوا^(١).

• استجابة المجتمع المدني للكوارث في الصين وتايوان:

تشير دراسة مقارنة بين الصين وتايوان لاستجابة المجتمع المدني للكوارث، إلى أن زلزال ونتشوان عام ٢٠٠٨ قدّم فرصة لدراسة جوانب معينة من المجتمع المدني في الصين. باستخدام زلزال "٩٢١" في عام ١٩٩٩ في تايوان كنقطة للمقارنة، تمكن الباحث من استخدام استجابات المنظمات غير الحكومية للزلازل في الصين وتايوان لتوضيح حالة المجتمع المدني في كلا البلدين، ووفقًا له تُظهر الاستجابة القوية المفاجئة لزلزال ونتشوان من قِبَل المنظمات غير الحكومية الصينية تطور قطاع المنظمات غير الحكومية المهني بشكل متزايد في الصين، بالإضافة إلى الرغبة المتزايدة من جانب الحكومة لقبول دور محدود للمنظمات غير الحكومية في الإغاثة في حالات الكوارث والعمل الخيري وتقديم الخدمات الاجتماعية.

والمقارنة بين استجابات المنظمات غير الحكومية للزلازل في البلدين تشير إلى القبول المستمر على المنظمات غير الحكومية الصينية، ولكنها تسمح أيضًا بالتنبؤ بالاتجاهات الرئيسية في التنمية المستقبلية للمجتمع المدني في الصين. ففي حين أن

بما في ذلك ممثلي المجتمع المدني في اللجان التوجيهية ذات الصلة. إن نشر الحد الأدنى الأساسي من المعلومات حول الخطط والآليات، والمشاركة الاستباقية للمعلومات، بما في ذلك أثناء تطوير المخططات، من شأنه أن يساعد على زيادة المساءلة والشفافية ويسهل على منظمات المجتمع المدني التعامل مع صناديق تمويل مخاطر الكوارث التابعة للمؤسسة الدولية للتنمية والتدقيق فيها^(١).

إذن نحن نتحدث عن دور فاعل للمجتمع المدني في الحشد والتعبئة والتمويل والرقابة على إدارة مثل هذه الفعاليات في مواجهة الكوارث الطبيعية، وعن قدرات مجتمعية هائلة في رسم خرائط الاحتياجات المحلية بشكل قد لا يتوفر للحكومات ذاتها، ومن ثم على الأخيرة التعاون مع المجتمع المدني والتنسيق معه لتقديم أفضل النماذج للأداء في مواجهة تلك الكوارث.

• زلزال اليابان وكوارثها النووية والمجتمع المدني التعاوني:

تحدث حوالي ٢٠٪ من زلازل العالم في اليابان ووفقًا للتقارير، وفي ١١ مارس ٢٠١١ عندما ضرب الزلزال وتسونامي سواحل اليابان كان من الواضح أن حجم هذه الكارثة غير مسبوق، حتى بالنسبة لليابان المعرضة للكوارث الطبيعية والتي يفترض بها الاستعداد لمثل تلك الكوارث. رغم ذلك، كشفت الاستجابة اليابانية لهذه الأزمة عن خصائص فريدة للديناميكيات الاجتماعية اليابانية، ودور القطاع الثالث في اليابان؛ الممتد من المجموعات المجتمعية على المستوى المحلي وجمعيات الآباء والمعلمين، إلى المنظمات غير الربحية وحتى المنظمات غير الحكومية الدولية مثل Save the Children.

وبرغم النقد الموجه لليابان كمجتمع آسيوي قد يكون غياب قطاع ثالث مستقل قوي فيه أحد العوامل الرئيسية التي تؤدي

(2) Hironobu Shibuya, March 11 disasters a turning point for Japanese civil society, the japan times, Sep 15, 2011, available at: <https://is.gd/MXS6CW>

(1) Ann Vaughan & Debbie Hillier, Ensuring Impact: The Role of Civil Society Organisations in Strengthening World Bank Disaster Risk Financing, Discussion Paper, March 2019, p. 6, available at: <https://is.gd/nt0hlw>

القدرات.

ترتبط مفاهيم مثل المرونة الاجتماعية التي تقدمها التجربة في الثقافة الغربية بنظريات "رأس المال الاجتماعي"، التي تؤكد أهمية الشبكات الاجتماعية والثقة الشخصية، التي تسمح بدورها للأفراد والجماعات بإنجاز أشياء أكبر مما يمكنهم من خلال جهودهم المنعزلة. وهي بهذا تتبع مفهومين متناقضين عن المجتمع في فكر توكفيل، أحدهما ينظر للمجتمع باعتباره مجرد تجميع للأفراد، أي مجموعة سكانية كأفراد، لديهم قدرة محدودة فقط على التصرف بفعالية أو اتخاذ القرارات بأنفسهم، وهم يخضعون بشدة للقرارات الإدارية التي تفرضها عليهم السلطات. والآخر ينظر للمجتمع كفاعل مستقل، له اهتماماته وتفضيلاته وموارده وقدراته^(٣).

كانت كارثة إعصار كاترينا كاشفة للإخفاق الشديد لنظام جورج بوش الابن في التعامل مع الكارثة، وفشل كبير للدولة في التعامل معها على الرغم من كونها متوقعة، وذلك بسبب تشتت جهود قوات الحرس الوطني التي فقدت -بحسب التقارير- ثلث قوتها وإمكاناتها بسبب التدخل في العراق، وكذلك عدم توفير الاستعدادات الكافية ومن ثم كانت الدولة عاجزة عن القيام بدورها في الإخلاء والإنقاذ كما هي الحال في حفظ الأمن وتأخر توصيل المساعدات من قبل الحكومة المركزية كثيراً. انتقد زعماء سود الاستجابة البطيئة جداً للإدارة الخاصة بالإغاثة، الأمر الذي "كسّر الانقسام الطبقي والعرق في الجنوب الأميركي والمناطق الأخرى"؛ ف ٣٠٪ من سكان الجنوب يعيشون تحت خط الفقر، وفي حالة إهمال متعدد الأوجه، وهو ما أعاد النضال الخاص بالسود ضد فئة اليمين الديني المسيحي الأبيض الأنجلوساكسوني المعروفون بالWASP^(٤).

المنظمات غير الحكومية ذات الاستقلالية العالية والفعالة في تايوان تتناقض مع المنظمات غير الحكومية شبه المستقلة في الصين، فإن أوجه التشابه المشتركة بين المنظمات على جانبي مضيق تايوان تشير إلى أن تنمية المجتمع المدني في الصين قد تكون في بعض النواحي موازية لنظيرتها في تايوان^(١).

وفي تسونامي المحيط الهندي ديسمبر عام ٢٠٠٤، انتشرت العديد من التقارير في الصحف وعبر الانترنت، مع صور بيانية تملأ شاشات التلفزيون بمشاهد الدمار المروع، طرحت حينها مجموعة من الأسئلة الصعبة بشأن هذه الكارثة الضخمة؛ حيث كانت الإحصائيات بحلول منتصف فبراير من العام التالي تشير إلى حوالي ٣٠٠٠٠٠ حالة وفاة (وهي أعلى خسارة في الأرواح سببها زلزال منذ زلزال شانسي في الصين ١٥٥٦ الذي بلغ مجموع ضحاياه ٨٣٠,٠٠٠)^(٢). وقد حاولت الصين حشد جهود مجتمعها المدني الذي كبحته جماحه لسنوات، في مواجهة الكارثة، مستفيدة من تجارب دول جوارها في الهند وإندونيسيا.

ثالثاً- الولايات المتحدة وإعصار كاترينا: مأسسة رأس المال الاجتماعي في مواجهة الكوارث:

تشير الدراسات حول دور المجتمع المدني في مواجهة الكوارث في أوروبا والولايات المتحدة إلى التركيز على الدور الذي يلعبه المجتمع في استمرار التأهب للكوارث والاستجابة والتعافي، ومدى التناسق بين المجتمع والأطر المفاهيمية المتصلة باتخاذ القرارات المتعلقة بالكوارث. وتقدم لنا الدراسات العديد من النماذج التي تم تطويرها في الأدبيات وكذلك الأفكار المستمدة من الأبحاث المتعلقة بإعصار كاترينا، يوضح كل نموذج بعض جوانب مجموعة التأهب للكوارث والتعافي منها؛ بدءاً من إدراك المخاطر وتقييمات الضعف، والانتقال إلى مفاهيم المرونة وبناء

I.B.Tauris, 2006, P. ix, available at: <https://cutt.us/5rhv2>

(3) Olivia Patterson, et al, "The Role of Community in Disaster Response: Conceptual Models", *Population Research and Policy Review*, vol. 29, no. 2, 2010, pp. 127-41

(٤) منير شفيق، إعصار كاترينا وفضيحة النظام الأميركي، الجزيرة نت، بتاريخ ٧/٩/٢٠٠٥، <https://is.gd/jQ4C9K>.

(1) Britton Roney, Earthquakes and civil society: A comparative study of the response of China's nongovernment organizations to the Wenchuan earthquake, *China Information*, Vol. 25, no.1, 2011, 83-104

(2) Alpaslan Ozerdem and Tim Jacoby, Disaster management and civil society: earthquake relief in Japan, Turkey, India, London:

كارثة طبيعية، لكن بتعزيز الجهود المجتمعية وبالتنسيق بين الدولة والمجتمع تتجاوز المجتمعات آثار الأزمة وتعيد بناء المناطق المنكوبة والمتضررة وتنتشل اقتصاداتها من آثار تلك الكوارث، ومن دون ذلك قد تؤدي الكوارث الطبيعية لتداعيات سياسية واقتصادية واجتماعية أكثر كارثية من الكارثة الأصلية. للمجتمع المدني ومبادراته دورٌ فاعل في إدارة الأزمات والكوارث الطبيعية سواء في تحليلها أو إدارتها أو التغطية الإعلامية والتوعية بها، ومن دون هذا الدور يصعب الحد من الكوارث أو تخفيف أثارها، ولذلك فإن على البلدان المعرضة لتلك الكوارث أن تضمن حيوية وفاعلية المجتمع المدني ونفاذه للتمويل ومشاركته في صنع واتخاذ القرارات وتنفيذها لضمان النتائج الأمثل في مواجهة الكوارث.

عادة ما يتركز عمل المجتمعات والمبادرات الشعبية في مواجهة الكارثة على العمل الإغاثي أكثر من الوقائي، وإن كانت العديد من المؤسسات والمبادرات الأهلية تدخل في شراكة مع الدولة أو المنظمات الدولية وبرامج المساعدات الدولية المرتبطة بالوقاية سواء ما يتعلق بالبيئة والتغيرات المناخية والوقاية من تأثيراتها أو حتى السياسات الوقائية من الأخطار البيولوجية وتبعات الكوارث.

تتوقف قدرة المجتمع المدني على التصدي للكوارث بدرجة كبيرة على المناخ السياسي العام، فالسياق الذي يتمتع فيه المجتمع المدني بحرية التنظيم والحركة والاستقلالية المالية يستطيع حشد وتعبئة قدرات أكبر في مواجهة الكوارث الطبيعية، فما قدمه المجتمع المدني في أندونيسيا والهند وتركيا من جهود أكبر بكثير من دور المجتمع المدني في تايبان والصين رغم القيم التعاونية القوية بالأخيرتين.

وتعطينا خبرة المجتمع المدني في الولايات المتحدة إشارة إلى أهمية دور المجتمع المدني في اتخاذ القرارات بشكل عام وفي أوقات الكوارث على وجه التحديد؛ حيث رأس المال الاجتماعي والتضامن في أوقات الكوارث يتزايد ويصبح المجتمع أكبر قدرة

كان أحد الدروس الناشئة في اللحظة الراهنة لإعصار كاترينا هو الدور الذي لعبته الشبكات المجتمعية في جميع مراحل التعافي في ظل هذا الضعف الشديد لدور الدولة وأدائها السيء في مواجهة الكارثة، كان الطابع الغالب للعديد من مبادرات المجتمع التنظيمات القائمة على الدين والإيمان التي قامت بدور على الأرض في وقت مبكر وظلت في المقدمة مع المنظمات التطوعية الأكبر مثل الصليب الأحمر الأمريكي، ولذا فإن الباحثين كثيرًا ما أشاروا إلى أن التطوع القائم على العقيدة كان أكثر مرونة وتكيفًا في العمل المتعلق بجهود التعافي من آثار الأزمة.

وتتمتع الاستجابة المجتمعية المحلية بنقاط قوة متعلقة بالسرعة في الاستجابة وتوفر المعلومات وتزايد الشعور الجمعي بالتضامن والقدرة على توظيفه، وفي المقابل فإنها تعاني نقاط ضعف تتعلق بحساسية المجتمع المحلي تجاه الحكومة المركزية والاستجابة البطيئة لها ومن ثم عدم مشاركة المعلومات والسيطرة على الموارد والنفوذ إليها، ما قد يعوق الاستجابة الفعالة للكوارث^(١)؛ فحتى وإن وُجد نموذج مجتمعي للتصدي للكوارث فإن هذا لا ينبغي أن يترتب عليه التقليل من أهمية دور الدولة والتصدي المجتمعي لانسحابها وتخليها عن وظائفها.

خاتمة:

قد تحدث الكوارث الطبيعية في سياقات اجتماعية واقتصادية مختلفة تمامًا، لكن تبقى الاستجابات المجتمعية لهذه الكوارث محل مقارنة سواء بمقاييس الفعالية لدور المجتمع المدني أو قدرته على تقليل الخسائر والتصدي لآثار الكارثة بالتعاون مع الحكومة أو بشكل منفرد.

برغم الجهود والخطط الحكومية القوية والمخصصات المالية الضخمة في مواجهة الكوارث في العديد من التجارب، إلا أن هذا لا يكفي للتقليل من خسائرها من دون مبادرات مجتمعية وشعبية قوية كتلك التي استعرضناها في التجارب المختلفة، فمهما كانت قدرات الدولة لا تستطيع الوقوف بوجه

(1) Olivia Patterson, et al, op cit., pp. 137-139.

سواء كان هذا في الولايات المتحدة أو الصين أو أندونيسيا. فإن الحشد والتعبئة للناس محليا في مواجهة الأزمات والكوارث سواء فيما يسبقها من سياسات استعداد، أو بالتصدي لما يلحقها من أعمال سلب ونهب، أو بالمساهمة في جهود الإنقاذ والتعافي من آثار تلك الكوارث، يُبقي الاستجابة المجتمعية أمرا حاسما في تقليل آثار وخسائر الكوارث.

من الدولة على حشد الموارد بشكل طارئ واتخاذ قرارات أفضل في توجيهها إلى أماكن ومجالات الاحتياج المدروسة مجتمعيًا.

وأخيرا، فإنه حتى في أكثر المجتمعات التي تدعي العلمانية الشاملة أو تنحية الدين تماما عن المجال العام فإن نماذج الاستجابة الأكثر فاعلية ومأسسة محليا كانت تلك المعتمدة على الدين والاعتقاد والإيمان في الاستجابة للكوارث والأزمات،

مؤتمر المناخ في شرم الشيخ ٢٠٢٢: بين المنجز والمأمول

طارق جلال*

وهو ملف الأضرار والخسائر للحصول على تعويضات تساعدها على مواجهة الكوارث البيئية التي تؤثر بصورة سلبية على الاقتصاد العالمي. ويناقش هذا التقرير عددًا من العناصر: أولها هو سيرورة الاهتمام بقضية تغير المناخ، ثم تجربة مصر في التعامل مع هذا الملف منذ ٢٠١٥ وحتى قمة كوب ٢٧ في ٢٠٢٢، وأخيرًا قراءة في مخرجات المؤتمر وأبرز إنجازاته.

أولاً- في التعريف بالمؤتمر(١):

مؤتمر المناخ هو قمة سنوية تحضرها ١٩٧ دولة من أجل مناقشة تغير المناخ، وما تفعله هذه البلدان، لمواجهة هذه المشكلة ومعالجتها، ويعدُّ المؤتمر جزءًا من اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن التغيُّر المناخي، وهي معاهدة دولية وقَّعتها معظم دول العالم بهدف الحدِّ من تأثير النشاط البشري على المناخ، حيث دخلت الاتفاقية حيز التنفيذ في ٢١ مارس ١٩٩٤^(٢). ويعرف اختصارًا بـ"كوب" والذي يمثِّل الهيئة العليا لاتفاقية الأمم المتحدة الإطارية حول تغيُّر المناخ، ويتألَّف من ممثِّلين عن كلِّ دولةٍ وقَّعت على اتفاق باريس، ويجتمعون كلَّ عام. وآخر قمة كانت كوب ٢٧ التي ترأسها مصر، والتي عُقدت في مدينة شرم الشيخ، التي تقع في جنوب سيناء والمطلَّة على البحر الأحمر في الفترة ما بين ٦ نوفمبر و١٨ نوفمبر عام ٢٠٢٢^(٣).

ويعدُّ اختيار الدولة المستضيفة للمؤتمر وفقًا لنظام التناوب بين القارات المختلفة، وقد تقدَّمت مصر العام قبل

مقدمة:

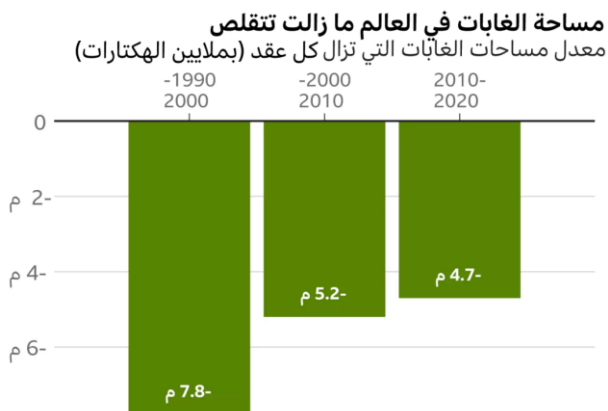
وإلى مؤتمر الأمم المتحدة للتغيُّر المناخي "كوب ٢٧" الذي انعقد في شرم الشيخ بمصر وضِعًا عالميًا معقَّدًا للغاية، وقد انعكس هذا الأمر على تقييم كل طرف لمخرجات المؤتمر. فمن جانب، هناك تحديات عديدة تواجه أزمة تغيُّر المناخ يأتي في مقدِّمتها الحرب الباردة المتصاعدة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية، والتي انعكست بقوة في قرار الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، الذي رأى أن اتفاقية باريس ستعطل الاقتصاد الأمريكي لصالح الاقتصاد الصيني، وقد انعكس هذا الصراع على مسارات النقاش التي اتخذتها جلسات قمة المناخ بوضوح. ومن جانب آخر، الأزمة الاقتصادية العالمية، حيث يعاني العالم من ركود تضخُّمي يضرب الاقتصاد العالمي بقوة، جاء نتيجة تداعيات فيروس كوفيد ١٩ على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، بالإضافة لأزمة سلاسل التوريد التي شلَّت حركة التجارة العالمية. ثم جاءت الحرب الروسية الأوكرانية لتزيد من أعباء الوضع العالمي، فنتج عنها أزمة طاقة حادَّة نتيجة ارتفاع أسعارها بصورة كبيرة، وأزمة في الأمن الغذائي العالمي، لاسيما وأن أوكرانيا وروسيا هي سلة غذاء العالم، فأدَّى هذا أيضًا إلى ارتفاع أسعار الغذاء، فأصبحت الدول الفقيرة غير قادرة على استيعاب عددٍ هائلٍ من المصاعب الاقتصادية التي دَفَعَتْها لتحديد هدفٍ رئيسيٍّ من قمة كوب ٢٧ الخاصة بتغيُّر المناخ،

* باحث في العلوم السياسية.

(١) مؤتمر الأمم المتحدة للتغير المناخي، مؤتمرات سنوية تعقد في إطار اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن التغير المناخي (UNFCCC). تعدُّ بمثابة الاجتماع الرسمي للأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن التغيُّر المناخي (مؤتمر الأطراف، كوب) لتقييم التقدُّم المحرز في التعامل مع التغير المناخي -بدءًا من منتصف التسعينيات- للتفاوض لوضع التزامات ملزمة قانونًا للدول المتقدِّمة للحدِّ من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري.

(٢) عبد الرحمن أبو طالب، مؤتمر المناخ ٢٠٢٢: ماذا ينبغي أن تعرف عن قمة شرم الشيخ للمناخ؟، بي بي سي عربي، ١ أكتوبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٣ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/R4UvK>

(٣) أس ذكي، كوب ٢٧.. دليلك لفهم مصطلحات قمة المناخ، الجزيرة.نت، ٧ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٧ فبراير، ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/qCDaK>



المصدر: منظمة الأغذية والزراعة، 2020

ورغم المخرجات الكبيرة والهامة التي خرج بها مؤتمر جلاسكو، فإنه لم يتحقق منها سوى نتائج ضعيفة، وذلك وفقاً لثلاثة معايير رئيسية: الأولى هي الإبقاء على هدف ارتفاع درجة حرارة الأرض ١,٥ درجة مئوية بنهاية هذا القرن، وهذا سيحدث بالمعيار الثاني وهو التخلُّص التدريجي من الوقود الأحفوري بصفة عامة، والفحم بصفة خاصة، ويحدث هذا من خلال الاستثمار في مصادر الطاقة النظيفة، والمعيار الثالث هو التأكيد على منح الدول الفقيرة ١٠٠ مليار دولار سنوياً لمساعدتها في التكيف مع أزمة المناخ^(٣)، ولكن ما هي إلا أسابيع قليلة حتى اندلعت الحرب الروسية الأوكرانية وفككت هذا التفاهم الهش. والجدير بالذكر أن الحرب الروسية لم تكن هي العائق الأساسي والوحيد، فالخبرة التاريخية تؤكد أن هذه النتيجة لم تحدث حصراً مع مؤتمر جلاسكو، فمعظم مؤتمرات المناخ لم يتحقق منها إلا أقل القليل، وسنوضح أسباب ذلك بعد قليل.

ثانياً- واقع أزمة تغير المناخ:

يعيش العالم أزمة وجودية تستهدف حياة الجميع، ليس الإنسان فحسب، بل كافة أنواع الكائنات الحيّة، بسبب نموذج تنموي حديثي مدّمّر لا يركّز سوى في لحظته الآتية وهنا فقط،

الماضي بطلب لاستضافة دورة عام ٢٠٢٢ من المؤتمر، ووقع الاختيار عليها باعتبارها الدولة الأفريقية الوحيدة التي أبدت رغبتها في استضافته. وسنحدث فيما بعد عن طريقة تعاطي النظام المصري مع قضية المناخ منذ عام ٢٠١٥، حتى وصلت لتنظيم أهم مؤتمر عالمي في هذا الملف.

نجحت قمة جلاسكو التي عُقدت في المملكة المتحدة في ٢٠٢١ في الوصول لاتفاق يهدف لتقليل حجم المخاطر البيئية التي يتعرّض لها كوكب الأرض، لتصبح أول اتفاقية في التاريخ التي تنص صراحةً على تقليل استخدام الفحم الذي يتسبب في زيادة الانبعاثات الغازية في الغلاف الجوي. كما تعهدت الوفود المشاركة أن تعمل على إنجاز قمة المناخ التي ستعقد في مصر، للاتفاق على زيادة نسبة تخفيض معدلات انبعاثات غازات الدفيئة وثنائي أكسيد الكربون، بما يتماشى مع تقليل معدل زيادة درجة حرارة الكوكب إلى أقل من ١,٥ درجة مئوية. بالإضافة إلى تعهد قرابة الخمسمائة شركة من كبرى الشركات التي تعمل في مجال الخدمات المالية العالمية، على تخصيص استثمارات مالية بقيمة ١٣٠ تريليون دولار لإعادة العمل على إحياء وتنفيذ أهداف مؤتمر باريس في ٢٠١٥، الذي يعدّ واحداً من أهم مؤتمرات المناخ^(١).

وقد اتفقت الوفود المشاركة في قمة جلاسكو على إنهاء إزالة الغابات، والعمل على زيادتها وفقاً لخطة ٢٠٣٠، وقد شمل هذا الاتفاق تخصيص ١٤ مليار جنيه إسترليني على دعم هذا الهدف، فالغابات تعدّ هي رئة العالم، والعامل الأهم على امتصاص ثاني أكسيد الكربون الذي يؤدي لأزمة الاحتباس الحراري، ورغم ذلك فقد تعرّضت الغابات لعملية تصفية مميتة واستنزاف أدّى إلى خسارة مساحة واسعة منها، حيث قُطعت مساحات شاسعة من غابات الأمازون المطيرة^(٢).

(٣) قمة المناخ في جلاسكو.. معايير دقيقة للحكم على النجاح والفشل، سكاى نيوز عربية، ٣٠ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٨ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/1bcjS>

(١) عبد الرحمن أبو طالب، مؤتمر المناخ ٢٠٢٢، مرجع سابق.
(٢) جورجينا رانارد، قمة المناخ: قادة العالم يتعهدون بوقف إزالة الغابات بحلول ٢٠٣٠، بي بي سي عربي، ٢ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٥ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.ly/e4bM9QT>

حتى وليدة التسعينيات، فتوقيت إعلان الاهتمام بالمناخ أحد أبرز القضايا المثارة في أوساط الدول التي ترى أن الغرب هو مصدر الأزمة، في حين يرى الأخير أن تبني الصين لسياسة تصنيع خالية من أي رقابة أو ضوابط، هو من أبرز أسباب أزمات المناخ، وبالتالي لا يجب تحميل الغرب فاتورة الفساد والتخلف الصيني في التصنيع بدون معايير.

الغريب في الأمر، أن العديد من الدول الأوروبية أعادت استخدام الفحم كوسيلة للطاقة، رغم أنه أحد أبرز أسباب أزمة الاحتباس الحراري، فقد أعلنت ألمانيا والدول الغربية- التي قطعت عنها روسيا الغاز بسبب مواقفهم من الغزو الروسي لأوكرانيا- أنها ستعمل على توفير الطاقة بما تملكه من أدوات كالفحم، ناهيك عن فرنسا التي ستعمل على توليد الطاقة من المفاعلات النووية، رغم خطورة استخدامها، وبالتالي فهذا يوضح أن الاهتمام الغربي بقضايا المناخ مفتعل^(٢)، ومقصود به حرمان الدول الصاعدة في قيادة العالم.

ورغم أن كوارث تغير المناخ واضحة وجلية للعيان، فإن دول الجنوب هي الأكثر تضرراً من هذا السياق وليس دول الشمال، وذلك لأن دول الجنوب وفي مقدمتها الشرق الأوسط، والدول الأفريقية تبدو الأكثر تأثراً بالتغير المناخي الذي بات يهدد بأثار سلبية خطيرة، فعلى سبيل المثال، تُعدُّ تيرة ارتفاع درجات الحرارة والرطوبة في الشرق الأوسط ضعف المتوسط العالمي تقريباً، وغيرها من الأزمات التي قامت منظمة "جرين بيس" بالإشارة إليها مستغلةً أن كوب ٢٧ سينعقد في واحدة من الدول التي تُعاني من تداعيات أزمة المناخ، فقد نشرت تقريراً تفصيلياً بعنوان صادم "على شفير الهاوية"، تناول أزمات في المياه والغذاء وموجات شديدة الحرارة ستعاني منها الأجيال المقبلة، وقد أكد التقرير الذي أعدته مختبرات "جرين بيس" للبحوث في جامعة أكسيتر البريطانية، أن درجات الحرارة ترتفع بمعدل متسارع يصل إلى ٠,٤ درجة مئوية لكل عقد، وبالتحديد منذ ثمانينيات القرن الماضي وهو ما يعادل ضعف المعدل العالمي". ونظراً

ويهمل ما ينتظرنا جميعاً، إن الدول المسؤولة عن هذا الوضع هي الدول التي تنغى بأرقامها القياسية في النمو الاقتصادي، متجاهلة تماماً تكلفة هذا النمو، وهل هو تقدم حضاري حقيقي أم تقدم للخلف. وإن الدول التي تسببت في أزمة المناخ حالياً، ترفض تحمّل مسؤوليتها، وتزعم أن ما حدث مجرد آثار جانبية يمكن "التكيف" معها، حتى لا تكون مضطرة لتعويض المتضررين من سياساتها، والمحصلة أن التلوث ما زال مستمراً وبأرقام مرعبة، رغم مرور ٢٧ عاماً على انعقاد أول قمة للمناخ، فوفق "أحدث التقارير الخاصة بالتلوث، تساهم الصين بـ٢٧٪، وأمريكا بـ١٠٪ والاتحاد الأوروبي بـ١٠٪، وبقية الدول الغنية تتحمل النسب الكبرى، وتلها دول العالم النامي. والمعادلة هنا، أنه كلما كانت الدول أكثر تصنيعاً، كانت أكثر تلويثاً للأرض وللبيئة وللإنسان. لا تقتصر المسألة على التغير المناخي، وارتفاع درجات حرارة الأرض، عن درجة ونصف، وذوبان الجليد، وارتفاع مستوى البحار. بل الأمر يتبلور في عشر قضايا خطيرة، ويحتاج إيقاف التدهور فيها فعلاً إلى سياسات كبرى، على مستوى سياسات النظام العالمي، وعلى مستوى الاقتصاديات كذلك، وهي: التغير المناخي، والزيادة في حموضة المحيطات، وانقراض العديد من الأنواع النباتية والحيوانية، وفقدان التنوع البيولوجي، وفقدان غطاء الأرض الأخضر، واختلال دورة النيتروجين والفوسفور، وتراجع منسوب المياه العذبة وزيادة التصحر، والتلوث الكيميائي والنووي، وتآكل طبقة الأوزون وانتشار الأوبئة"^(١).

ترى الدول التي وصلت للتقدم متأخراً -وعلى رأسها الصين- أن الدول الغربية تستخدم ورقة تغير المناخ لوقف تقدمها ونموها، وحتى الهند نفسها ترى أنه يفرض عليها تبني سياسات تضر بها، ولا يفعل الأمر مثله مع الدول الأوروبية. والأمر أصبح كذلك مع صعود دول أخرى كروسيا، فهذه الدول مجتمعة ترى أن الاهتمام بالمناخ تأخر عندما أصبح النمو في الغرب ضعيفاً وفي طريقه للركود، فهل أزمات المناخ وليدة اليوم، بالطبع لا ولا

<https://cutt.ly/l4b1bj1>

(٢) المرجع السابق.

(١) عمار ديوب، في تحديد المسؤولية عن التغير المناخي، العربي الجديد، ١٣ نوفمبر ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ٢٥ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

الفقر. ولذلك حرصت مصرُ على مدى السنوات الماضية على الانخراط بقوة ولعب دور مؤثر في توجيه أجندة العمل الجماعي الدولي في هذا الخصوص، حيث أطلقت مصرُ مبادرتين أفريقيّتين معنيتين بتغيُّر المناخ عامي ٢٠١٥ و٢٠١٦ تُعنى أولاهما بالطاقة المتجدّدة في أفريقيا، والأخرى بدعم جهود التكيف في القارة. كما ترأست مصر عام ٢٠١٨ مجموعة الـ ٧٧ والصين في مفاوضات تغيُّر المناخ، وكذلك مجموعة المفاوضات الأفارقة، وبذلك كانت المتحدث باسم الدول النامية لاسيما الأفريقية منها والمعبر عن رؤاها وأولوياتها حول هذه القضية الحيويّة^(٢).

وفي نفس السياق، أكّد الدكتور محمود محيي الدين -رئيس المناخ للرئاسة المصرية- أن أفريقيا أثبتت قدرتها على أن تلعب دورًا كبيرًا في معالجة أزمة المناخ، بعدما طرحت حلولاً علمية قابلة للتنفيذ، مشيرًا إلى وجود ٢٢ دولة أفريقية تعتمد الآن على مصادر الطاقة المتجدّدة، وذلك بفضل تخصيص ١٠,٥ مليار دولار في الاستثمار في الطاقة النظيفة، وذلك وفقًا لرؤية استخدام الهيدروجين الأخضر كمصدر للطاقة^(٣). ناهيك عن وجود أكبر أربعة مشروعات للطاقة الشمسية في العالم على أرض أفريقيا ومنها محطة الطاقة الشمسية في بنبان بأسوان، موضِّحًا أن إفريقيا يمكنها أن تكون مصدرًا رئيسيًا لإنتاج وتصدير الطاقة الخضراء في العالم.

وفي حديث مع بي بي سي، حذّر محيي الدين من أن عدم وفاء الدول الكبرى بتعهداتها بتقديم ١٠٠ مليار دولار سنويًا للدول النامية والفقيرة لمجابهة التغيُّر المناخي؛ قد يضاعف من مساهمتها في إنتاج الانبعاثات الضارة التي تبلغ حاليًا ٣٪ من

لوجود انبعاثات كربون عالية تخرج من منطقة الخليج الغنية بالنفط فمن المتوقع أن تتجاوز درجات الحرارة إلى ٥٦ درجة مئوية في المستقبل القريب. وبالنسبة لمصر التي تستضيف الدورة الحالية من مؤتمرات المناخ، فيتوقّع خبراء أن تفقد بحلول العام ٢٠٦٠ نصف إنتاجية قطاعها الزراعي، بسبب أزمات التصحُّر والجفاف وارتفاع درجات الحرارة وشحّ المياه. وبحسب اليونيسيف، تقع ١١ دولة من أكثر ١٧ بلدًا افتقارًا للمياه في العالم، في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا^(١).

ثالثًا- مصر في الطريق إلى مؤتمر تغيُّر المناخ:

لقد ظهرت نتائج أزمة تغيُّر المناخ على العديد من الدول، وتسبب ذلك في حدوث متاعب اقتصادية واجتماعية عاشتها تلك الدول، بسبب ندرة المياه وانتشار التصحُّر بالإضافة إلى زيادة حدة الكوارث البيئية كالفيضانات والأعاصير والحرائق، كما سبق الذكر، وتمثّل تلك الأحداث تحديات جديدة تضغط بصورة سلبية كبيرة على قدرة حكومات الجنوب التي تُعاني اقتصاديًا واجتماعيًا، كما تمثّل عبئًا جديدًا نظرًا للخسائر الاقتصادية الكبيرة التي تنتج من تلك الكوارث.

فبالرغم من أن القارة الأفريقية هي -تاريخيًا- الأقل إسهامًا في إجمالي الانبعاثات الكربونية العالمية، فإنها من أكثر المناطق تضررًا وتأثرًا بتغيُّر المناخ مثل: تزايد وتيرة وحدة الظواهر المناخية المتطرّفة، وارتفاع منسوب البحر، والتصحُّر، وفقدان التنوع البيولوجي، مع ما تمثّله هذه الظواهر من تهديد لسبل عيش الإنسان ونشاطه الاقتصادي وأمنه المائي والغذائي وقدرته على تحقيق أهدافه التنموية المشروعة والقضاء على

كوب ٢٧، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٦ أبريل ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٤ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/RGfqF>

(٣) محمود محيي الدين: أفريقيا تسعى لتطوير وتعميم استخدام تكنولوجيا التكيف مع التغيُّر المناخي، الهيئة العامة للاستعلامات، ٢٠ يونيو ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٠ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <http://bit.ly/3Z4TXvM>

(١) أنس ذكي، على شفير الهاوية.. الشرق الأوسط في قلب مخاطر التغيُّر المناخي، الجزيرة نت، ١٢ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٣ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/XezID>

(٢) للمزيد انظر:
- مؤتمر الأطراف لاتفاقية الأمم المتحدة لتغيُّر المناخ، الهيئة العامة للاستعلامات، ١٢ مايو ٢٠٢٢، (COP 27) مصر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٩ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <http://bit.ly/3yYPfVM>
الطريق إلى الدورة السابعة والعشرين لمؤتمر الدول الأطراف لتغيُّر المناخ

قوة في سبيل تحقيق هذا الهدف، متجاهلةً للضغوط الأوروبية في التركيز على قضية ١,٥ درجة مئوية، أو حتى الانشغال بقضية مصادر التقليل، وهل ستكتب في المسودة النهائية للجلسة الختامية التخلُّص التدريجي للوقود الأحفوري أم التقنين والتقليل التدريجي. فقد أدركت الدول المتضررة أن المؤتمر يناقش كلَّ سنة قضايا لا تمسُّها وبعيدة عنها، خاصة قضايا التصنيع والتلوُّث ومصادر الطاقة، في حين أنها أقلُّ الأطراف تأثيراً في هذا الشأن، وأكثرهم عرضة للضرر، وقد أدركت الدول المتضررة أنه ثمة أغراض كثيرة من تجاهل الدول الغنية لفتح هذا الملف، وأبرز تلك الأسباب هو أن الدول الغنية تخشى أن تفتح على نفسها باباً من التعويضات الذي لا ينتهي، ناهيك عن أن قبولها بهذا الأمر، يعني اعترافها بالمسؤولية عما حدث ويحدث وسيحدث في المستقبل، لذلك تحاول الدول الغربية إلقاء التهمة على الصين واستراتيجياتها في التصنيع، مؤكدة على ضرورة أن تساهم بجزء كبير من ملف التعويضات، متجاهلةً أن الصين بدأت متأخرة عن الثورة الصناعية بعقود عن نظرائها في أوروبا والأمريكيتين، في حين ترى الصين أن الدول الغربية هي المسؤولة عن الاختلال المناخي، كما أن قبولها المساهمة في ملف التعويضات يجب أن يسبقه اعتراف الدول الغربية بأن الصين ليست دولة نامية وأنها دولة متقدمة ومؤثرة في المجتمع الدولي. ولذلك استمرَّ هذا الجدل أسبوعين من المفاوضات ولم يسجَّل تقدماً يُذكر نحو تقريب وجهات النظر، بسبب تمسُّك كلِّ طرف بموقفه^(٣).

وبالرغم من أن الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية فتحا الطريق أمام مناقشة ملف التعويضات والخسائر، وأعلنا تخصيص أكثر من مليار يورو (نحو مليار و٣٣ مليون دولار أمريكي) لتمويل تكيف الدول الأفريقية مع تغير المناخ، من بينها ٦٠ مليون يورو للخسائر. فإنهما اشترطا أن يتم تنظيم هذا الأمر

إجمالي الانبعاثات العالمي. أي إنه يؤكِّد أن أفريقيا قد تؤدي إلى تفاقم أزمة تغير المناخ، إذا لم تف الدول المسؤولة عن الوضع عن تحمُّل نتيجة سياساتها في تعويض الدول المتضررة^(١).

وذلك على الرغم من أن مصر لم تتخذ إجراءات جديَّة فيما يخصُّ تبني سياسات الحفاظ على المناخ، ومن ذلك على سبيل المثال التوسُّع في صناعة الأسمت بقوة نتيجة تغطية الاحتياجات المتزايدة لصناعة المدن الجديدة وشبكات الطرق، حيث تُعدُّ صناعة الأسمت واحدةً من أكثر الصناعات الملوثة للبيئة والتي تسبب في أضرار بيئية وصحية للمواطنين، ورغم ذلك هناك اهتمام رسمي واضح بتحويل صناعة الأسمت لتكون صناعةً رائدة لتغطية الطلب المحلي والإقليمي المتزايد، لاسيما في ظلِّ مشروعات إعادة الإعمار في عدد كبير من دول المنطقة^(٢).

رابعاً- قضايا خلافية صاعدة من مؤتمر المناخ ٢٠٢٢:

شهدت جلسات كوب ٢٧ خلافات حادة ونقاشات ساخنة في عدد من الموضوعات أبرزها، موضوع التمويل، وتحديدًا تعويض الخسائر والأضرار التي تعرَّضت لها دول الجنوب، لاسيما وأن إدارة مصر للقمَّة من ناحية، ورغبة العديد من الدول النامية لعدم غلق هذا الملف قبل الخروج منه باتفاق يُبنى عليه في المستقبل تعويض البلدان المتضررة، بالإضافة إلى الخلاف على طرق التعامل مع مصادر الطاقة، وبصفة خاصة الفحم والنفط والغاز، وأخيراً، تركيز الأوربيين على إحياء هدف الحفاظ على ١,٥ درجة مئوية، وذلك وفقاً لاتفاقية باريس ٢٠١٥، التي تخشى الدول الأوروبية أن تموت أهم بنودها الخاصة بدرجة حرارة الأرض، وفيما يلي مزيد من التفصيل في تلك القضايا:

١- التمويل:

دخلت الدول المتضررة كوب ٢٧ تحت شعار "التعويضات ولا شيء قبل التعويضات"، فأخذت تضغط بكلِّ ما أوتيت من

الأهرام، ١٥ أغسطس ٢٠١٨، تاريخ الاطلاع: ٢٨ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/mU2Mz>

(٣) "كوب ٢٧" الخسائر والأضرار تعرقل اتفاق الأطراف، العربي الجديد، ١٧ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٥ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<https://cutt.us/q8gZ6>

(١) محمود سامي، بعد انتهاء قمة المناخ.. هذه أبرز مكاسب مصر وخسائرها، الجزيرة.نت، ٢٢ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/8aUwK>

(٢) داليا عطية، بعد توجهات الرئيس.. بدء معركة التصدي للموئات صناعة الأسمت.. وخبراء: أغلب المصانع تهدد صحة المصريين، بوابة

ووصفت صحيفة الجارديان البريطانية الاتفاق على إنشاء صندوق لتعويض الخسائر والأضرار بأنه بمثابة اختراق تاريخي، طالبت به البلدان النامية على مدى ثلاثة عقود. ولكنها أضافت أن الشيطان يكمن في التفاصيل عبر طرح عدّة أسئلة: من يمول هذا الصندوق؟ وما هي شروط حصول الدول على التعويضات؟ وهل ستقوم بردها أم لا؟ وهو نفس رد فعل الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، الذي تساءل عن الجهة التي ستقوم بدفع الأموال^(٥). وكأنه يرفع عن بلاده مسؤولية الأضرار التي يعيشتها العالم من جراء الثورة الصناعية، وما تلاها من أزمات.

كما أشادت الصحيفة باللغة الخاصة المطالبة بإصلاح المؤسسات المالية الدولية في البيان الختامي للمؤتمر، واعتبرتها إنجازاً حقيقياً أيضاً ويمكن أن تساعد، على سبيل المثال، البلدان النامية على الاستثمار في مصادر الطاقة المتجددة. لكن مرة أخرى، التفاصيل مهمة، فما هي التغييرات التي سيتم تنفيذها، وبأي سرعة؟ أم ستأخذ سنوات طويلة جديدة، تزيد من حدة الأزمة^(٦).

٢- الفحم ومصادر الطاقة والوقود الأحفوري:

يعتمد الاقتصاد العالمي بصورة شبه كاملة على مصادر الطاقة التي تتولّد من الفحم والوقود الأحفوري، إلا أنه ثمة ضغط على قضية استخدام الفحم بصفة خاصة، لاسيما أنه ينتج تلوثاً بصورة أكبر بكثير من مصادر الطاقة الأخرى، وهو ما دفع الوفود المشاركة في قمة جلاسكو إلى الخروج باتفاق لتقليل استخدام الفحم، إلا أن الهند طرحت هذا الملف بقوة في كوب

عبر البرامج والمؤسسات المالية القائمة، وليس إنشاء صندوق جديد خاص بهذا الغرض، إلا أن الدول المتضررة كانت تصرّ على إنشاء صندوق جديد تسهم فيه مع الدول الغنية في وضع لائحة عمله التنفيذية وأغراضه الكلية. وأكدت وزيرة البيئة الباكستانية شيري رحمن المتحدثة باسم (مجموعة ٧٧ والصين) التي تضم ١٣٤ دولة، في مؤتمر صحفي، بأنّ "تأخير إحقاق العدالة المناخية هو إنكار للعدالة"^(١). لاسيما في ظلّ زيادة حدة أضرار الكوارث البيئية التي تخلف عشرات الآلاف من الضحايا سنوياً، بخلاف الخسائر الاقتصادية الضخمة، وخير مثال على ذلك خسائر الفيضانات الأخيرة التي غمرت ثلث باكستان وتسببت وحدها بأضرار قُدِّرت بأكثر من ٣٠ مليار دولار^(٢).

ورغم أن جدول أعمال المؤتمر كان مقرراً أن ينتهي يوم الجمعة ١٨ نوفمبر ٢٠٢٢، فإن الدول المتضررة بقيادة مصر، مدّت المناقشات ٢٤ ساعة أخرى، وأقرّ مؤتمر الأطراف حول المناخ (كوب ٢٧) فجر اليوم الأحد ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٢ في شرم الشيخ تأسيس صندوق الخسائر والأضرار لتعويض الدول المتضررة، وصفّق المندوبون بعد إقرار إنشاء الصندوق خلال جلسة عامة ختامية بعد أسبوعين من المفاوضات الشاقّة^(٣)، ومن الجدير بالذكر، أنه منذ توقيع اتفاق باريس قبل ٧ سنوات، لم تنجح الدول النامية في وضع ملف الخسائر والأضرار على الأجندة الرئيسية، وإنشاء هذا الصندوق يُعدّ مكتسباً ستعمل الدول المتضررة على استكمالها بقوة في القمم المقبلة^(٤).

والأضرار" التي تتكبدها الدول النامية، بي بي سي عربي، ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٦ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<https://cutt.us/ijnV6>

(٥) كوب ٢٧: اتفاق على صندوق لمساعدة الدول المتضررة من الكوارث المناخية، العربي الجديد، ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٢ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/V6SMi>

(٦) مؤتمر المناخ ٢٠٢٢: نتائج المؤتمر "إنجاز حقيقي لكنها غير كافية"- الغارديان، بي بي سي عربي، ٢١ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٥ فبراير

٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/TffUY>

(١) من سيمول صندوق "الخسائر والأضرار" المناخية؟، يورونيوز، ٢١ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٧ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<http://bit.ly/3luX0zp>

(٢) "كوب ٢٧".. الخسائر والأضرار تعرقل اتفاق الأطراف، مرجع سابق.

(٣) مؤتمر المناخ بمصر يقر اتفاقاً لتمويل الخسائر والأضرار.. والمبعوث الصيني يصف المحادثات مع نظيره الأميركي بأنها "بناءة جداً، الجزيرة.نت، ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٣ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<http://bit.ly/42zq8Xc>

(٤) مؤتمر المناخ ٢٠٢٢: إقرار إنشاء صندوق لتعويض "الخسائر

موقف الدول المتضررة التي تطالب بتعويضات تساعدها في التكيف مع الأضرار التي حدثت وستحدث في المستقبل. وقد ظهر التناقض بين ما تنادي به الدول الغربية وما تنقذه بالفعل على أرض الواقع في تصريحات وزيرة الخارجية الألمانية أنالينا بيربوك التي وصفت الحد من ظاهرة الاحتباس الحراري بأنه أولوية قصوى، وأن البشرية تتحرك بقوة نحو الهاوية، حيث يتجاوز النسبة المحتملة للاحتباس العالمي بأكثر من ٢,٥ درجة مئوية^(٢).

والمثير للسخرية أن الوزيرة تجاهلت أن بلادها عادت بقوة لاستخدام الفحم في توليد الطاقة، نظرًا للأزمة التي يعيشها الاقتصاد الألماني بعدما قطعت موسكو الغاز عنها إثر أزمة الغزو الروسي لأوكرانيا. لقد سادت أجواء من غياب الثقة بين الدول الغنية والدول المتضررة، حيث لم تهتم الأخيرة بمقولات الأولى، لاسيما بعدما انسحبت الولايات المتحدة الأمريكية في فترة دونالد ترامب من اتفاقية باريس للمناخ، فرغم محاولات الدول الغنية إعادة الثقة في قضية المناخ من خلال الخروج بقرارات كبيرة في مؤتمر جلاسكو ٢٠٢١، ولكن في الحقيقة لم يُطبَّق منها شيء، ولذلك حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تمنح كوب ٢٧ زخمًا كبيرًا، لإعادة إحياء هذا الملف، وخرج جو بايدن الرئيس الأمريكي معتذرًا للعالم عن قرارات سلفه ترامب، مؤكدًا أن الأزمة المناخية تتعلق بأمن البشر والأمن الاقتصادي والأمن القومي والحياة على الكوكب، وأن هناك تشريع رئيسي أُقرَّ بدفع من إدارته يشمل أكبر استثمار حكومي أمريكي في الطاقة النظيفة، لتحقيق تعهدات بلاده في خفض انبعاثات الغازات الدفيئة بنسبة أكثر من ٥٠٪ بحلول عام ٢٠٣٠^(٣). وبحسب حديث ساميويل وربيرج المتحدث الإقليمي للخارجية الأمريكية لوكالة الأنباء المصرية، فإن الرئيس جو بايدن تعهد بمضاعفة تمويل صندوق المناخ ٤ مرات من الحد الأقصى الذي

٢٧، لأنها تعتمد على الفحم بصورة كبيرة في توليد الطاقة، ووجدت أن الضغط الذي يمارس عليها يجب أن يفعل الأمر مثله على باقي مصادر الطاقة التي تضرُّ بالمناخ، أو تعويضها ماديًا وتكنولوجياً بمصادر تساعدها على تطبيق عدالة الانتقال من مصادر الطاقة الملوثة إلى مصادر الطاقة النظيفة، ويقصد بعدالة الانتقال أو عدالة التحول، السماح للدول بالانتقال إلى مرحلة الاقتصاد الأخضر الذي يعتمد على الطاقة النظيفة على مدى زمني طويل، حتى لا يحدث اضطراب اجتماعي واقتصادي في تلك الدول، يؤدي إلى انهيارها. كما نجحت مساعي الهند والصين في تخفيف الصياغة لتصبح التقليل التدريجي لكل أنواع الوقود الأحفوري بدلًا من التخلُّص التدريجي.

ويرتبط هذا الخلاف بقضية أخرى وهي قضية الهدف الذي اتفقت عليه دول العالم بضرورة الحفاظ على هدف ١,٥ درجة مئوية الذي تم إقراره في اتفاق باريس ٢٠١٥، وهي معدل الزيادة التي يؤكد علماء البيئة أن أزمات تغيّر المناخ ستفاقم بصورة حادة لو زادت درجة الحرارة عن هذا الرقم^(٤).

وقد أخذت كافة وفود أوروبا تنادي بالتركيز على هذا الملف بصورة خاصة، في حين كانت الدول المتضررة مهتمة أكثر بملف الأضرار والخسائر، وقد عبّر سامح شكري، وزير الخارجية المصري ورئيس مؤتمر كوب ٢٧، عن موقف بلاده وموقف الدول المتضررة من هذه القضية، قائلاً: إن الحفاظ على سقف ارتفاع درجة حرارة الأرض عند ١,٥ درجة مئوية لا يزال في متناول اليد. من الناحية النظرية هذا صحيح، لكن من الناحية السياسية الأمر ليس كذلك، حيث يجب أن تنخفض الانبعاثات العالمية بنسبة ٥٠ في المئة بحلول عام ٢٠٣٠، بينما تسجل تلك الانبعاثات حاليًا أرقامًا قياسية جديدة. أي إنه يقول إن المؤشرات الأولية لا توضح أن هناك نية جدية من جانب الدول الأوروبية في تحقيق هذا الهدف، وبالتالي لا ينبغي استنكار

الرابط التالي: <http://bit.ly/40t02DI>

(٣) بايدن يعتذر عن الانسحاب من اتفاقية باريس للمناخ: حياة الكوكب في خطر، العربي الجديد، ١١ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٦ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <http://bit.ly/3Z0tGP6>

(١) كوب ٢٧ في يومه الختامي: مقترح جديد حول "الخسائر والأضرار" المناخية، العربي الجديد، ١٩ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٤ مارس ٢٠٢٣،

متاح عبر الرابط التالي: <http://bit.ly/3JXqGPf>

(٢) قمة عالمية في شرم الشيخ.. مصر تتسلم رئاسة مؤتمر المناخ كوب ٢٧، دويتشه فيله، ٦ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٣ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر

المتحدة كريستيانا فيجويريس، والدبلوماسية لورانس توبيانا إحدى مهندسي اتفاق باريس للمناخ المبرم عام ٢٠١٥، والذي يشكّل المرجع الأساسي للأهداف العالمية للحدّ من تغيّر المناخ. طالب الموقعون من رؤساء أكبر سبع شركات تكنولوجيا رقمية عالمية بينها تويتر وفيس بوك وجوجل بتبني سياسات صارمة تمنع انتشار المعلومات المناخية الزائفة على منصّاتها، على غرار ما حدث أثناء مواجهة الشائعات أثناء اجتياح فيروس كوفيد ١٩. فقد أظهرت دراسة استقصائية رافقت الرسالة، تأثير هذا التضليل على ستة بلدان من الاقتصادات الرئيسية في العالم، وهي الولايات المتحدة، وألمانيا، وبريطانيا، والهند، والبرازيل، وأستراليا، حيث يرى قرابة ٢٠٪ ممّن شملهم الاستطلاع أن ظاهرة الاحتباس الحراري هي ظاهرة طبيعية وليست من صنع البشر، رغم أن كلّ الهيئات والمؤسسات المعنية تؤكّد أن هذا الأمر غير صحيح، وأن ما حدث هو من صنع الإنسان بلا أدنى شك^(٤).

القضية الثانية هي أن الاستثمار في الطاقة النظيفة ما زال محدودًا للغاية ويحتاج إلى اهتمام أوسع، رغم أنها ضرورة حتمية يجب الانتقال إليها للتقليل من الأضرار التي تهدّد الحياة البشرية جميعها، وتعدّ المؤتمرات السنوية للمناخ فرصة لتنشيط الدعوات لخصّ الدول الصناعية الكبرى على القيام بدورها الواجب لإصلاح ما أفسدته بنهمها الرأسمالي وتغولها على البيئة^(٥).

والمحصّلة أن ملقّي التضليل الإعلامي والاستثمار في الطاقة النظيفة، هما وجهان لعملة واحدة، لأن الوعود على الاستثمار في الطاقة النظيفة قد سادت في قمم المناخ في السنوات الماضية، ولم يتمّ العمل بها في الحقيقة، وكأنّها مجرد كلمات

بلغته إدارة باراك أوباما، وتقديم ١١ مليار دولار من التمويل سنويًا بحلول ٢٠٢٤، وأوضح أن التمويل سيكون مقدّمًا لدعم جهود الدول الرامية لإزالة الكربون من اقتصاداتها وتعزيز ممارسات استخدام الأراضي الصديقة للمناخ وتعزيز التكيف والمرونة^(١). إلا أن الخبرة التاريخية طوال السنوات الماضية لم تبني أيّ جدار من الثقة على تطبيق تلك الوعود. وهو ما أكّده الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريس عندما اختتم كلامه في كوب ٢٧ بأن العالم يعاني من أزمة غياب الثقة بين دول الشمال ودول الجنوب، في الوقت الذي يحترق فيه العالم أمام أعيننا، لاسيما في ظلّ التوسّع في استخدام الوقود الأحفوري الذي يأخذ البشرية رهينة^(٢)، على حدّ تعبيره. وهذا صحيح في حقيقة الأمر، إذ لا تسمح الالتزامات الحالية للدول المختلفة بتأتا بتحقيق هدف حصر الاحترار بـ ١,٥ درجة مئوية. وتفيد الأمم المتحدة بأنها تسمح بأفضل الحالات بحصر الاحترار بـ ٢,٤ درجة مئوية في نهاية القرن الحالي^(٣).

خامسًا- على هامش قضايا تغير المناخ:

ولكن ثمة قضيتين يمكننا أن نختم بهما هذا التقرير، القضية الأولى خاصة بعملية التمويه / الغسل الأخضر، وهي عملية التضليل الإعلامي التي يتعرّض لها عددٌ هائلٌ من الأشخاص حول الأسباب الحقيقية التي تقف خلف أزمة تغيّر المناخ، وتضرب هذه العملية بإجراءات إنقاذ ما يمكن إنقاذه في ملف أزمة تغيّر المناخ، لاسيما وأن هذا الملف يحتاج لجهود جماعي من الحكومات والمؤسسات وحتى الأفراد، وبالتالي تسهم عملية التضليل في تعميق الأزمة، ففي رسالة مفتوحة وقّعها ٥٥٠ مجموعة وفردًا، من بينهم مسؤولة المناخ السابقة بالأمم

(٤) ناشطون يحثون قادة كوب ٢٧ على مكافحة التضليل الإعلامي حول تغير المناخ، العربي الجديد، ١٦ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٨ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/2EWAq>

(٥) خمسة إجراءات حاسمة الأهمية لبدء التحول إلى استخدام الطاقة المتجددة الآن، الأمم المتحدة، تاريخ الاطلاع: ٣ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/d5zZu>

(١) أحمد ذكر الله، تحديات مقلقة أمام قمة المناخ، العربي الجديد، ١٣ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <http://bit.ly/3TGnZF2>

(٢) "كوب ٢٧" .. الخسائر والأضرار تعرقل اتفاق الأطراف، مرجع سابق.

(٣) "كوب ٢٧": اتفاق على صندوق لمساعدة الدول المتضررة من الكوارث المناخية، مرجع سابق.

الرقمية التي ستحتاج إلى عقد مثل تلك الصفقات لتحسين صورتها أمام الجمهور، لاسيما في ظل انتقادات انتهاك خصوصية مستخدمي العالم الرقمي، وبالتالي ستكون بحاجة للمساعدة في هذا الملف.

خلاصة القول، انتهى مؤتمر كوب ٢٧ بخيبة أمل عند الدول الأوروبية وفرحة أمل عند الدول الفقيرة ظهرت في التصفيق الحار لوفودها عقب نهاية المؤتمر، رغم أن الخبرة التاريخية تشير إلى عدم تحقيق أغلب وعود المؤتمرات السابقة، إلا أنها شعرت أن انجاز تأسيس صندوق الأضرار والخسائر يمكن أن يكون بداية صحوة تلك الدول للمطالبة بحقوقها وعدم التنازل عنها، رغم أن خبرات العالم في السنوات الماضية لا تعني بالضرورة أن هذا سيحدث، فقد وافقت الدول الغنية في عام ٢٠٠٩ على المساهمة بـ ١٠٠ مليار دولار سنويا بحلول عام ٢٠٢٠ لمساعدة الدول الفقيرة ودعم جهود التكيف، ولكن هذا لم يتحقق بعد حتى الآن، وفي ظل الظروف الحالية تضاءلت احتمالات تحقيق الأهداف الخاصة باتفاق باريس، والذي يهدف لحصر الاحتباس الحراري عند ١,٥ درجة مئوية، وحتى بفرض احترام الدول الموقعة على الاتفاقيات السابقة بتعهداتها الحالية، فإن النتيجة المتوقعة في نهاية المطاف ستكون ارتفاع الانبعاثات بنسبة تتراوح بين ٥ و ١٠٪، الأمر الذي يضع العالم على مسار تصاعدي في درجة الحرارة قدره ٢,٤ درجة مئوية في أفضل الحالات بحلول نهاية القرن الحالي^(٢).

وكي نكون منصفين، فإن مؤتمر شرم الشيخ لم يكن سلبياً وعديم الجدوى، لكن كان هناك طموح لحلّ كلِّ مشاكل المناخ، واصطدم ببعض الصعوبات، وعلى رأسها التعامل مع عشرات الأطراف المتصارعة وغير المتفّقة، نظراً لحدّة الاستقطاب الدولي، والأهم من كلّ ذلك، هو أن هناك شركات متعدّدة الجنسيّات ترغب في حماية مصالحها من استمرار العمل بالوقود الأحفوري، وهذه الشركات تضغط بقوة لإفشال كافة مؤتمرات المناخ، ناهيك عن أن التحوّل من الوقود الأحفوري إلى

تُقال لتجميل الوضع الكارثي للمناخ، وتهدئة الشعوب وتضليل المهتمّين بهذا الملف.

خاتمة:

تناول الفصل التاسع لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة عدداً من الإشكاليات التي لطالما مثّلت بؤراً استقطاباً بين الوفود المشاركة في مؤتمرات المناخ، وعلى رأس تلك الإشكاليات هو معالجة الترابط بين المشكلات البيئية وطرح رؤية كئيبة للتعامل معها، فعلى سبيل المثال، الربط بين مشكلات الهواء والمياه والتصحر وفقدان التنوّع، بحيث تكون الحلول كئيبة وشاملة، والإشكالية الثانية هي ربط البيئة بالتنمية، وعدم الفصل بينهما، والتأكيد على أن حلّ مشكلات الفقر المدقع والتوسّع في مشروعات التنمية، لا ينبغي أن ينفصل عن البيئة، بل هو جزءٌ منها، حتى لا تكون أضرار هذه التنمية أكبر من مكاسبها.

هناك إشكاليات كبرى أخرى، ستؤثر أيضاً على قضايا المناخ، وهي خاصة بالحرب الباردة الجديدة المتصاعدة بين بكين وواشنطن، وستنعكس بالطبع على الجهود الرامية لمعالجة آثار تغيّر المناخ، رغم تأكيد مبعوث الصين لشؤون تغيّر المناخ شيه تشن هوا "أن الولايات المتحدة والصين أجريا محادثات بناءة في قضية تغير المناخ ومن المقرر أن يستمر تبادل الحوار بين البلدين"^(١). إلى أن تصاعد حدة الخلافات الصينية الأمريكية، ستلقي بظلالها بقوة على ملف المناخ، لاسيما أن المتضرر الأكبر من الوضع المناخي ليست الدول المتقدمة، ولكن الدول الفقيرة. ناهيك عن إشكالية الشركات متعددة الجنسيات التي بنت امبراطورياتها وفقاً للأوضاع القائمة، والتي لن تتنازل بسهولة، وستعمل بقوة على الاستمرار في عمليات التضليل الإعلامي، وهنا يأتي بقوة أهمية الجهود الفردية ومنظمات العمل الأهلي غير الرسمي، على ضرورة التوعية بمخاطر تغير المناخ القادرة على إنهاء الحياة على كوكب الأرض وليست إنهاء الوجود البشري فقط، ومن المهم هنا عقد شراكات مع شركات التكنولوجيا

<http://bit.ly/3Mx7Jom>

(٢) أحمد ذكر الله، تحديات مقلقة أمام قمة المناخ، مرجع سابق.

(١) مبعوث الصين للمناخ: أجرينا محادثات بناءة مع الولايات المتحدة على هامش (COP27)، الأهرام، ٢٠ نوفمبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي:

ولكن شريطة الصدق والإخلاص والجديّة في ضرورة البدء في إجراءات الإنقاذ.

الطاقة النظيفة سيؤثّر بقوة على السّلم الاجتماعي والاستقرار الاقتصادي في معظم دول العالم، لذلك فهو بحاجة إلى التّأني،

الرياضة والسياسة والهوية: جدالات كأس العالم لكرة القدم ٢٠٢٢

إيمان علاء الدين*

تكون مجرد لعبة. ويرى سايمون كوبر، صاحب الكتاب الأبرز حول كرة القدم والسياسة "كرة القدم في مواجهة العدو": أن "كرة القدم ليست مجرد كرة قدم: إنها تساعد في صنع الحروب والثورات، وتبهر المافيا والديكتاتوريين"^(١). وقد أثبتت كرة القدم دائماً علاقات معقدة مع السياسة والمجتمع؛ بسبب جاذبيتها العالمية وعلاقتها القوية بالولاءات المحلية. فهي توفر مساحة للأداء العام للهويات المجتمعية، لكل من أولئك الذين يرسمون القيم الثقافية المهيمنة والآخرين الذين ينتقدون الوضع الراهن ويحفلون باختلافاتهم^(٢).

فتتشكل أندية مثل النادي الأسكتلندي سيلتك Celtic بسبب الاضطرابات السكانية والهجرة، وغيرها من الأسباب (وينعكس الأمر بشكلٍ صريحٍ أو ضمني من خلال تصرفات جماهيرهم)، أيضاً هناك نادي بودابست (المجري) Mtk Budapest ونادي هابويل (الإسرائيلي) Hapoel Taibe ونادي برشلونة (الإسباني) Barcelona المرتبطون بالاستقلال أو الحركات الانفصالية الإقليمية والعرقية القومية والمجتمعات الدينية. في حين أن البعض الآخر من الأندية، مثل الإسرائيلي بيتار القدس والإيطالي لازيو Lazio والألماني سانت باولي St Pauli، يُستخدمون لتعزيز الأيديولوجيات والأحزاب السياسية. كما تستمر الخلافات السياسية الدولية الأوسع نطاقاً مثل حظر العلم الفلسطيني، وارتداء رموز مثل الخشخاش البريطاني^(٣)، في إثارة الجدل بين مجتمعات اللاعبين والمعجبين على حدٍ سواء. أيضاً تستمر العنصرية ومناهضة العنصرية في

مقدمة:

عندما يُطلق حكم مباراة كرة القدم صافرة البداية، ينطلق اللاعبون في أرض الملعب وتتعالى هُتافات المشجعين في مدرجاته وخلف الشاشات، إلا أن اللعبة تتجاوز كثيراً حدود الملعب وخطوطه وقوانين الكرة. قد يتسع مشهد المباراة ليضم اللاعبين وخلفياتهم السياسية، والثقافية، والعرقية، والدينية. وكذلك ترتفع أصوات المشجعين ورايات الفريق الذين يدعمونه مع رايات هوياتهم، التي جاءوا لينافحوا عنها جنباً إلى جنب مع تحركات الكرة على أرض الملعب. فغالباً ما تذهب مباراة كرة القدم بالملايين الذين يعيشونها أبعد كثيراً من رغبتهم البسيطة في مجرد مشاهدتها. وعند الحديث عن الفعاليات الرياضية الدولية تأخذ اللعبة مساراً سياسياً أشد وضوحاً، فتصبح حلبةً من حلبات الصراع التي تتنافس فيها الدول والهويات العالمية والسرديات التاريخية الكبرى. هذا ما حدث في بطولة كأس العالم لكرة القدم لعام ٢٠٢٢ التي استضافتها قطر.

ويحاول هذا التقرير الوقوف على جدالات اشتباك الرياضة والسياسة وأسئلة الهوية، التي ثارت مع مونديال قطر. فعلى الرغم من اعتبار نسخة قطر الأفضل في تاريخ بطولة كأس العالم لكرة القدم، إلا أنها احتلت في نفس الوقت صدارة المشهد العالمي بسبب عدد من القضايا الشائكة التي اشتعل الجدل حولها في جميع أنحاء العالم تقريباً.

كرة القدم والسياسة:

تعتبر كرة القدم الرياضة الأكثر شعبيةً في العالم. وعندما تكون لعبة ما مهمة للمليارات الأشخاص، فإنها تتوقف عن أن

* باحثة دكتوراه في النظرية السياسية بجامعة القاهرة.

(1) Simon Kuper, Football Against the Enemy, accessed at : 26 February 2023, available at: <https://bit.ly/3ZlPbiH>

(2) James Carr, Daniel Parnell, Paul Widdop, Martin J. Power, Stephen R. Millar, (eds), Football, Politics and Identity, accessed at: 26 February 2023, available at: <https://bit.ly/3IV4rZx>

(٣) ترمز زهرة الخشخاش الحمراء لضحايا الجنود البريطانيين في الحرب العالمية الأولى، وكذلك للقتلى من الجنود البريطانيين خلال جميع الحروب التي تلتها،

النخب العربية المحلية في كثيرٍ من الأحيان إنشاء نوادي كرة القدم، ونظمت المسابقات كعلامة للتقدم الاجتماعي والثقافي في صراعاتهم من أجل الاستقلال. ولعل أبرز مثال على ذلك هو الفريق الذي شكلته حركة استقلال الجزائر، والمعروفة باسم F.L.N، في المنفى عام ١٩٥٨ كجزءٍ من معركتها ضد الحكم الفرنسي، وقد تنافس الفريق ضد الفرق الوطنية الأخرى حتى قبل وجود الجزائر المستقلة. علمًا أنه تحت ضغط من فرنسا، عاقبت الفيفا الفرق التي لعبت مباريات مع فرقة F.L.N^(٤).

ويمتد الفعل السياسي لكرة القدم إلى المسرح الداخلي للأنظمة السياسية. كما يرى كريتشلي أنه يمكن -وهذا ما يحدث في كثيرٍ من البلدان- أن تُستخدم كرة القدم كأفيون للشعوب، "يستنزف طاقتهم، ويصرف انتباههم عن المعارك الاجتماعية الأكثر أهمية؛ زمانًا ومكانًا، كما أنه يشل قدرتهم على العمل السياسي. لا ريب أن كرة القدم شكل من أشكال السيكلوجيا الجماهيرية التي قد تُشرعن أشنع صور القبلية على مستوى النادي، وأبشع صور القومية على مستوى الوطن"^(٥). كما لاحظ كريتشلي تلك العلاقة بين الاستعمار وكرة القدم؛ من جهة تحاول الدول المستعمرة سابقًا الانتقام من مستعمرها في مباريات كرة القدم (كما حدث من فوز للمغرب على فرنسا في كأس العالم ٢٠٢٢). ومن جهةٍ أخرى، تُرسخ اللعبة ونواديها وجماهيرها تقسيمات السكان الأصليين والأجانب غير الموثوق

قتال بعضهما البعض على أرض الملعب وفي المدرجات^(١). هذا، وتتضمن كرة القدم الحديثة في بنيتها التنظيمية العالمية نماذج ومساحات للسياسة لا يُستهان بها. حيث تُقدم بطولتا كأس العالم والأولمبياد منصةً لجميع الدول، والأهم من ذلك كله للدول الصغيرة، منصة لا مثيل لها من قبل أي هيئة ثقافية أو سياسية أخرى، حتى الأمم المتحدة. ففي فترة ما بعد الاستعمار، في مراحل مختلفة من القرن العشرين، سمحت تلك المساحة الرياضية للدول الصغيرة والناشئة من أفريقيا وآسيا ومنطقة البحر الكاريبي وأجزاء من أوروبا الشرقية التي كان يهيمن عليها الاتحاد السوفياتي سابقًا، سمحت لها بتأكيد استقلالها الوطني على المسرح العالمي^(٢). كما قدمت أيرلندا مثالاً على أزمة الهوية من خلال كرة القدم، فبعد تقسيم أيرلندا نشأ بها اتحادان لكرة القدم يتنازعا، ذلك قبل أن يكون هناك دولة تسمى "جمهورية أيرلندا". وكان عندما تلعب "الجمهورية" مباراة ضد "الشمال" فإن أيرلندا في تلك اللحظة تلاعب نفسها، كما حدث عام ١٩٧٨^(٣).

ولا تنفك كرة القدم العربية عن هذه الطبيعة السياسية للعبة، خاصةً في فترات استعمارها والكفاح ضده. فقدم المسؤولون البريطانيون والفرنسيون كرة القدم كجزء من الجهود المبذولة لتنمية الطاعة والانضباط بين الأشخاص المستعمرين، من خلال التركيز على التكييف البدني والهيكل القائم على القواعد التي تُقدمها كرة القدم. في المقابل، استدعت

<https://bit.ly/3Z4j1DU>

(٣) سايمون كريتشلي، فيم نفكر حين نفكر في كرة القدم؟، ترجمة: محمود عبد الحليم، (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، ٢٠٢٢)، ص ٧٩. ويضيف كريتشلي مفارقة هوية أخرى في هذه المباراة: "كان المستوى الثاني من المفارقة أن كثيرًا من لاعبي "الجمهورية" كانوا من مواليد انكلترا؛ خاصة في أثناء تولي المدرب العظيم جاك تشارلتون تدريب الفريق، وكان الفريق يُعرف غالبًا باسم "فريق إنكلترا ب"، والتي تعني "الإيرلنديين غير الأصليين".

(4) Abdullah Al-Arian, Why the World Cup Belongs in the Middle East, the newyork times, 18 november 2022, accessed at: 27 February 2023, available at: <https://nyti.ms/3xWp1mb>

(٥) سايمون كريتشلي، مرجع سابق، ص ١٧٦.

وتعتبر رمزًا وطنيًا لتكريم الجنود السابقين في بريطانيا وكندا ودول أخرى. وتزين هذه الزهرة أقمصة لاعبي الدوري الإنجليزي الممتاز، والحكام، والمدربين، في ظاهرة تشهدها كرة القدم الإنجليزية في نوفمبر من كل عام، للمزيد انظر:

قصة زهرة الخشخاش في الريميرليغ ولماذا يرفض البعض ارتدائها؟، سكاى نيوز عربية، ٩ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٨ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://bit.ly/3nhwXw6>

(1) James Carr, Daniel Parnell, Paul Widdop, Martin J. Power, Stephen R. Millar, eds, Op Cit.

(2) Alan Tomlinson, Christopher Young, eds, National Identity and Global Sports Events: Culture, Politics, and Spectacle, accessed at: 26 February 2023, available at:

برزت فيها الهوية والثقافة العربية والإسلامية على الوجه الذي أرادته قطر تمامًا.

استثمرت قطر لتنظيم كأس العالم حوالي ٢٢٠ مليار دولارًا لتكون بذلك الميزانية الأكبر على مستوى العالم بين مختلف الأحداث الرياضية الكبرى^(٥). حيث يشكل هذا الرقم تكلفة البنية التحتية لقطر، والتي تم تنفيذها لاستضافة المونديال، مثل: تجهيز الطرق، وبناء أكثر من ١٠٠ فندق ومجمع سياحي. فتكلف مونديال قطر ما يعادل واحد وعشرين بطولة سابقة مجتمعة، حسب ما صرحت أحد الوكالات المتخصصة في الاستشارات المالية الرياضية Front Office Sport^(٦). كما أنشأت قطر سبعة ملاعب جديدة بتكلفة تصل إلى ٦,٥ مليار دولار، وعكس تصميم الملاعب الثقافة العربية الخليجية. وقبل عام ٢٠٢٢، كان مونديال البرازيل ٢٠١٤ هو الأعلى من حيث التكلفة بـ ١٥,٥ مليار دولار، ثم مونديال روسيا ٢٠١٨ بـ ١١,٤ مليار دولار. ووصف رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا)، جيانى إنفانتينو، البطولة بأنها "أفضل كأس عالم في التاريخ". وأوضح إنفانتينو أن "الإيرادات المالية للنسخة الحالية بلغت ٧ مليارات ونصف المليار دولار، بزيادة قدرها مليار دولار عن النسخة السابقة في مونديال روسيا ٢٠١٨". كما أشارت أرقام الفيفا إلى أن عدد من تابعوا مباريات مونديال قطر، عبر شاشات التلفاز والوسائط الرقمية، بلغ نحو ٥ مليار مشاهد^(٧). وقد حامت كثير من الشكوك حول نزاهة التصويت الذي فازت به قطر لاستضافة البطولة. فنشرت صنداى تايمز عما تقول إنها مستندات مسربة حصلت عليها تزعم فوز قطر بتنظيم كأس العالم عام ٢٠٢٢ بعد دفع الدوحة مبالغ سرية

(٥) بشار ذنون محمد الشكري وأحمد عبد الكريم أحمد النعيمي ودعاء نعمان محمد الحسيني. الاستثمار الرياضي: المنافع والكلف: دراسة استشرافية لاستضافة قطر لبطولة كأس العالم لكرة القدم ٢٠٢٢، مجلة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، مج ١١ ع ٢٤، ص ١٠٨.

(٦) آية عنان، مرجع سابق.

(٧) قطر ٢٠٢٢: ما أهم اللحظات التي لن تنسوها من كأس العالم؟، بي بي سي عربي، ١٨ ديسمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٧ فبراير ٢٠٢٣،

<https://bbc.in/3xYWcFL>

بهم^(١)، وت فوق الأعراق على بعضها البعض^(٢).

وفي هذا الاطار السياسي للعبة كرة القدم (والرياضة عمومًا)، ظهر مصطلح "دبلوماسية الرياضة". ويرجع هذا المصطلح إلى فترة الحرب الباردة، حيث شاعت محاولات كل من طرفي الصراع - خاصة الكتلة السوفيتية- لنقل صورة أفضل لجمهور الكتلة الأخرى من خلال رياضات النخبة المنظمة في المسابقات الدولية. وتُعرف الدبلوماسية الرياضية بأنها: "استخدام الرياضة من أجل التأثير الدولي، وتحقيق نتائج مرغوبة في العلاقات الدولية، وتغيير الصورة الذهنية للدولة ونشر ثقافتها وهويتها"^(٣). ويمكن القول إن هذا ما سعت إليه قطر من خلال استضافتها بطولة كأس العالم لكرة القدم العام الماضي، أن تستخدم دبلوماسية الرياضة بكافة معانيها، على الأرجح. وفيما يلي نتناول ثلاثة مشاهد تعكس جدالات الرياضة والسياسة والهوية فيما يتصل بكأس العالم ٢٠٢٢ المنظم في قطر:

المشهد الأول- الجدل حول أحقية قطر في تنظيم المونديال:

اتخذت قطر منذ عقد مضي قرار استثمار دبلوماسية الرياضة لتعزيز مكانتها الدولية، وبناء صورة ذهنية استراتيجية تخدم أهدافها. وهو ما ظهر في تصريحات الأمير السابق لدولة قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، حيث صرح بأن "اعتراف اللجنة الأولمبية الدولية أهم من اعتراف منظمة الأمم المتحدة؛ لأن الجميع يحترم قرارات اللجنة الأولمبية الدولية"^(٤). ونجحت قطر بالفعل بالظفر باستضافة بطولة كأس العالم لكرة القدم لعام ٢٠٢٢. كما نجحت قطر نجاحًا اعتبره كثيرون منقطع النظير في تقديم مونديال قطري بامتياز؛ بنكهة عربية إسلامية،

(١) كما حدث مع مسعود أوزيل، نجم منتخب ألمانيا ذو الأصول التركية، حيث اعتزل اللعب الدولي عقب انتقادات حادة وجهت له داخل ألمانيا بعد صورة له مع الرئيس التركي.

(٢) سايمون كريتشلي، مرجع سابق، ص ١٧٦.

(٣) آية عنان، دبلوماسية الرياضة والعلاقات الدولية: كأس العالم ٢٠٢٢ نموذجًا، المرصد المصري، ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٣ فبراير

٢٠٢٣، <https://bit.ly/3SAFbuT>

(٤) المرجع السابق.

فقد بدأ حفل افتتاح بطولة كأس العالم لكرة القدم الذي اعتاد الحضور في دول ذات أغلبية مسيحية وسياسة علمانية، بدأ بالقرآن الكريم، وتردد صوت الأذان في الملاعب والمولات التجارية^(٣). وعلى الرغم من أن عرض الرموز الإسلامية كان متوقعاً من قطر لأن استخدام الرموز والتقاليد الثقافية يظهر بشكل شائع في كل مكان في كل حدث رياضي حديث في جميع أنحاء العالم، إلا أن قطر نجحت في نشر "حركة غير ليبرالية" جديدة وجديرة بالملاحظة تخرج عن النموذج الليبرالي المهيمن. وذلك داخل مسرح كرة القدم، والتي أصبحت لبعض الوقت منصة قوية للأفكار الليبرالية المناهضة للتمييز (ولكن وفق تصور محدد) التي يتم عرضها بشكل أساسي في البطولات الأوروبية الكبرى. فلم يعد الخطاب العام الليبرالي الفوقي يسير بشكل مثالي، بل برز فعل جماعي ضد الأعراف الغربية خاصة داخل الدول العربية. فظهر بوضوح فخر كونك "غير ليبرالي"، بدءاً من تردد عدد من البلدان في ارتداء شارة بألوان قوس قزح أثناء المباراة، إلى البيان الصحفي لرئيس الفيفا الذي صرح بجرأة عن دعمه لحظر بيع البيرة حول الملاعب. وقد أثار محمد أبو تريكة، أحد أكثر لاعبي كرة القدم المصريين تنويجاً، وسفير كأس العالم لكرة القدم ٢٠٢٢، ضجة العام الماضي؛ إذ دعا صراحةً اللاعبين المسلمين إلى مقاطعة حملة "Rainbow Laces" في الدوري الإنجليزي المصممة لدعم مجتمع الشواذ. وصرح قبل أسابيع قليلة من البطولة فيما يتعلق بما أسماه "الحملة الغربية ضد قطر": "لن نغير تقاليدنا وديننا بسبب ٢٨ يوماً من كأس العالم". على الرغم من أن تصريحات أبو تريكة لم يتم اعتمادها من قبل اللجنة المنظمة لكأس العالم ولا من قبل صاحب عمله الحالي "بن سبورت"، إلا أنها تعكس شعور الكثيرين في الدولة والمنطقة، الذين لا يشعرون بالارتياح تجاه ما قد يعتبرونه محاولة غربية لفرض العلمانية وقيمها ومعاييرها الثقافية وأسلوبها في الحياة^(٤).

تقدر بنحو ٨٨٠ مليون دولارًا للاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا). وتقول الجريدة إن الحكومة القطرية عرضت صفقة بقيمة ٤٠٠ مليون دولارًا على الفيفا للحصول على حقوق نقل مباريات كأس العالم قبل ثلاثة أسابيع من إعلان فوزها، وأن مسؤولي شبكة الجزيرة وقعوا عقدًا للنقل التلفزيوني مع الفيفا يتضمن إيداع مبلغ ١٠٠ مليون دولارًا إضافية في حساب تابع للفيفا في حال فوز قطر بتنظيم بطولة كأس العالم ٢٠٢٢. وتقول الجريدة إن هذا العقد يُعد مخالفة لقوانين الفيفا لمكافحة الرشوة التي تمنع التعامل التجاري مع أي هيئة مرتبطة بمحاولة الفوز بتنظيم أي بطولة تابعة للاتحاد قبيل التصويت. وتُضيف الجريدة أنها اطلعت على عقد آخر بقيمة ٤٨٠ مليون دولارًا قدمته الجزيرة عام ٢٠١٣ عندما حامت الشكوك حول حقوق تنظيم البطولة، ثم بعد فترة محدودة أنهى الفيفا تحقيقاته التي كان يجريها في قانونية حصول قطر على حقوق تنظيم البطولة ومزاعم بشأن الفساد في عملية التصويت. وعلى الجانب الآخر، تضيف الجريدة أن متحدثًا باسم شبكة بي إن سبورت التي استحوذت على شبكة الجزيرة الرياضية رفض التعليق على الاتهامات ووصفها بغير الواقعية، وقال إن تحقيقات مكثفة أُجريت بخصوص هذه الاتهامات سابقًا، وخلصت إلى أنه لم يتم ارتكاب أي مخالفات فيما يخص حصول قطر على حقوق تنظيم البطولة^(١).

المشهد الثاني - جدالات الهوية وانتقادات مونديال قطر

اعتبر العديد من المراقبين أن نسخة قطر للمونديال تدفع العالم نحو التحول إلى تعدد القطبية الثقافية. وأن ما شاهده المليارات في هذه البطولة يُعد نهاية لعصر الاستعلاء والاحتكار الغربي في المجال الثقافي والرياضي، الذي حصر العالم العربي في زاوية المتلقين، وإيدانًا بانطلاق عربي إلى صفوف الفاعلين والمؤثرين في المشهد العالمي^(٢).

صياغة الصورة العربية، موقع الجزيرة مباشر، ٣ ديسمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٧ فبراير ٢٠٢٣، <https://bit.ly/3Y5sae5>
(٣) آية عنان، مرجع سابق.

(4) Mahfoud Amara and Youcef Bouandel, The 2022 FIFA World

(١) صنديا تايمز: قطر فازت بتنظيم كأس العالم "بعد دفع ٨٨٠ مليون دولار سرا للفيفا"، بي بي سي عربي، ١٠ مارس ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع عليه: ٢ إبريل ٢٠٢٢، <https://bbc.in/3M6dY1V>

(٢) محمد الشبراوي حسن، مونديال قطر ٢٠٢٢.. القوة الناعمة تعيد

والإعلانات التلفزيونية خلال مسابقات كرة القدم، بل اعتاد العديد من المشجعين شرب الكحول أثناء مشاهدة المباريات. وفي نفس الوقت، لا يتوفر الكحول على نطاق واسع في قطر، كما أن استهلاكه يخضع لرقابةٍ شديدة. فسعت قطر إلى إيجاد توازن بين توقعات المشجعين وأصحاب المصلحة، ولكن ليس على حساب السكان المحليين والثقافة. فتعرف قطر - كغيرها من الدول الإسلامية- إمكانية الوصول إلى المشروبات الكحولية في الحانات المرخصة وبعض الفنادق في الدولة. وقد أعلنت السلطات أنه خلال بطولة كأس العالم ستتوفر المشروبات الكحولية في منطقة المشجعين، إلا أنه لن يُسمح به داخل الملاعب. وأخيراً وربما الأهم، يجب على المشجعين ملاحظة، أنه لا يُسمح بشرب الخمر في الأماكن العامة^(٣).

وفيما يخص ملف حقوق الإنسان، نُشرت تقارير صحفية ونشرت إعلامية عديدة تُشكك في نزاهة الملف الذي حصلت به قطر على فرصة استضافة كأس العالم. وطالبوا بتحسين الوضع الحقوقي في قطر، حتى ذهب البعض منها إلى المطالبة بسحب الاستضافة من الدوحة بسبب انتهاكاتهما. ويُعتبر تقرير صحيفة الجارديان البريطانية رائد هذه الحملة الغربية ضد استضافة قطر لكأس العالم، إذ نشرت الصحيفة تقريراً يفيد بوفاة ٦٥٠٠ عاملاً في مشاريع البطولة منذ ٢٠١٠. ثم تبين فيما بعد أن الصحيفة قدمت العدد الإجمالي لمجموع العمال المتوفين في دولة قطر خلال الفترة بين ٢٠١٠-٢٠٢١ باعتباره عدد العمال المتوفين في مشاريع البطولة فقط^(٤). ورغم هذه المطالبات، إلا أن الفيفا تُصر على أنها هيئة رياضية تعمل على تقديم خدمة رفاهية للشعوب، كما تُصر على ضرورة عدم خلط السياسة بالرياضة. ويفسر ذلك تنظيم روسيا للبطولة في عام ٢٠١٨ رغم الانتقادات الحقوقية الدولية لأوضاع حقوق

ويمكن إجمال القضايا التي ثار حولها الجدل أو الانتقادات منذ إعلان قرار منح قطر استضافة نسخة كأس العالم لكرة القدم ٢٠٢٢ في التالي: أنها دولة بلا تاريخ رياضي يتعلق بكرة القدم، ومناخها الحار لا يناسب عادة إقامة المونديال في الصيف، وسجل حقوق الإنسان الذي تأخذ فيه العديد من الدول والمنظمات على قطر كمًا غير هين من الانتهاكات، والإسلام الذي يحظر الثقافات الفرعية المهيمنة المرتبطة بكرة القدم مثل الكحول وحرية الميول الجنسية. وفي خطوة عكست مظاهر الإسلاموفوبيا، والاستعلاء الغربي، نشرت صحف فرنسية كاريكاتيرًا، يُظهر لاعبي المنتخب القطري، حاملين للبنادق، وتكسو وجوههم ملامح البربرية^(١).

فيما يتعلق بقضية حرية الميول الجنسية، قدمت السلطات القطرية منذ البداية موقفًا رسميًا لا لبس فيه. حيث كرر ممثلوها في كل مناسبة أن الجميع مرحب بهم، مع ضرورة احترام الزائرين للثقافة والعادات المحلية. فصرحت اللجنة العليا للمشاريع والإرث، وهي الجهة المسؤولة عن التخطيط للبطولة، بأن "الجميع مرحب بهم بغض النظر عن الجنس أو الميول الجنسية أو الدين أو العرق أو الجنسية. ويجب على جميع المشجعين أن يطمئنوا إلى أن منظمي البطولة يبذلون قصارى جهدهم لضمان سلامتهم ورفاههم أثناء زيارتهم لقطر ... وإن إظهار العاطفة الجنسية في الأماكن العامة ليس جزءًا من الثقافة القطرية، وبالتالي يتوقع السكان المحليون أن يحترم الزوار من جميع الخلفيات الثقافة القطرية والعادات المحلية"^(٢).

أما الكحول الذي طالما كان سمةً شائعةً في أحداث كرة القدم الدولية، فلا يقتصر الأمر بشأنه على منح فرص التسويق القوي للمشروبات الكحولية وإبرازها من خلال الرعاية

(2) Mahfoud Amara and Youcef Bouandel, Op Cit.

(3) Ibid.

(٤) عبد الرحمن المري، الخطاب الغربي وجدل حقوق الإنسان، في: كأس العالم في قطر: حقوق الإنسان وجدوى التطبيع، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، صدى، ٢٦ يناير ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع عليه: ٢ إبريل ٢٠٢٣، <https://bit.ly/430yXcl>

Cup, between Soccer and Faith – English version, Observatoire international du religieux, November 2022,, Accessed at: 27 February 2023, available at: <https://bit.ly/3Y4yoeb>

(١) بشير عبد الفتاح، السياسة في مونديال قطر، موقع جريدة الشروق، ٥ ديسمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٧ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://bit.ly/3EG9pqx>

دول المنطقة، مثل تونس والسعودية وقطر، مبكرًا من البطولة، كان من الطبيعي أن يحتشد عشاق كرة القدم من الدول المجاورة خلف المغرب. إلا أن البعض سعى إلى تصوير النجاح المغربي على أنه شيء أكبر بكثير، أكثر من الناحية الأيديولوجية والسياسية، ونتيجة لذلك اعتُبر الفريق المغربي رافع لواء الإسلام والعروبة، خاصةً مع رمزية فوز المغرب على مستعمرها إسبانيا.

تعزز ذلك الشعور تجاه المنتخب المغربي عندما احتفل بعض لاعبي الفريق بفوزهم ورفعوا العلم الفلسطيني في أرض الملعب. ولكن رأى البعض أن ما حدث قد أغضب الكثيرين في شمال أفريقيا، لا سيما المغاربة الذين لا يتفقون مع هذه الأيديولوجيات^(٥). وإلى جانب جدل ثنائية العروبة والأفريقية، دار الحديث أيضًا عن لاعبي المنتخب المغربي أنفسهم. فمعظم المنتخب المغربي المؤلف من ٢٦ لاعبًا وُلد في الخارج. حيث نشأ أشرف حكيمي في مدريد لأبوين مغربيين فقراء، وهو الذي سدد ركلة الجزاء الفائزة في مرمى إسبانيا^(٦).

ويُظهر الحماس لنجاح المغرب غير المتوقع أن التقارب الثقافي لا يزال يربط الناس في المنطقة. وبالمثل، فإن الجدل حول مكانة المغرب في تلك المنطقة يُظهر كيف أن الهوية لا تزال تُستخدم للتقسيم بدلًا من التوحيد^(٧).

خاتمة:

يقول الشاعر الفلسطيني محمود درويش: "إن كرة القدم هي ساحة التعبير التي يوفرها تواطؤ الحاكم والمحكوم في زنزانة الديمقراطية العربية المهتدة بخنق سجانها وسجانها معًا، هي فسحة تنفس تتيح للوطن المتفتت أن يلتئم حول مشتركٍ ما.

(٤) مجدي عبد الهادي، كأس العالم ٢٠٢٢: نجاح المنتخب المغربي فوز لأفريقيا أم العرب أم الأمازيغ؟، بي بي سي عربي، ٢١ ديسمبر ٢٠٢٢ تاريخ الاطلاع: ٢٧ فبراير ٢٠٢٣ <https://bbc.in/3SumBop>

(٥) المرجع السابق.

(6) Morocco's World Cup success sparks a debate about Arab identity, the economist, 13 December 2022, accessed at: 27 February 2023, available at: <https://econ.st/3Z6AQSC>

(7) Ibid.

الإنسان فيها^(١). وقد اتهم رئيس الفيفا، منتقدي تعاطي قطر مع العمالة الوافدة بالنفاق، داعيًا الغرب للاعتذار للإنسانية، جراء ما اقترفه بحقها على مدى ثلاثة آلاف سنة خلت، قبل إعطاء الدروس للآخرين، مشددًا على أن تحسين أوضاع حقوق الإنسان حول العالم، لن يتأتى إلا من خلال: التواصل والتعاون والاستثمار في مساعدة الآخرين، ومنحهم مزيدًا من الأمل في مستقبل أفضل^(٢).

المشهد الثالث: جدال هوية المنتخب المغربي

مع قرب نهاية مونديال قطر، وصعود نجم المنتخب المغربي غير المتوقع والذي احتفت به الجماهير العربية والأفريقية، تعالت تساؤلات حول هوية وتوصيف هذا المنتخب الملقب بـ"أسود الأطلس"، هل هو أول فريق "عربي" أم "أفريقي"^(٣) يصل إلى الدور قبل النهائي؟ وقد أثارت تصريحات اللاعب المغربي سفيان بوفال، بعد فوزه منتخب بلاده على إسبانيا في البطولة، جدلا واسع النطاق بشأن هوية البلاد في القارة الأفريقية، إذ أعرب عن شكره لـ"كل المغاربة في كل أنحاء العالم، وكل العرب والمسلمين على دعمهم"، مضيقًا "هذا الفوز لكم". وبعد رد فعل عنيف على منصات وسائل التواصل الاجتماعي، اعتذر اللاعب على إنستجرام عن عدم ذكر دعم القارة الأفريقية للفريق، وهو دعم عبر عنه في وقت سابق الرئيس النيجيري، محمد بخاري، عندما صرح بأن المغرب "جعل القارة بأكملها فخورة بعزيمه وبراعته"^(٤).

دخل منتخب المغرب التاريخ حين تأهل للدور قبل النهائي في المونديال، فأشاد قطاع عريض من الجماهير العربية بأن ذلك انتصار للدول الإسلامية والعربية. ومع خروج فرق أخرى من

(١) أحمد سامي عبد الفتاح، لماذا تتنافس الدول على استضافة كأس العالم؟، أفاق سياسية، ع ٩٤، يناير ٢٠٢٣، ص ٢٤-٢٥.

(٢) بشير عبد الفتاح، مرجع سابق.

(٣) يضم المغرب عددًا كبيرًا من الأمازيغ كما يفضلون أن يُطلق عليهم، وتشير بعض الإحصاءات إلى أنهم يمثلون نحو ٤٠ في المائة من سكان البلاد، البالغ تعدادهم ما يربو على ٣٤ مليون نسمة، كما أن إحدى اللغات الأمازيغية، "تمازيغت"، معترف بها الآن كلغة رسمية إلى جانب اللغة العربية.

وفي المنطقة العربية غالبًا ما تتحول كرة القدم في يد الحكام لأفيونٍ حقيقي يُمرر تحت تأثيره قرارات وسياسات يُرغب في صرف الشعوب عن الانتباه لها، وكثير ما يلتصق بمشهد كرة القدم أيادٍ ملوثة تحوم حولها الشبهات كالتأثير الفاسد لأموال الخليج على اللعبة، والذي يتجاوز حدود المنطقة إلى أفضل البطولات الأوروبية التي يعشقها ملايين الناس حول العالم.

كذلك تفعل قوى العالم الغربي المهيمن، فلم يسعها مشاهدة دولة عربية مهما كانت حليفة لهم، أن تستضيف البطولة الرياضية الأبرز في العالم، وتجنّي ثمارها السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية الهائلة. فبطولة كأس العالم لكرة القدم ليست حدثًا لمدة شهرٍ واحد، بل يتطلب صنع حدث واحد لكأس العالم سنواتٍ طويلة من التخطيط الاقتصادي، واستضافة خطط التنمية السياسية للبلد، والمعادلات الجيوسياسية الإقليمية، ناهيك عن حياة وأحلام المليارات من البشر. وربما لم تكن كأس العالم هذه حدثًا رياضيًا مشحونًا سياسيًا بقدر ما كانت مثالًا في كتابٍ نصي للعنصرية الغربية تجاه دولة عربية. فكانت بطولة كأس العالم في قطر هي كأس العالم الأكثر إثارةً للجدل التي حدثت حتى الآن. وعلى الرغم من مبدأ الاتحاد الذي تبشر كرة القدم به كل كأس عالم، فالعالم ليس واحدًا بل أرضًا مقسمة بالمال والسلطة والسياسة^(٣).

حول إجماعٍ ما، حول شيءٍ ما، تُضبط فيه حدود الأطراف وشروط العلاقة مهما تسربت منها إيماءات ذكية^(١).

وقد افتتح الشاعر الفلسطيني أيضًا تميم البرغوثي حفل ختام بطولة كأس العالم لكرة القدم في قطر عام ٢٠٢٢ يقول: "ما الذي يدعو المتعبين إلى اللعب؟ ما الذي يدعو الحزين إلى الغناء؟ وما الذي يأتي بشاعرٍ مثلي إلى احتفالٍ كهذا؟ اللعب.. زيارة قصيرة إلى عالمٍ بديل.. ساعتان من المساواة والعدل.. فلا ترى فريقيًا يلعب بأحذية نفاثة مثلًا، وفريقيًا حافيًا.. ولا فريقيًا مسموحًا له بالركض في طول الملعب وعرضه.. وآخر يحتاج لاعبوه تأشيرات ليجتازوا خط الوسط.. وعندما تكون الكرة في الميدان فالتسديد مسموح به للفريقين. وفي النهاية يبقى الجميع بصحة جيدة.. لم يسأل إلا العرق ولم يعلُ الصراخ إلا تطوعًا.. ليست هذه لعبة يا سادة.. هو شيء تقترحه هذه البلاد والشعوب.. بل لا تزال تقترحه البشرية على نفسها منذ كانت.. حلم عمره ساعتان وعمره الأبد.. يقترب كلما حاولوا إبعاده.. هذا الذي يدعو المتعبين إلى اللعب.. وهذا هو الفوز الحقيقي في نهاية المطاف"^(٢).

ربما هذا ما يُجمع عليه كثيرون حول العالم وخاصةً العرب منهم؛ أن كرة القدم متنفس للبشر العاديين، يحاولون فيه التثبُّت بأملٍ يمكن تحقيقه حقًا، بمعنى للانتصار يتوقون إليه ولو وهمًا أو حقيقةً غير جدية. إلا أن أذرع السياسة والسلطة والمصالح الكبرى لا يمكن أن تترك المجال بريئًا وشأنه.

(3) Towkir Hossain, Qatar World Cup: Controversy, Racism, and Our Orientalism, Modern Diplomacy, 12 December 2022, accessed at: 27 February 2023, available at: <https://bit.ly/3m5y9SN>

(1) Abdullah Al-Arian, Op Cit.

(٢) "ما الذي يدعو المتعبين إلى اللعب؟" تميم البرغوثي يبدع في ختام المونديال، الجزيرة، ١٨ ديسمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع عليه: ٢ أبريل ٢٠٢٣، <https://bit.ly/3nylffH>

تجدد المقاومة في الضفة الغربية: السمات والمسارات

محمد كمال محمد*

وغياب الممارسات الديمقراطية تمامًا وغياب المبادرات الجماعية، وأشكال النضال الجمعي، الذي ظهر جلياً في ردّ الفعل المحدود على قرار ترامب حول القدس وقطع المساعدات، ونقل السفارة إلى القدس. كما أن جزءاً كبيراً من المثقفين وصنّاع الرأي والكتّاب أصبحوا يعتاشون على علاقتهم مع السلطة، وانكفأوا عن الانخراط في العمل السياسي المبدع، خوفاً من عقاب أو طمعاً في مزايا، كما غابت المنابر السياسية والإعلامية المستقلة خارج إطار السلطة^(١).

ويأتي هذا التقرير ليناقد تجدد المقاومة في الضفة الغربية محاولاً بيان سمات هذه المقاومة الجديدة ومساراتها. ولذلك يتناول النقاط التالية: الأسباب المباشرة لتجدد المقاومة بالضفة الغربية - سمات المقاومة الجديدة متخذاً من مجموعة عرين الأسود نموذجاً - استراتيجية المقاومة الجديدة وتكتيكاتها - استراتيجية الكيان الصهيوني في مواجهة المقاومة الجديدة.

أولاً - الأسباب المباشرة لتجدد المقاومة بالضفة الغربية:

يمكن الإشارة لعددٍ من الأسباب المباشرة المتفاعلة مع بعضها، والتي مهّدت الطريق لاشتعال شرارة المقاومة من جديد في الضفة الغربية على النحو التالي:

١. عدم قيام السلطة الفلسطينية بحماية المواطنين: عملياً، لا توفر السلطة الفلسطينية حماية للمواطنين من الاعتداءات التي يتعرّضون لها من قبل جيش الاحتلال أو من المستوطنين، فجيش الاحتلال لا ينگل فقط بالمواطنين على الحواجز العسكرية الإسرائيلية، بل يمتد ذلك إلى داخل المدن والقرى والمخيمات، خصوصاً عندما يقوم

مقدمة:

قضى الله سبحانه بأنه: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)^(١). ولأولي الألباب - من كلّ لونٍ وجنسٍ عبر الزمان والمكان - في المقاومة حياة. والحياة عند أولى النهى عقيدة وجهاد. إلّا أن "المقاومة" مفهوماً وممارسة تتعرّض لعدد من محاولات التشويه والسخرية والتندّر من بعض من يلمزونها صراحةً وتلميحاً بإشارتهم إلى ما يُسمّى "محور المقاومة" وما اقترفه من يصفون أنفسهم بأنهم أصحاب هذا المحور وحاملو لوائه من جرائم في سوريا والعراق ولبنان واليمن. كما تتعرّض المقامة لمحاولات الاحتكار والاختطاف من جانب بعض الأنظمة والتنظيمات التي أشرنا أنّها تسعى لوصف نفسها بأنها "المقاومة" حصراً وقصراً وقسراً.

ويشاء الله عز وجل أنه في أشدّ ساعات الظلمة والظلم التي تعيشها الأمة أن يُقيّض للمقاومة المجاهدة من يرفع لواءها بحق، فتتجدد المقاومة في موجات متلاحقة على يد أجيال متعاقبة.

جاء التجدد الحالي للمقاومة في الضفة الغربية والوضع الفلسطيني في أحرّ حالاته وأشدّها ضيقاً، وهو في أسوأ حالاته، ليس بسبب الانقسام فحسب، بل لغياب منظمة التحرير الفلسطينية وتمهيشها المتعمّد [من جانب السلطة]، وغياب فصائل العمل الوطني، التي لا تكاد تظهر إلّا في مناسبات ذكرى انطلاقها، وضعف المجتمع المدني وتمهيشه، بعد تحويل معظم الاتحادات والنقابات والمبادرات النضالية إلى منظمات غير حكومية، تستلم تبرّعات لميزانياتها الكبيرة من الخارج،

* باحث في العلوم السياسية.

(١) سورة البقرة: ١٧٩.

(٢) عبد الحميد صيام، صفقة القرن بين خيارى الانتحار والانتصار، فلسطين اليوم، ١٩ مايو ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ٢٨ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<https://cutt.us/23IRD>

بمواجهته، هذا في الوقت الذي تؤكد الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة أنه لا يوجد (شريك) فلسطيني من أجل العودة إلى طاولة المفاوضات، وأن السلطة تدعم (الإرهاب)، فيما تتمسك القيادة الفلسطينية بالمفاوضات كآلية وأداة وحيدة للحل مع الاحتلال، هذا الوضع لم يعد مقبولاً عند الفلسطينيين، الذين يكابدون يومياً الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية المستمرة، ويشعرون بعجز السلطة عن حمايتهم.

٤. استمرار الانقسام، وعدم إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية: قد تكون مرحلة الانقسام من أخطر المراحل التي مرّت بها القضية الوطنية الفلسطينية^(٢)، وربما تكون الأصعب كذلك، فبكتيرٍ من التفاؤل رَحَّبَ الفلسطينيون بالمرسوم الرئاسي بشأن إجراء الانتخابات الذي صدر في ١٥ يناير ٢٠٢١ كبادرة أمل بعد ١٥ عاماً من الانقسام، تعطلت فيها الحياة السياسية وتمّ تدمير المؤسسات الدستورية، لكن هذا التفاؤل لم يدُم طويلاً، إذ تمّ إلغاء الانتخابات ليتأكد أنه لا مواعيد مقدّسة لدى النظام السياسي، بل اختارت العديد من الفصائل أولوية ترتيب أوضاعها الداخلية على حساب المصلحة العامة، وتصديرها أزماتها الداخلية للشارع الذي يُعاني بالأساس، وشراء الوقت انحيازاً لمصلحتها في البقاء ولو شكلاً على حساب مصلحة المواطنين في تجديد الشرعيات وإفراز قيادات منتخبة تعمل على حلّ الإشكاليات المتراكمة في المستويات كافة، الأمر الذي يعكس أنانية قد ترتقي إلى مستوى الفساد السياسي، إذ يتمّ إعلاء المصلحة الحزبية الخاصة على العامة وعبر مقدّرات الدولة.

الانقسام انظر ما يلي:

- أشرف عثمان بدر، إنهاء الانقسام الفلسطيني بين الفشل والأمل، المستقبل العربي، العدد ٤٤٩، يوليو ٢٠١٦.
- إبراهيم أبراش، جذور الانقسام الفلسطيني ومخاطره على المشروع الوطني، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٨٧، ربيع ٢٠٠٩.

جيش الاحتلال باستباحتها والدخول لها، دون أن تحرك قوى الأمن الفلسطينية ساكناً، وبالتالي لا تقوم السلطة بأي خطوة عملية لمواجهة الاعتداءات والجرائم التي ترتكبها قوات الاحتلال، وتكتفي بإصدار بيانات للتنديد بتلك الجرائم، الأمر الذي شكّل دافعاً للمقاومين والمواطنين على حدّ سواء للدفاع عن أنفسهم أمام الاعتداءات الإسرائيلية^(١).

٢. الزبائنية السياسية: لم تكن السلطة الوطنية الفلسطينية بعيدة عن الأسس التي بُنيت عليها بعض الدول العربية بعد استقلالها، والقائم على الزبائنية السياسية، وعلى ضعف وإقصاء وتمهيش المؤسسات الدستورية وتبعيتها، وهيمنة وتغوّل وتفرد السلطة التنفيذية والحزب الواحد، واعتبار الشرعية مستمدة من (السلطة) ذاتها لا من المتعاقدين (المواطنين). واليوم يُنظر للنظام السياسي الفلسطيني أكثر من أيّ وقت مضى على أنه نظام يعتمد "الزبائنية" في طريقة حكمه لدرجة أن المجتمع أصبح زبائنيّاً.

٣. المفاوضات كخيار أوحد للحل: لم تُعدّ خطابات وتصريحات الرئيس الفلسطيني وكبار مسؤولي السلطة الوطنية الفلسطينية، سواء في الأمم المتحدة أو أمام الوفود الدولية، أو حتى في الاجتماعات التنظيمية، بأن المفاوضات هي السبيل والخيار الوحيد لإنهاء حالة الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين، والطريق الوحيد لإقامة الدولة الفلسطينية، مقنعة أو (مستساغة) عند الفلسطينيين، بل الأخطر من ذلك أن القيادة الفلسطينية اعتبرت المفاوضات هي استراتيجية وحيدة، وأن أيّ فعلٍ لشخصٍ أو لجماعةٍ خارج هذا الخيار ستقوم السلطة

(١) انظر رصداً لهذه الأسباب في: د. عمر رحال، تحوّل توجهات الفلسطينيين في الضفة الغربية إزاء المواجهة مع الاحتلال، ورقة مقدّمة إلى مؤتمر "تحوّل توجهات الفلسطينيين في الضفة الغربية إزاء المواجهة مع الاحتلال"، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، كانون الأول / ديسمبر ٢٠٢٢.

(٢) اتّضحت معالم الانقسام الفلسطيني مع انتخابات ٢٠٠٦، للمزيد حول

للطبيعة الخاصة للدولة الاستعمارية الاستيطانية والإجلائية.

لذلك فإن مقاومة الشعب الفلسطيني بأشكالها المختلفة، هي دليل وتأكيد على عدم إذعانه للمحتل، من جهة، وعدم قدرة الاحتلال على تطويع وتدجين الشعب الفلسطيني ومقاومته من جهة ثانية، بل إن الأمر يتعدى ذلك وهو الأهم في أن إرادة الشعب الفلسطيني أقوى وأصلب من أن تُكسر، صحيح أن موازين القوى المادية تميل لصالح الاحتلال فهو قوة لا يُستهان بها، ولكن الاحتلال وعلى الرغم من جبروته وبطشه بالفلسطينيين، لم يستطع هزيمة الفلسطينيين، فحتى هذه اللحظة لا يزال الاحتلال يبحث عن فلسطيني يمكن أن يوقع معه على اتفاقية إنهاء الصراع، وما دام الأمر كذلك، فإن المعنى الوحيد هو استمرار المقاومة والنضال الفلسطيني، يُضاف لذلك تجدد أشكال النضال والمقاومة وكأنها "جينات"، ففي الغالب الأعم عندما تسأل شابًا أو شابة فلسطينية عن النموذج بالنسبة لك، فإن الإجابة تنحصر في أسير أو شهيد أو مطارد أو مقاوم أو فدائي، فلا حديث هنا عن مطرب أو ممثل أو فنان. هذا دليل آخر على حيوية الشعب الفلسطيني وإصراره على الصمود والمقاومة.

٧. إدارة الظهر للشباب وقضاياهم: يوصف المجتمع الفلسطيني بأنه مجتمع فتي، حيث هناك ١,١٧ مليون شاب وشابة ضمن الفئة العمرية (١٨-٢٩) سنة في فلسطين، يشكّلون أكثر من خمس المجتمع الفلسطيني؛ أي ٢٢٪ من إجمالي السكّان، وذلك حسب إحصاءات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني في العام ٢٠٢٢. اليوم.. كلُّ من هو بعمر (٣٢) عامًا من الشباب الفلسطينيين لم يُشارك بأيّ انتخابات تشريعية أو رئاسية، كما يواجه الشباب الفلسطيني تهميشًا واضحًا في المشاركة السياسية، وفي عملية صنع القرار والتي تقلُّ عن ١٪، حيث لعبت التحديات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ونمط توزيع

الانتخابات هي استحقاق دستوري وقانوني دوري وليست مئة من أحد، وإن غياب سمة الدورية عن الانتخابات يعني تجاهلاً للقانون الأساسي ومخالفةً للعُرف الديمقراطي، واتهاكًا للمادة الثانية من القانون الأساسي الفلسطيني التي تؤكد أن الشعب مصدر السلطات، كما راهن البعض على أن إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية قد تكون المدخل الأفضل لإنهاء الانقسام، والاتفاق على برنامج سياسي، وعلى تعزيز الشراكة السياسية بين مختلف ألوان الطيف السياسي الفلسطيني.

٥. التنسيق الأمني: هو واحد من القضايا الخلافية الكبيرة بين الفلسطينيين، ففي الوقت الذي ترى قيادة السلطة أن التنسيق هو (التزام وضرورة)، التزام بفعل اتفاقية أوسلو والاتفاقيات الأمنية الموقعة مع دولة الاحتلال، وضرورة باعتبار ذلك مرتبط بتدفق السلع والمواد الأساسية، وبالتحويلات الطبية وبحرية الحركة والتنقل لقيادة السلطة، وبمنح العمّال الفلسطينيين مزيدًا من التصاريح للعمل داخل دولة الاحتلال، بالإضافة إلى قضايا أخرى مثل تحرك قوات الأمن الفلسطينية خارج مناطق (أ)، في المقابل يرى معظم الفلسطينيين أن أقل ما يقال عن التنسيق الأمني مع الاحتلال أنه (خيانة)، وذلك بسبب سياسة السلطة تجاه خصومها السياسيين، والتضييق عليهم سواء بالملاحقة أو الاعتقال. إذ يعتبر غالبية الفلسطينيين ملاحقة المقاومين واعتقالهم عملٌ مرفوضٌ ومدانٌ وغير مقبول وطنيًا^(١).

٦. حيوية الشعب الفلسطيني، واستعداده للتضحية: ليس من المبالغة القول بأن التضحيات التي قدّمها الشعب الفلسطيني منذ أول مستوطنة صهيونية أُقيمت في قرية ملبس (بتاح تكفا) عام ١٨٧٨، وحتى اللحظة، تؤكد على أن النضال الوطني الفلسطيني بكافة أشكاله، يأتي في إطار من التعقيدات الفريدة من نوعها إذا ما قُورن بظروف كفاح الشعوب المستعمرة من أجل نيل حريتها واستقلالها نظرًا

(١) د. عمر رحال، تحوّل توجهات الفلسطينيين في الضفة الغربية إزاء

كفاحي. هذا إلى جانب تأثير المقاومة في قطاع غزة على الروح الوطنية للفلسطينيين في الضفة^(١).

ثانيًا- سمات المقاومة الجديدة: عرين الأسود نموذجًا

"عرين الأسود" بات المصطلح الأكثر شهرة في الشارع الفلسطيني ووسائل الإعلام خلال الأشهر الماضية، مع تصاعد العمليات النوعية التي ينقذها مقاومتها ضد جنود الاحتلال "الإسرائيلي" ومستوطنيه في الضفة الغربية المحتلة، تحديدًا بمدينة نابلس. وشكّلت مجموعات "عرين الأسود" تحولًا نوعيًا في أداء المقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية من حيث شموله لنواحٍ عديدة، وبجالة فريدة خرجت عن النسق المألوف، فيما تصدر بياناتها إلى الجمهور عبر تطبيق تليجرام. وتحظى "عرين الأسود" بحالة دعم ومساندة شعبية كبيرة جدًا، كونها أصبحت المجموعة التي تصنع الأخبار اللحظية بعد موجة عملياتها الأخيرة ضد قوات الاحتلال والمستوطنين، لا سيما وأنها باتت تنشط في العديد من مدن وبلدات الضفة وخاصة في البلدة القديمة بمدينة نابلس. وفي ظلّ تنامي مجموعة "عرين الأسود" في نابلس؛ ضاعف الاحتلال من التحريض عليها، وطالب السلطة بأن تقوم بدورها في "ضبط الحالة الأمنية" مهديدًا بإعادة اجتياح المدينة.

• نشأة "عرين الأسود"

كانت نابلس تشهد تجمُّعًا لعدد من المقاومين من أبناء المدينة وقراها يتمركزون في البلدة القديمة منها، وقد بدأ الحديث عنهم في وسائل الإعلام وفي الشارع بعد اعتقال الاحتلال للشخصية الأكبر عمرًا ووزنًا فيهم "عبد الرحمن شاهين" بعملية خاصة غابت عن المدينة منذ سنوات، وذاع صيتُ المجموعة المسلّحة في فبراير ٢٠٢٢ بعد أن اغتال الاحتلال الإسرائيلي ثلاثة شبّان من البلدة القديمة هم (أدهم مبروكة ومحمد الدخيل وأشرف الميسلط)، وكانوا ضمن نواة بدأت بتنفيذ عمليات إطلاق نار في محيط نابلس وقد نجا من محاولة الاغتيال العضو الرابع في المجموعة "إبراهيم النابلسي"، نتج عن ذلك توسعة

القوة في المجتمع إلى جانب بعض المعوقات التشريعية دورًا أساسيًا في ذلك. واليوم كما في أمس يشكّل الشباب أكثرية من الناحية العددية، إلّا أنهم أقلية بمفهوم التأثير السياسي. كما تزداد نسبة البطالة بين صفوف الشباب، حيث وصلت نسبتها ٦٢٪ بين الإناث و٣٣٪ بين الذكور. هذا يولّد نوعًا من البحث عن حلول فردية للخلاص في ظلّ انسداد الأفق أمامهم، ويتمازج ذلك مع إدراك عميق وواع بأن المشكلة الأساسية لتحقيق الشباب لذواتهم هو وجود الاحتلال، وهذه هي الخميرة الأولى لروح المقاومة.

٨. تأصلُ المشاعر الوطنية: لم تُفلح أيّ من جهود الدول المانحة أو (الراعية) لعملية التسوية ومعها دولة الاحتلال، وبعض الفلسطينيين عبر برامجها ومشاريعها وخططها، أن (تدجّن) الفلسطينيين، وتُقنعهم من أن (إسرائيل) جادّة في عملية التسوية، وبالتالي بناء علاقات حُسنٍ جوارٍ معها، فسلوكٌ وممارسة الاحتلال على الأرض لا تشير بأيّ حال من الأحوال إلى أن (إسرائيل) جادّة أو ربما معنيّة بالتسوية، بل إنها تبطش بالفلسطينيين، ولا تريد لهم أكثر من (كيان) مفصّل على المقاس الإسرائيلي يضمن سطوتها وسيطرتها على الأراضي الفلسطينية. لذلك فإن ثمة العديد من الدلائل التي تُشير إلى أن الروح النضالية تزداد حضورًا وعنفوانًا وتتّضح بشكلٍ كبيرٍ بين صفوف الشباب، لا سيما وأن الخمود والخمول السياسي الفلسطيني الرسمي والفصائلي، خلق فراغًا يملؤه الآن الشباب على وجه التحديد، غالبيتهم خابت آمالهم وتطلّعاتهم من سلوك وأداء السلطة.

بأي شكل كان، فإن ازدياد المشاعر الوطنية وانبعائها لدى الشباب، لم تأت من فراغ، بل هي امتداد أصيل للدور الذي لعبته الحركة الوطنية والإسلامية في مختلف مراحل النضال الوطني الفلسطيني، كما أن المناخ السائد في الأراضي الفلسطينية المحتلة هو مناخ وطني -نضالي-

(١) المرجع السابق.

الاتفاق بين مؤسّسات المدينة والسلطة على وقفها مقابل التعهّد بالإفراج عن مصعب اشتية وهذا ما لم يتم^(١).

● بيان الانطلاق

في ٢ سبتمبر ٢٠٢٢، وأثناء تأبين الشهيدين محمد العيزي (أبو صالح) وعبد الرحمن صُبح، خرج مقاتلو "العرين" بكامل عدّتهم وعتادهم في صورةٍ منمّمة. كما أعلن ميثاق العرين وبرنامجهم المقاوم على لسان أحد الملتّمين، ليكشف "أن دماء الشهيدين محمد العيزي (٢٣ عاماً) مؤسس العرين" المشتبك المخفي"، ورفيقه عبد الرحمن صُبح "أسد الاشتباكات" التي سالت بين أزقة البلدة القديمة كانت الجذوة والصحوة التي أحييت روح المقاومة المتجدّرة فيها أصلاً^(٢).

وأكدّ البيان أن غطرسة الاحتلال بقتل وسفك دماء الفلسطينيين تفرض عليهم كمقاومين "معارك متجدّدة" قد لا يتوقّع الاحتلال شكلها ولا يقرأ طبيعتها مسبقاً، خاصةً أن هذه المقاومة "المنمّمة والمدارة ذاتياً" قادرةٌ كلّ يومٍ على تجديد الدماء بعروق المقاومين بأشكال وأساليب كثيرة".

وتبنّت المجموعة نهجاً يقوم على القتال الموحد تحت راية "لا إله إلا الله.. محمد رسول الله" اتّخذ "العرين" شعاراً له، وتميّز بتمجيده للمقاومة وقادتها من كلّ الفصائل كالشهيد ياسر عرفات "مؤسس خلايا المقاومة" في حي الياسمينة بالبلدة القديمة، والشهيد أحمد ياسين وأبو علي مصطفى وفتحي الشقاقي وغيرهم من قادة النضال الفلسطيني.

ولخصّ بيان العرين نهجَه المقاوم بتأكيدهِ السير قُدماً وعدم ترك البندقية تحت أيّ ظرف وتوجيهها نحو الاحتلال ومستوطنيه ومن يساندهم من العملاء فقط، وأن هذه البندقية لن تطلق رصاصةً بالهواء، وغير ذلك يُعدّ خروجاً عن الصّف ولا يمثّلهم كعرين، كما أنهم يرفعون الغطاء ويدينون كلّ من يستخدم اسمهم لمطالبة التجار بالمال بحجّة دعم المقاومة.

(٢) عاطف دغلس، تنظيم "عرين الأسود".. من هم المقاومون الجدد في فلسطين؟، الجزيرة.نت، ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي:

<http://bit.ly/3MusKQj>

دائرة المجموعة وانضمّ لها عددٌ أكبر من المطاردين من فصائل ومناطق مختلفة.

وقد نشأت عرين الأسود كنتيجة للمواجهات بين الفلسطينيين والجيش الإسرائيلي في مناطق الضفة الغربية، وتحديدًا في نابلس التي تعتبر مقرّاً للمجموعة. تميّز هذه المجموعات بأنها تسمّمت على الانقسام السياسي الفلسطيني، ولا تُعدّ تابعة لأيّ فصيلٍ من الفصائل، إلّا أنها تقبل ضمن صفوفها أفراداً نشطين تحت فصائل أخرى. قام بتأسيس المجموعة كلٌّ من: (محمد العيزي - كميل عبادي - إبراهيم النابلسي - عبد الرحمن صبح - مصعب اشتية). وتعود نواة التشكيل إلى كتيبة نابلس والتي تشكّلت في أوائل ٢٠٢٢ أسوة بكتيبة جنين، وهدفها كان قيادة وتنظيم مرحلة الاشتباك والمواجهة مع القوّات الإسرائيلية في كلّ من نابلس ومخيم جنين.

وفي تعريفها تعتبر مجموعة عرين الأسود نفسها مجموعةً مسلّحةً عابرةً للفصائل، وأعضاؤها اجتمعوا على المقاومة ومواجهة الاحتلال، وقد شارك في العرض العسكري عشرات المسلّحين بشعارٍ ولباسٍ واحد. بعد إعلانها وتبنيها عمليات نوعية في الضفة الغربية ركّز الاحتلال في إعلامه على ربط المجموعة بحركة حماس، حيث صدرت العديد من التقارير التي تربط المطارد القسامي مصعب اشتية في تشكيل المجموعة وتمويلها وخروجها إلى النور، وقد اتهم الإعلام العبري "مصعب اشتية" بتمويل المجموعة بأكثر من مليون دولار أمريكي وشراء سلاح ومعدّات قتالية وذخيرة، بالإضافة إلى مساعدات مالية للمطاردين. في ١٩ سبتمبر ٢٠٢٢ اعتقلت قوة خاصة من الأجهزة الأمنية الفلسطينية المطارد مصعب اشتية وحوّلتها فوراً إلى سجن أريحا، على إثر ذلك اندلعت مواجهات واسعة في مدينة نابلس بين الشرطة والمتظاهرين استشهد فيها مواطن فلسطيني وأصيب آخرون، واستمرّت المواجهات يومين إلى حين

(١) وسام أبو شمالة، السلطة تعتقل المطارد مصعب اشتية.. الدلالات والتداعيات، موقع الميادين، بتاريخ ٢٠ سبتمبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط

التالي: <https://cutt.us/pPiFm>

مجموعة عرين الأسود كجسم عسكري جامع لعناصر المقاومة من الفصائل الفلسطينية في نابلس^(١).

في الخامس من أكتوبر ٢٠٢٢ اعتقلت قوات الاحتلال المقاوم سلمان عمران وهو أسير محرّر من حركة حماس، بعد نفاذ ذخيرته إثر خوضه اشتباكًا مسلحًا استمرّ لساعات في قرية دير الحطب شرق نابلس. وتنسب سلطات الاحتلال للمقاوم عمران، الانتماء لمجموعة عرين الأسود والمشاركة في عمليات إطلاق نار استهدفت قوات الاحتلال والمستوطنين وإصابة عدد منهم^(٢).

وفي العاشر من أكتوبر نفذت المجموعة عملية إطلاق نار على حاجز عسكري غرب مدينة نابلس قُتل فيها جندي في جيش الاحتلال. وفي فجر الثالث والعشرين من أكتوبر اغتال الاحتلال المقاوم تامر الكيلاني وهو أسير محرّر من الجبهة الشعبية وأحد قادة مجموعة عرين الأسود بعبوة جانبية في البلدة القديمة في نابلس. وفي فجر الخامس والعشرين من أكتوبر استشهد القائد في مجموعة عرين الأسود وديع الحوح وهو من حركة فتح أثناء اشتباك مسلح مع قوة خاصة اقتحمت البلدة القديمة.

وبعدها، توالت العمليات المشابهة في مناطق متفرقة من الضفة الغربية، وتبيّنت مجموعات العرين وعبر بياناتها عمليات إطلاق نار واشتباكات عديدة استهدفت بها الجيش الإسرائيلي والمستوطنين. وفي ١٦ أكتوبر ٢٠٢٢ نفذت مجموعة "عرين الأسود"، عملية نوعية في منطقة نقطة المربعة الفاصلة بين طريق يستمار الألتفافي وقرية تل استهل قرب نابلس. وبحسب بيان المجموعة، فقد تمّ إلقاء قنبلة يدوية غير محلية الصنع، مؤكدين أنهم حقّقوا إصابات في صفوف الجيش الإسرائيلي، وأن القنبلة وقعت بين خمسة جنود إسرائيليين ألحقها إطلاق وإبل مكثّف من الرصاص نفّذه مسلّحو "عرين الأسود"، وأكّدت المجموعة في بيانها أن كلّ العناصر انسحبت بسلام بعد تنفيذ العملية النوعية^(٣).

ووجّه البيان رسالةً "للإخوة بالأجهزة الأمنية" لتؤكد وحدة الصّف الفلسطيني وسلامة نهجهم المقاوم وسلاحهم الموجه صوب الاحتلال وحده وأن غير ذلك ليس منهم. ودخلت "عرين الأسود" في مواجهة علنيّة استمرّت يومين مع الأجهزة الأمنية الفلسطينية، التي اعتقلت مصعب اشتية ابن العرين وأحد عناصر كتائب القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) و"المطارذ الأخطر" والمطلوب الأوّل للاحتلال.

● عمليات المجموعة

تبيّنت مجموعة عرين الأسود العديد من العمليات النوعية التي أدّت إلى سقوط قتلى ووقوع إصابات في قوات الاحتلال الإسرائيلي. وفق اعتراف الاحتلال فقد ازدادت وتيرة العمليات في شهر سبتمبر ٢٠٢٢، حيث بلغت عمليات إطلاق النار على أهداف الاحتلال (٧٥) عملية، (٣٠ و ٢٨) عملية منها في جنين ونابلس على التوالي.

في فبراير ٢٠٢٢ اشتبك سائد الكوني (٢٢ عامًا) وعددٌ من رفاقه مع جنود الجيش الإسرائيلي، ممّا أدّى لاستشهاده وإصابة ثلاثة من رفاقه الذين انسحبوا بسلام. وقامت السلطات الإسرائيلية باحتجاز جثمان الكوني ورفضت تسليمه لذويه. لاحقًا، نعت "عرين الأسود"، ببيان لها الكوني ووصفته بـ"المقاوم البطل" وأكّدت الحدث واستشهاده بعد اشتباك مع جنود الجيش الإسرائيلي.

وفي ٢٤ يوليو ٢٠٢٢ استشهد العضوان البارزان في المجموعة محمد العريزي وعبد الرحمن صبح في اشتباك مع قوات الاحتلال ونجا من محاولة الاغتيال المستهدفين الرئيسيين المطاردين إبراهيم النابلسي ومصعب اشتية، وفي التاسع من أغسطس عام ٢٠٢٢ استشهد إبراهيم النابلسي في اشتباك مع قوات الاحتلال رفقة الشهيد إسلام صبح، خلال حفل تأبين الشهيد محمد العريزي وعبد الرحمن صبح أعلن عن إطلاق

(١) المرجع السابق.

(٢) من هو المطارذ سلمان عمران؟، وكالة سما الإخبارية، بتاريخ ٥ أكتوبر

٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/WKjLi>

(٣) "عرين الأسود" تتبنى "عملية نوعية" قرب نابلس وتكشف تفاصيلها،



الله على المقاومين دمجهم في أجهزتها الأمنية، بالإضافة إلى شراء أسلحتهم، لكن كان الرفض واضحاً من المقاومين، فيما طلبوا من رئيس السلطة برام الله محمود عباس بمقاومة الاحتلال، ردّاً على اغتيال قوات الاحتلال شهداء جنين (محمد ألونة - محمد أبو ناعسة - أحمد علاونة - عبد الرحمن خازم)^(٤).

ولسلامة البوصلة وطهارة السلاح؛ اتفق محلّون سياسيون على أن مجموعات "عرين الأسود" التي حدّدت البوصلة نحو القدس والسلاح نحو المحتل الغاصب، جلبت بذلك دعم والتفاف الجماهير من حولها. وأن طبيعة مكونات مجموعات العرين التي لم تقتصر على حزب أو فصيل بعينه من أحزاب المقاومة العاملة في فلسطين، جعلت الجميع يدعمها ويشجّعها ويقف في صفها.

فما هي استراتيجية مجموعة عرين الأسود وكتيبة جنين ومجموعات المقاومة الجديدة التي ظهرت في الفترة الأخيرة ونفّذت الهجمات ضدّ الاحتلال الصهيوني في فلسطين المحتلة؟ وما هي معالم الاستراتيجية الصهيونية في مواجهتها؟

موقع الراية، ١٥ أكتوبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي:
<https://cutt.us/HKj9r>

(٣) أهم المعلومات عن مجموعات عرين الأسود... تعرّف إليها، فلسطين أون لاين، ١٨ أكتوبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي:
<https://cutt.us/aWRF9>

(٤) المرجع السابق.

كما وجّهت عرين الأسود في بيان مقتضب، تحية لأهالي مدينة نابلس الصامدين على الحصار، قائلة: "نعدّهم بضرّيات تشفي الصدور". كما وجّهت رسالة لأهالي القدس قائلة: "أمّا أهلنا في القدس المحتلة وفي سلوان وشعفاط ومخيم شعفاط الأبوية.. في كل بقعة من بقاع القدس نريد منكم ليلة سوداء على العدو بحجم إجرامه، لماذا القدس؟ لأن القدس أوّل الرصاص وآخره.. أوّل البدايات وأوّل النهايات"^(١).

● الحظر على وسائل التواصل

في ١٥ أكتوبر وبعد طلبات من السلطات الإسرائيلية بحظر حسابات "عرين الأسود"، أغلقت إدارات عددٍ من مواقع التواصل الاجتماعي، الحسابات الخاصة بمجموعة "عرين الأسود" في الضفة الغربية، وذلك بعد نشرها رسائل ومقاطع فيديو توثق عملياتها الأخيرة. واستجابت إدارة تطبيقات "تيك توك" و"فيسبوك" و"إنستجرام"، في حين لم تستجب لهذا الطلب شبكة "تليجرام"^(٢).

● شعار عرين الأسود

تضمّن شعار مجموعات عرين الأسود العديد من العناصر ذات القيمة الكبيرة في المجتمع الفلسطيني، ومن أهمّ هذه العناصر: أولاً: اسم "عرين" وهو يرمز لماوى الأسود، ثانياً: قبة الصخرة المشرفة، وهي ترمز إلى القدس البوصلة، ثالثاً: البندقية، وهي ترمز للطريق والنهج الأصوب، رابعاً: الفتى والمقلاع والخريطة، كلنا مطالبون بالدفاع عن أرضنا بلا استثناء ولن نعدم الوسيلة في ذلك^(٣).

وفيما يخصّ موقف السلطة برام الله والذي كشفتته "القناة ١٢" العبرية، خلال شهر أكتوبر، عن عرض السلطة برام

وكالة وطن للأخبار، ١٦ أكتوبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي:
<https://cutt.us/RMEUi>

(١) "عرين الأسود" تعلن تنفيذ عملية نوعية استهدفت جنوداً إسرائيليين قرب نابلس، روسيا اليوم، ١٦ أكتوبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٥ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:
<https://cutt.us/dzzAx>

(٢) "عرين الأسود" تدعو إلى اشتباك واسع مع الاحتلال في الضفة الغربية،

ثالثاً- استراتيجية المقاومة الجديدة:

وضعت مجموعة عرين الأسود عددًا من العناصر التي توضح من خلالها استراتيجيتها في المقاومة، ويتضح من خلال تلك العناصر أنها تحاول تجاوز الانقسام الفلسطيني وتجاوز عجز السلطة، واعتبار أن رفع السلاح هو الحل المتاح أمام الفلسطينيين الآن، ومن تلك العناصر ما يلي:

١- عدم الانتماء تنظيمياً لأيٍّ من حركات المقاومة الفلسطينية التقليدية كفتح أو حماس أو الجهاد أو الجبهة الشعبية ونحوها فهي مجموعات عابرة لتنظيمات المقاومة التقليدية الشهيرة المعروفة، فهي تضمُّ بين جنَّباتها أيّ فلسطيني يريد أن يقاوم الاحتلال أيّاً كان انتماءه.

٢- عدم القطيعة اللوجستية مع أيٍّ من منظمات المقاومة الشهيرة، فهم يقبلون التمويل والتسليح من كلِّ جماعةٍ مقاومةٍ تمدُّ لهم يدَ العون^(١).

٣- التشجيع والترويج لعمليات المقاومة المسلحة الفردية عبر الهجمات ضد أهداف صهيونية كحواجز قوات الاحتلال أو بعض المستوطنين. وقد رصد المراسل العسكري لصحيفة «يديعوت أحرونوت» عشرين عملية هجومية بإطلاق نار خلال شهر ونصف فقط ضد مواقع صهيونية عسكرية واستيطانية في الضفة الغربية.

٤- استقطاب الشباب ومدّهم بالأسلحة لتنفيذ هجمات المقاومة بشكل فردي وعفوي، وهذا مكَّتهم من تنفيذ عددٍ كبيرٍ من الهجمات في وقت قصير نسبياً^(٢).

٥- تصوير عمليات المقاومة المسلحة أثناء تنفيذها وبثها على نطاق واسع عبر مواقع السوشيال ميديا مما يلهب مشاعر سائر الشباب الفلسطيني وينشر بينهم فكرة المقاومة ويدفعهم

للحاق بركب مجموعات المقاومة المسلحة الجديدة بتنفيذ عمليات فردية^(٣).

وتتلخّص تكتيكات العمل المقاوم وأدواته وأساليبه عند هذه المجموعات الجديدة في كلمة واحدة وهي "البساطة"، فعمليات المقاومة المسلحة لا تتطلب سوى سلاح فردي ناري أو أبيض بجانب موبايل لتصوير العملية وبثها بثاً مباشراً «Live» أثناء التنفيذ غالباً إن أمكن، أما لو لم يتمَّ بثها مباشرة «Live» فيجري تالياً النشر على السوشيال ميديا لكل ما يتاح بعد ذلك من فيديوهات وصور للعملية^(٤).

أما الهدف الذي يجري الهجوم ضده فعادة يكون هدفاً واضحاً، إما أن يكون حاجزاً أمنياً إسرائيلياً أو مركبة عسكرية في الأراضي المحتلة أو تجمُّعاً أو مركبةً للمستوطنين في الضفة الغربية أيضاً، فهم لا يستهدفون هدفاً سرياً أو حصيناً.

واستخدام السوشيال ميديا هو من أبرز تكتيكات هذه المجموعات المقاومة، فمواقع السوشيال ميديا لا يجري توظيفها في الترويج للمقاومة واستراتيجياتها الجديدة فحسب، بل إن هذه المواقع كثيراً ما تحلُّ محلَّ الروابط والاتصالات التنظيمية التقليدية التي كانت معتادةً في مجموعات المقاومة التقليدية أو القديمة. إن استخدام السوشيال ميديا واعتماد بساطة التكتيكات والأساليب واعتماد العمليات الفردية السهلة. كل هذا يهدف لتحويل المقاومة الجديدة إلى تيار شعبي جارف يقوم به جماهير الشباب الفلسطيني في كل بقعة من الأراضي المحتلة، بغضِّ النظر عن انتماه السياسي أو الفكري أو الإمكانيات التسليحية التي يمتلكها^(٥).

والدليل على نجاح استراتيجية وتكتيك مجموعات المقاومة الجديدة حتى الآن أنها كسبت تأييداً شعبياً واسعاً بين الجماهير الفلسطينية وهذا واضح في خروج الجماهير بالآلاف

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(١) عبد المنعم منيب، استراتيجية عرين الأسود، جريدة الأمة الإلكترونية، ١٦ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٥ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<https://cutt.us/TVOUr>

(٢) المرجع السابق.

الاعتقالات والمداهمات لم تحسّن الوضع الأمنيّ كثيرًا بالنسبة لجنود الاحتلال والمستوطنين^(١).

– التصفيات المستهدفة لعناصر المقاومة المهمة: كما حدث مع تامر الكيلاني وقادة عرين الأسود، فالاحتلال يرى أن محاولة اعتقال هذه العناصر المقاومة قد ينتج عنه مقتل مزيد من الجنود الصهاينة فصار يعتمد لقتلهم بأقل خسائر بين صفوفه ويحاول تجنّب إصابة الفلسطينيين الآخرين كي لا يوجّه مزيدًا من مشاعر الغضب الشعبي الفلسطيني^(٢).

– تكثيف المتابعة الاستخباراتية: وجاء هذا التكتيف عبر التوسّع في استخدام التجسس الإلكتروني واختراق هواتف المقاومين حتى إن بعض الصحف الإسرائيلية زعمت أن برنامج بيجاسوس هو الذي ساعد قوات الاحتلال في تحديد مكان قادة عرين الأسود واغتيالهم في نابلس.

– مساومة قادة المقاومين عبر السلطة الفلسطينية: حيث عمدت سلطات الاحتلال الصهيوني إلى دفع السلطة الفلسطينية بقيادة محمود عباس أبو مازن للتواصل مع بعض قادة مجموعات المقاومة الجديدة وعرضت عليهم تسليم سلاحهم وتحديد إقامتهم داخل الضفّة الغربية المحتلّة لفترة قصيرة ثم دمجهم بعد ذلك ضمن أجهزة القوى الأمنية الفلسطينية، وألحّت عليهم السلطة الفلسطينية في ذلك^(٣).

وما بين نهاية شهري فبراير ومارس ٢٠٢٣ عُقد لقاءان في العقبة في الأردن وشرم الشيخ في مصر وُصفاً بأنهما قمتين أمنيّتين برعاية أمريكية كان الهدف الأساسي منهما ما يُسمّى بخفض التصعيد، والمقصود مواجهة تصاعد المقاومة في الضفة في شهر رمضان، وقد رفضت معظم الفصائل الفلسطينية هذين اللقاءين الأمنيّين ومخرجاتهما وأبرزها إنشاء ما سُمّي "آلية للحدّ

في جنازات شهداء المقاومة، وهذا كله سبّب صدامًا لإسرائيل، لأنها تخشى من صحوة شعبية فلسطينية واسعة ضدها.

وهذا التأييد الشعبي سيجعل الشباب أكثر حماسًا للانخراط في صفوف المجموعات المسلّحة، وتنفيذ المزيد من عمليات المقاومة المسلّحة ضدّ أهداف إسرائيلية، لا سيما وأن شهداء المقاومة اكتسبوا شهرة كبيرة في الإعلام الفلسطيني والعربي، وأصبحوا رمزًا للبطولة الفلسطينية ضد إسرائيل. ويعتبر عبد اللطيف القانوع المتحدث باسم حركة المقاومة الإسلامية (حماس) أن "عرين الأسود امتداد طبيعي للمقاومة في قطاع غزة" مؤكّدًا أن "عرين الأسود في نابلس يمثّل كلّ ألوان الطيف الفلسطيني، وهو تجربة وليدة وناجحة أربكت حساب الاحتلال الصهيوني"^(٤).

رابعًا- استراتيجية الكيان الصهيوني:

لقد فوجئ الاحتلال الصهيوني بنشوء هذا التيار المقاوم الجديد وبأدر إلى صكّ استراتيجية لمواجهة هذه المقاومة الجديدة المتصاعدة تعتمد على عدد من العناصر الرئيسية وهي:

– الحصار: مع تفتيش كل مركبة تخرج أو تدخل، كما حدث بمحاصرة نابلس وجنين، وأدّى هذا إلى انتقال الاشتباكات مع المقاومة من المستوطنات والطرق إلى مداخل المدينة، ممّا منح الاحتلال قُرْبًا أكثر لجمع المزيد من المعلومات الاستخباراتية كما لم يكن من قبل.

– المداهمات والاعتقالات: كما حدث ويحدث في مختلف الأراضي المحتلة، والهدف من الاعتقالات جمع المعلومات عن مجموعات المقاومة الفلسطينية، ومع هذا فإن الاحتلال الصهيوني اعترف في أكثر من مناسبة أن

<https://cutt.us/LJZNr>

(٣) ما الخيارات المتاحة أمام إسرائيل لمواجهة "عرين الأسود" الفلسطينية؟، الجزيرة.نت، ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٦ مارس

٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/znNUc>

(٤) عبد المنعم منيب، استراتيجية عرين الأسود، مرجع سابق.

(١) فصائل فلسطينية: أبطال "عرين الأسود" امتداد طبيعي للمقاومة (فيديو)، الجزيرة مباشر، ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٦ مارس

٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/QQCwZ>

(٢) إسرائيل تعلن اعتقال ٣ عناصر من "عرين الأسود"، وكالة الأناضول، ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٨ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

ناحية ثانية، فهناك فرق كبير بينهما، فرق أهملته مجمل أو غالبية تجارب المقاومة الشعبية الفلسطينية وحركتها التحررية، عبر انتصارها لأولوية النضال العسكري، بل وأحاديته، بدلاً من التركيز على أهميته في سياق نضالي أوسع^(٢).

والأقرب إلى الدقّة القول بأن الجمع أولى من هذا التفريق، بمعنى الجمع بين طرفي المقاومة، عسكرية وغير عسكرية، فكلاهما يعزّز الآخر ويحميه، فالعمل العسكري المقاوم ضروري، والمقاومة غير العسكرية لازمة ولا غنى لأحدهما عن الآخر، في إطار من توزيع الأدوار وملاءمة الظروف، وكل ميسّر لما خُلق له. وهنا من اللائق الكف عن استخدام صيغة أفعل التفضيل عند المقارنة بين هذين النوعين من المقاومة كالزعم بأن المقاومة الشعبية أهم من العسكرية أو العكس. فالعمل العسكري يحمي فعاليات المقاومة الأخرى ويردع العدو أحياناً عن استمرار استهدافها، فيخف ضغطه عليها بحسب الظروف حتى لا تتحوّل إلى مرحلة أعلى من العمليات التي تستهدف موارده البشرية والاقتصادية، ومن جانب آخر فإن المقاومة الشعبية غير العسكرية توفر الحاضنة المجتمعية للمجاهدين وتوفر لهم الدعم المادي والمعنوي. ولذلك فإن الصهاينة يستهدفون النوعين بشكل متزامن حيناً وفي أوقات مختلفة حيناً آخر.

خاتمة:

المقاومة حياة، وتجدها تجددٌ للحياة، وهي ليست انتحاراً ولا محاولةً للانتحار كما يدّعي عرّابو التطبيع وساداتهم وممولّوهم الإقليميون والدوليّون، بل هي علاجٌ لليأس الفردي والجماعي عندما تضيق الدائرة ويظن الجميع أو معظمهم ألاّ سبيلَ إلاّ الاستسلام لواقع الحال وموازن القوة المادية المختلّة بين المحتلّ المتغطرس بقوّته والمقهورين والمستضعفين من الفلسطينيين.

يتعافى الفلسطينيون من القهر بالمقاومة، فالاستسلام يشوّه الروح ويمرض النفس بل والجسد، ومن هنا يأتي التعافي

من العنف" التي تُسوّي بين المجازر التي ترتكبها إسرائيل في جنين ونابلس، واستشهاد فيها ما يقرب من المائة فلسطيني منهم سبعة عشر طفلاً^(١)، وبين المقاومة التي يقوم بها الفلسطينيون دفاعاً عن أنفسهم.

والخلاصة أن مجموعات عرين الأسود صنعت حالةً وطنيةً شاملةً لجميع التجمّعات الفلسطينية داخل فلسطين وخارجها، الأمر الذي استحقّ تحليل الظاهرة واستنباط دلالاتها وأثارها الإيجابية. ويجمع غالبية المتابعين على أننا أمام ولادة جيلٍ فلسطينيٍّ جديدٍ، يُعيد بناء الوطنية الفلسطينية وبرنامجه السياسي وحركتها التحررية الشاملة، على امتداد الوطن والشتات.

وثمة رأي يذهب إلى أن ظاهرة عرين الأسود جزء من مقاومة شعبية أكبر وأهم، فالمقاومة الشعبية المتنوعة والمتشعبة التي سطرها الشارع الفلسطيني على امتداد الأشهر والسنوات الماضية؛ خصوصاً الأعوام الثلاثة الماضية، قوّضت أهمّ المبادئ والأدوات الصهيونية الاستراتيجية، مثل مبدأ الجيش والمنظومة الأمنية التي لا تُقهر، ومبدأ التفوق الصهيوني، واستراتيجية الحروب أو الضربات الاستباقية، واستراتيجية الاحتلال بالوكالة أو الوكيل الأمني. وبلغت هذا الرأي الانتباه إلى أن نجاح المقاومة الشعبية في ذلك أدّى إلى نجاح آخر لا يقلُّ أهميةً ومحوريةً، يتمثّل في قدرتها على إيجاد فضاء اجتماعي وأمني وسياسي فلسطيني خارج سيطرة الاحتلال، أتاحت الفرصة أمام ظهور حالة / حالات عسكرية جديدة، صنعها شبّان كتيبة جنين وعرين الأسود. بمعنى آخر: عرين الأسود من ظواهر المقاومة الشعبية الأوسع والأعم، واستمرارها بالاسم ذاته أو بأسماء وأماكن وهيئات أخرى مرهون حتمًا باستمرار المقاومة الشعبية؛ لا العكس. وهذا يضعنا أمام تحدّي ذاتيّ فلسطينيّ خاص، يتطلّب منّا التمييز بين أولوية النضال العسكري من ناحية، وضرورته أو أهميته من

(٢) حيان جابر، أهم من عرين الأسود، العربي الجديد، ٨ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٥ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<https://cutt.us/rWX71>

(١) تعرّف إلى أبرز توصيات الاجتماع الخماسي في شرم الشيخ بشأن فلسطين وإسرائيل، الجزيرة.نت، ١٩ مارس ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ٢٧ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/3gtk0>

إن تجدد المقاومة في الضفة الغربية وفي فلسطين من الممكن أن يكون بداية موجة جديدة من المقاومة وخطوة على طريق النصر ضد العدو الصهيوني؛ لأن "مسألة تحرير فلسطين هي مسألة مشروع ينظم إمكانات الأمة ويرد على حرب العدو الشاملة بحرب شاملة ثقافية وفكرية واقتصادية وفكرية وأمنية وعسكرية. ويبقى دور المجاهدين في فلسطين، وهو إحياء فريضة الجهاد ضد العدو ومشاغته واستنزاف طاقاته وكشف وجهه البشع، وتدمير ما يستطيعون من قدراته وإدامة الصراع حتى وحدة الأمة وتحقيق النصر، والتصدي لمؤامرات تصفية القضية التي يوجهها الغرب"^(٤).

وهكذا يمضي مجاهدو عرين الأسود وغيرها من موجات المقاومة في الضفة الغربية وكافة ربوع فلسطين، يرددون مع الشهيد المقاوم الشاعر فتحي الشقاقي كلمات من قصيدته "الاستشهاد: حكايات من باب العمود":

تلفظني القدس إن كنت نسيت

تلفظني الفاء

تلفظني اللام

تلفظني السين

تلفظني الطاء

تلفظني الياء

تلفظني النون

تلفظني كل حروفك يا فلسطين

تلفظني كل حروفك يا وطني المغبون

إن كنت غفرت

أو كنت نسيت

بالمقاومة العفوية والمنظمة، العسكرية وغير العسكرية. وللتنظيمات ضروراتها وللمقاومين خياراتهم، فإذا تواءمت التنظيمات مع اتفاقيات خفض التصعيد المجبرة عليها لتوفير الحد الأدنى من مقومات الحياة للفلسطينيين الذين يعيشون في غزة، واستسلمت السلطة الفلسطينية لما يُسعى بالتنسيق الأمني، فإن المجاهدين المقاومين ليسوا بملزمين بذلك.

كما أن ريادة المقاومة ليست قدرًا مؤبّدًا، بل هي امتحان بالتجربة والممارسة، فليس لتنظيم أو سلطة أن يحتكر المقاومة ويحصنها بأعماله، فإن تولوا فسوف يستبدلهم الله، يقول الله عز وجل: (وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)^(١).

المقاومة الجديدة عابرة للفصائل والتنظيمات، يجمعهم الجهاد والنضال، وهو ما عبّر عنه الشهيد فتحي الشقاقي بكلمات موجزة صادقة منذ ما يربو عن ربع قرن، حين قال: "وحدة الخط النضالي وصلابته أسبق من وحدة الإطار" مع احترازه من تحوّل الخلاف إلى صراع بقوله: "نؤكّد أن خلافتنا الأيديولوجي والسياسي مع أي طرف أو جزء من أجزاء شعبنا الفلسطيني لا يمكن حسمه إلا بالحوار الفكري والسياسي، بعيدًا عن العنف، فالعنف فقط ضدّ العدو الصهيوني"^(٢)، والمقاومة أول بشائر الإصلاح والنهضة شريطة العمل على الأرض بالعرق والدم. فالشقاقي يذكرنا بأن النهضة "هي متغيّر على أرض الواقع وفي داخله، ولإنجاز مشروعها لا بدّ أن تضرب الأمة وقادتها وزعمائها في ملامح هذا الواقع بمثابة واستعداد عميق للتضحية، وإيمان واسع بأن ظهرها على الجدار. وكما ضرب النخات في الصخر، فإن كلّ متغيّر مهما صغر في الواقع، يأخذنا قدمًا إلى مرحلة التشكيل المبدع في صورته الأخيرة، ولكن في مراحل عديدة سيكون دمننا هو البديل عن عرق النحات"^(٣).

(١) سورة محمد: ٣٨.

(٢) فتحي الشقاقي، رحلة الدم الذي هزم السيف، الأعمال الكاملة، (القاهرة: مركز يافا، ١٩٩٧)، ص ٣٥٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٧٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٩١.

اتجاهات الدراما في مصر (٢٠٢١/٢٠٢٢):

بين الدولة والمجتمع ورأس المال

أمنية عمر*

الإنتاج الدرامي في مصر في سنواته الأخيرة بعدة عوامل؛ من أهمها خصوصية المرحلة التاريخية التي ينتج بها، والإطار الدستوري المنظم للصحافة والإعلام، والهيكل التنظيمي الجديد للإعلام في مصر وما نتج عنه من لوائح قانونية منمّمة، وكذلك ظاهرة احتكار الإنتاج الإعلامي في مصر.

أولاً- سياق الإنتاج الدرامي في مصر:

تشهد مصر منذ عام ٢٠١٣ مناخًا سياسيًا شديد التعقيد، مما انعكس بطبيعة الحال على الأفق السياسي المسموح به لحرية الأفكار والتعبير عن الرأي، مقارنة بالانفتاح السياسي المؤقت الذي شهدته البلاد في الفترة ما بين ٢٠١١ وحتى ٢٠١٣، وهناك العديد من المؤشرات على طبيعة السياق السياسي الذي تشهده مصر في السنوات الأخيرة لا مجال للتفصيل فيها هنا^(١).

نتج عن هذا المناخ ظهور تصور آخر للدولة مغاير على الأقل لما ثارت عليه مظاهرات يناير، قوامه تحالف السلطات فلا تعرف مفهوم "الفصل"، واحتكار إحدى مؤسسات الدولة أدوار الحماية والحكم وصنع التوازنات وفق رؤيتها، وأخطر من كل ذلك وضع الأسس الفكرية والعقائدية السياسية لهذه الدولة^(٢).

مقدمة:

يمثل الإعلام -باعتباره "خطاباً"- أحد أهم المرتكزات التي يُعتمد عليها في استقاء المعلومات وتشكيل الآراء، وكسب التأييد والدعم، وهو -بهذا الاعتبار- في علاقة ارتباطية بالقوة باختلاف صورها ومصادرها، فالقوة هي التي تنتجها وتضمن له استمراريته.

وتمثل الدراما أحد أهم أشكال هذا الإعلام، وتستمد أهميتها من الشريحة المجتمعية العريضة التي تخاطبها؛ فجزء كبير من هذه الشريحة لا تعنيه ثروة الساسة ولا طنطنة المثقفين ولا يستمع إليها من الأساس، لكن تقنعه الدراما وتجذبه بعناصرها البصرية وحبكاتها الدرامية. ومن جهة أخرى فإن لهذه الشريحة ثقلها في أي معادلة لموازن القوى داخل المجتمع، يدفع هذا بالتيارات المختلفة داخل أي مجتمع للتنافس من أجل الاستحواذ على أدوات الإنتاج الدرامي، وخلق هذه الصلة مع جماهير الشاشة الصغيرة، وربما تعكس خريطة الإنتاج الدرامي وتنوعها طبيعة المناخ السائد في المجتمع المصنوعة فيه.

لذا فإنه لا يمكن تحديد وفهم اتجاهات الدراما في مصر دون موضعتها في السياق الذي أنتجت به، إذ أن هذه الأعمال الدرامية وما تمثله من اتجاهات، تعتبر الثمرة النهائية للعديد من العوامل المؤثرة بها والمشكلة لها في الوقت ذاته، وقد تأثر

* باحثة في العلوم السياسية.

(١) للتفصيل راجع:

Amr hamzawy, Michili Dunne, Egypt's political exiles: going any where but home, Carnegie for international peace, 29 March 2019, accessed at: 19 March 2023, available at: <https://cutt.us/LoHXI>

(٢) راجع: سيف الدين عبدالفتاح، تجديد للدين أم تأمين وتبيد المواطن من جديد، عربي ٢١، ٢٦ سبتمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ١٧ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/fMZaE>

برئاسة مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين في عهد الرئيس مبارك، جاء هذا الاختيار بالإضافة لباقي أعضاء المجلس مثيّرًا للعديد من الأسئلة والشكوك في ظل غياب أي آليات واضحة لتنفيذ هذا الاستقلال وضمائنه عن القانون المؤسسي للصحافة والإعلام الذي صدّق عليه رئيس الجمهورية^(٢).

وفيما يخص الدراما فقد باشر المجلس الأعلى للإعلام دوره الرقابي عليها منذ الأيام الأولى لتشكله، ففي اجتماعه المنعقد في السابع من يونيو -أي بعد تشكله بشهرين- أصدر المجلس تقرير "رصد تجاوزات مسلسلات وبرامج رمضان من ٢٧ مايو وحتى ٦ يونيو ٢٠١٧"، جاء فيه رصد لما اعتبره المجلس مخالفات في المسلسلات والبرامج والإعلانات بعد انقضاء الثلث الأول من شهر رمضان، جاء رصد هذه المخالفات من وجهة نظر المجلس الأعلى للإعلام ووفق تقييمه منفردًا. وفي نهاية العام قرر مسئولو المجلس الأعلى للإعلام تأسيس لجنة درامية برئاسة المخرج محمد فاضل لتطوير الدراما المصرية، فحسب تصريح رئيس المجلس الأعلى للإعلام مكرم محمد أحمد "فإن مصر عاشت ٨ سنوات من الفوضى لا حدود ولا قيم ولا التزام بأي شيء"، مُطالبًا مجلس النواب بقبول معايير الدراما التي أعدها المجلس؛ حيث رأى أن "العملية بلا ضابط محدش يحاسب حد، وكل واحد عايز بياخذ حريته المطلقة ولا يوجد معايير ضبط المسلسلات"^(٣).

وبالإضافة لوضع المعايير التي لا بد على منتجي الدراما الالتزام بها، فقد حددت اللجنة الموضوعات الدرامية التي ينبغي لصناع الدراما والمنتجين الفنيين الاختيار منها؛ مثل التوقف عن تجاهل ودهس القانون عن طريق الإيحاء بإمكانية تحقيق العدالة والتصدي للظلم الاجتماعي باستخدام العنف العضلي وليس بالطرق القانونية، وإفساح المجال لمعالجة الموضوعات المرتبطة بالدور المجيد والشجاع الذي يقوم به أفراد المؤسسة العسكرية ورجال الشرطة في الدفاع عن الوطن، وكذلك الدراما

وفي هذا السياق أدركت الدولة خطورة ومحورية دور الإعلام في هذه المرحلة، وهو ما تدل عليه إعادة الهيكلة التنظيمية التي شهدتها الإعلام منذ عام ٢٠١٤ كمرحلة أولى، ثم الاحتكار شبه الكامل للمجال الإعلامي المصري. وعلى الرغم من أهمية البرامج السياسية اليومية في إيصال التصور الجديد للدولة، لكنها قاصرة على مستوى الجمهور الموجهة إليه، في حين تأتي الدراما كخطاب له من الإمكانيات البصرية الإبداعية والحبيكات الدرامية، ما يجعله المنبر الإعلامي الأهم والأكثر تعبيرًا عما تريد الدولة إيصاله ومن المجتمع استيعابه.

● الإطار التنظيمي للإعلام في مصر

أقرّ دستور مصر لعام ٢٠١٤ -كسابقه- بحرية واستقلال وسائل الصحافة والإعلام، وجاء تنظيمهما في المواد ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢ من باب الحقوق والحريات. كما جاءت المواد ٢١١، ٢١٢، ٢١٣ لتؤكد حرية واستقلال المجلس الأعلى للإعلام والهيئات التابعة له ماديًا وإداريًا وفنيًا، وأن وسائل الإعلام والصحافة الحكومية موضوعية وحيادية تعرض كافة الاتجاهات السياسية، وتكفل فرصة متكافئة لكافة التيارات في مخاطبة الرأي العام، وقد انبثق عن تلك المواد الدستورية قوانين وهيكل تنظيمية تدار المساحة الإعلامية والصحفية في مصر من خلالها، ومن المفترض أن وظيفة هذه القوانين والهيكل هو التطبيق الإجرائي للاستقلال الذي نص عليه الدستور^(١).

وبعد تصديق البرلمان على القانون رقم ٩٢ لعام ٢٠١٦، أول قانون منظم للإعلام بعد ٢٠١٣، لإنشاء الهيئات المنظمة للإعلام، صدر قرار التشكيل من رئيس الجمهورية، على أن تصدر اللائحة التنفيذية من قبل مجلس الوزراء بالتشاور مع الأعلى للإعلام خلال ثلاثة أشهر، وهو ما لم يحدث. وفي إبريل ٢٠١٧، شكّل المجلس الأعلى للإعلام من ثلاثة عشر عضوًا،

(١) إصدار دستور جمهورية مصر العربية المعدل لسنة ٢٠١٤، موقع منشورات قانونية، ١٨ يناير ٢٠١٤، متاح عبر الرابط التالي:

<https://cutt.us/cXxHR>

(٢) قانون التنظيم المؤسسي للصحافة والإعلام، الجريدة الرسمية، ٢٤

ديسمبر ٢٠١٦، العدد ٥١، ص ٢-٤٠.

(٣) وداد حمدي، لجنة لمراقبة أعمال الدراما المصرية، المرصد العربي للصحافة، ٢٦ مايو ٢٠٠٨، تاريخ الاطلاع: ١٥ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/j6Kx1>

٢٠١٨؛ حيث صدرت عن اللجنة تقارير دورية يومية وأسبوعية وختامية، وتعاونت اللجنة خلال هذا الموسم مع أربع لجان أخرى تتبع أربع هيئات قومية: المجلس الأعلى للإعلام، والمجلس القومي لحقوق الإنسان، والمجلس القومي لحقوق المرأة، وصندوق مكافحة الإدمان والتعاطي. وقد توسعت اللجنة في رصد المخالفات؛ ففي مقابل ٦ أنماط اعتمد عليها المجلس الأعلى في تقريره عام ٢٠١٧ لـ رصد المخالفات، اعتمدت اللجنة ١٩ نمطاً في تقريرها الختامي للموسم الدرامي الرمضاني عام ٢٠١٨. وقد استقالت اللجنة بعد أيام من رفع تقريرها الختامي بسبب عدم توقيع المجلس عقوبات على المخالفين، ولم يعاد تشكيل اللجنة حتى إبريل ٢٠١٩؛ حيث تولى المخرج مجدي لاشين رئاسة لجنة الدراما حتى ٢٠٢٠، وخلال هذا العام رصدت اللجنة تراجع المخالفات في الأعمال الدرامية؛ حيث اقتصرت ٦٥٪ من مخالفات الأعمال الدرامية لموسم ٢٠١٩ على الألفاظ المتدنية، في حين صرح مجدي لاشين رئيس لجنة الدراما عقب الموسم الدرامي ٢٠٢٠ أن الأعمال الدرامية التي عُرضت في شهر رمضان رائعة وهناك التزام تام بالمعايير التي وضعها المجلس الأعلى للإعلام، وأكد أيضاً أن الأعمال الدراما مميزة، وأن مسلسل "الاختيار" تحديداً في غاية الروعة والتميز، ويُعد نموذجاً للعمل الدرامي الوطني المتميز، وأشار إلى أن نسبة المخالفات في الأعمال الدرامية لا تتعدى ٥٪^(٢).

تزامن هذا الانحصر في حجم المخالفات وكذلك في دور اللجنة، مع صعود ظاهرة جديدة بوتيرة متسارعة على الساحة الإعلامية والدرامية خصوصاً، تمثلت في شركة "إعلام المتحدة".

● احتكار الإنتاج الدرامي

كان التغيير الهيكلي للإعلام ومؤسساته هو الخطوة الأولى من دخول الإعلام لمرحلة التأميم، التي بدأتها الدولة منذ ٢٠١٤، بينما كان العام ٢٠١٦ هو بداية المرحلة الثانية لبسط الدولة يدها حقيقةً ومجازاً على المجال الإعلامي، ليس فقط على

التاريخية والدينية والسياسية للشعبية للأبطال الوطنيين بهدف تعميق مشاعر الانتماء وتنمية الوعي القومي. وأقرت لجنة الدراما لأول مرة تطبيق غرامة (مائتي ألف جنيه) على كل قناة فضائية، و(مائة ألف جنيه) على الإذاعات، مقابل كل لفظ مُسيء يتم نشره عبر إحدى هذه الوسائل، على أن يتم سحب ترخيص الوسيلة الإعلامية التي تتكرر من خلالها الإساءات ولم تلتزم بالعقوبة خلال ستة أشهر، وتعاد إجراءات الترخيص من جديد. وحذر المجلس الأعلى للإعلام أيضاً القنوات الفضائية من عرض أعمال من دون إجازة جهاز الرقابة؛ حيث دعا المجلس إلى منع عرض أي منتج درامي قبل الحصول على التصريحات الرقابية بكل مراحلها^(١).

كانت هذه القرارات محل تساؤل؛ فمن جهة لم ينص القانون رقم ٩٢ لعام ٢٠١٦ -الذي صدق عليه رئيس الجمهورية- على اختصاصات كهذه للمجلس، بل إن هذه العقوبات والغرامات جاءت قبل صدور اللائحة التنفيذية المنظمة لعمله، التي كان من المقرر صدورها من قبل رئاسة الوزراء بالاتفاق مع المجلس الأعلى للإعلام والهيئتين التابعتين له خلال ثلاثة أشهر من التصديق على القانون. ومن جهة أخرى لم تحدد اللجنة طبيعة الألفاظ المسيئة ولا ما قد يضر بقيم المجتمع والنظام العام، وهو ما يجعل الباب مفتوحاً أن تُؤوّل كل الألفاظ والمشاهد بأنها مسيئة ومضرة بقيم المجتمع ونظام الدولة العام، ويمنح الدولة سطوة تامة على الدراما "كخطاب" موجه للجمهور ومشكّل لرأيه العام، ويضرب بمواد الدستور التي تنص على فرص متكافئة لكافة التيارات في مخاطبة الرأي العام عرض الحائط.

وقد حرصت اللجنة على أداء دورها في الرقابة على الأعمال الدرامية بشكل تام؛ حيث انبثق عنها خمس لجانٍ رصدٍ مختلفة، تتولى تدقيق كل مشهد درامي يُعرض على التليفزيون. وقد بلغ الدور الرقابي للجنة ذروته أثناء الموسم الرمضاني للعام

(٢) مينا غالي، تقرير لجنة الدراما: ٦٥٪ ألفاظ متدنية، والإعلانات تعادي المسلسلات، المصري اليوم، ٣٠ مايو ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ٢١ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/enV5x>

(١) محمود عثمان، "عودة الحسبة" .. عن تدخل "الأعلى" للإعلام في دراما رمضان، مؤسسة حرية الفكر والتعبير، ٣ يوليو ٢٠١٧، تاريخ الاطلاع: ٢٠ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/ljUoj>

شركة "إعلام المصريين"، وهذا أثر بالتأكيد على الموسم الدرامي؛ حيث وصفه النقاد بـ "الأضعف درامياً منذ ٢٠١١" (٢).

لكن ضعف الموسم الدرامي لعام ٢٠١٩ وعدم قدرة سينيرجي على الحفاظ على المستوى الفني للدراما وتنوعه، دفعها لمعاودة إدخال شركات أخرى (مثل العدل جروب) إلى السوق ولكن وفق شروط سينيرجي، في محاولة لرفع المستوى الفني للأعمال؛ حيث إن تدني مستوى الموسم الدرامي والخسائر التي تكبدتها الشركة قد أضر بمكانة تامر مرسى في الشركة، لذا تحالف مع عدد من شركات الإنتاج لرفع مستوى الموسم الدرامي على أن تكون القنوات المملوكة للشركة العارض الحصري لها، لذا شهد الموسم الدرامي ٢٠٢٠ عودة الكثير من الغائبين عن الدراما (٣).

كما وقّعت الهيئة الوطنية للإعلام برئاسة حسين زين، ومجموعة إعلام المصريين برئاسة تامر مرسى عدة بروتوكولات، وبحسب ما أعلنوا فإن التعاون جاء بهدف تقديم محتوى أفضل على شاشات التلفزيون المصري لمدة خمس سنوات، بالإضافة لاحتكار تراث ماسبيرو وامتلاك الحقوق الفكرية له وعرضها حصرياً على منصة "watch it". الجدير بالذكر هنا أنها المرة الأولى التي تعلن فيها الشركة تبعيتها للدولة بشكل مباشر؛ حيث أصدرت الشركة بيانا قالت فيه: "شركة watch it باعتبارها الشركة المملوكة للدولة المصرية والمعنية بحماية وحفظ وعرض المحتوى الفني في أرشيف التلفزيون لن تسمح بالمزيد من الإهدار أو السطو أو القرصنة على أي من المواد الفنية أو المحتوى الإبداعي الذي يملكه التلفزيون"، مثل هذا البيان الإعلان الرسمي لاكتمال تدشين ما يُعرف بعصر "الأذرع الإعلامية للدولة" على كافة الأصعدة، والدراما في القلب منها (٤).

مستوى القوانين والهيكل التنظيمية، وإنما على مستوى الاحتكار المادي الحقيقي لكافة وسائل الإعلام ورأس المال المتحكم فيها.

حدث ذلك عبر تأسيس أحمد أبو هشيمة شركة إعلام المصريين، وإعلان استراتيجيته "الطموحة" بضخ أموال جديدة في الإعلام، وبالفعل خلال عام استطاع السيطرة على العديد من الوسائل الإعلامية والصحفية، بالإضافة لشركات الإنتاج والطباعة والتسويق والإعلان، لكنه انسحب من مجال الإعلام دون مقدمات في ديسمبر ٢٠١٧، واستحوذت شركة "إيجل كابيتال" برئاسة داليا خورشيد-وزيرة استثمار سابقة- على ٦٠٪ من شركة إعلام المصريين، جاءت هذه الخطوة بعد أسابيع قليلة من إعلان الرئيس السيسي عزم الدولة على إنشاء قناة بمعايير عالمية ورأسمال ضخمة، وجاءت العديد من التحقيقات تؤكد أن المخبرات العامة المصرية هي راعي هذه الصفقة والمالك الحقيقي للشركة (١).

انعكس ذلك الاستحواذ لشركة "إيجل كابيتال" على الدراما بشكل واضح، فشركة سينيرجي التي تمتلكها "إعلام المصريين" مناصفة مع تامر مرسى-رئيس مجلس إدارتها وإدارة إعلام المصريين- قد أنتجت ١٥ مسلسلاً تلفزيونياً من أصل ٢٣ مسلسلاً أنتجت في الموسم الرمضاني لعام ٢٠١٩، في حين أن سينيرجي لم يكن يتجاوز إنتاجها كل موسم رمضاني عملياً أو ثلاثة. تأكدت هذه السيطرة مع غياب شركات الإنتاج الدرامي الكبرى -أمثال العدل جروب وبي لينك ريمون مقار ومحمد فوزي- عن الموسم الدرامي بسبب التضييق عليها في الحصول على تصريحات أمنية لأماكن التصوير، أو بسبب مشاكل مع

(٣) محمد زكريا، مسلسلات رمضان ٢٠٢٠.. موسم العائدين إلى الدراما بعد غياب، اليوم السابع، ٥ أبريل ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٧ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/wfpo>

(٤) أحمد جمال، إعلام المصريين تحتكر تراث المصريين، جريدة العرب، ٢٨ مايو ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع: ٣ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/RI44s>

(١) عماد ناصف، إعلام المرأة الحديدية قراءة في صفقة بيع إعلام المصريين، مركز رؤيا للبحوث والدراسات، ٢٢ ديسمبر ٢٠١٧، تاريخ الاطلاع: ٢٣ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://ruyaa.cc/Page/1924>

(٢) سارة رمضان، لمن الغلبة؟ الإنتاج الدرامي بين أجهزة المخبرات والقطاع الخاص، مؤسسة حرية الفكر والتعبير، ٢٣ سبتمبر ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع: ٢٣ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/sdQrj>

ثانيًا- الموسم الدرامي ٢٠٢١/٢٠٢٢

بناءً على ما ذكر، وبالإضافة للأزمة الاقتصادية التي تقبع فيها مصر والعالم، فإن السمات الرئيسية للدراما المصرية شهدت العديد من التغيرات في الموسم الدرامي الأخير. يرى بعض الباحثين المهتمين بالشأن الفني أن العوامل التي مر بها سوق الإنتاج الدرامي في مصر، عززت من دور منصات الدراما الإلكترونية وجعلت منها لغة السوق وعجلة الإنتاج الجديدة، خاصة أن هذه المنصات تسعى لاستقطاب الفنانين الموهوبين والمنتجين الناشطين لخوض غمار المنافسة على مدار العام؛ فبعد أن كان موسم دراما رمضان الأكثر بروزاً والأعلى مشاهدة، غيرت المنصات الرقمية خريطة عرض الأعمال الدرامية وكسرت حاجزها الزمني. ونتيجة المنافسة القوية بين المنصات الإلكترونية، فُتح المجال لتقديم العديد من الأعمال المهمة الجيدة فنيًا، مما أدى لتغيير في أنماط وأشكال الإنتاج^(١).

دفعت حالة السوق أيضًا لانتشار فكرة المسلسلات القصيرة التي لا يتجاوز عدد حلقاتها ١٥، بحيث تتعدد الحكايات والأبطال والشخصيات داخل العمل الواحد. اللافت هنا أن منصات المشاهدة الإلكترونية هي التي سيطرت بالكامل على عرض هذه الأعمال خاصةً في موسم ٢٠٢٢، وربما هذا بدافع التحرر من القيود الرقابية من جهة، ورفع العوائد المادية من جهة أخرى. فبعد أن كانت القنوات التقليدية هي التي تقود التغيير في القوالب الدرامية، باتت تابعة لما يُقدّم عبر منصات البث، لكن المنصات تتفوق على القنوات بامتلاكها حرية القوالب الفنية وإمكانية توسيع حيز الموضوعات ورفع سقف تناولها، وهو ما تفتقده الدراما المصرية في السنوات الأخيرة^(٢). شهد الموسم الدرامي الأخير كذلك العديدَ البطولات المطلقة للنساء؛ ففي الموسم الدرامي الأخير كان هناك حوالي

اثنى عشرة بطولة نسائية مطلقة في الأعمال الدرامية، وقد وأشار المجلس القومي للمرأة أنه للمرة الأولى منذ بداية المرصد عام ٢٠١٦ يرصد مسلسلات تناقش قضايا المرأة بعمق وجرأة وواقعية خاصة في الصراعات التي تخوضها السيدات داخل المحاكم وأقسام الشرطة وتبعات ما تعانیه النساء بعد الطلاق. كذلك كان من اللافت تحول عدد من الروايات الأدبية لأعمال درامية في الموسم الأخير، بما يناسب التوجهات الحالية للدولة، وربما جزء من هذا عائد لضعف السيناريوهات الموجودة في السوق الدرامي أو عدم مناسبتها لتوجهات الدولة الجديدة، ومن ضمن هذه الروايات، رواية نجيب محفوظ "قصة كفاح"، التي تحولت إلى مسلسل "الملك" من إنتاج سينرجي، وتقص حكاية البطل أحسن، الذي ضحي بعاطفته في سبيل طيبة وتحرير وطنه، كذلك سيحضر نجيب محفوظ في الدراما برواية أخرى "بين السما والأرض"، من إنتاج سينرجي أيضًا. هناك أيضًا مسلسل "سر الغرفة ٢٠٧" المقتبس من رواية بنفس الاسم للدكتور أحمد خالد توفيق، وعرض على منصة شاهد، كما أنتجت منصة "نيتلفكس" مسلسل "ما وراء الطبيعة" المأخوذ أيضًا عن السلسلة الشهيرة لدكتور أحمد خالد توفيق^(٣).

كذلك ظهر في المواسم الدرامية الأخيرة ما يسمى بظاهرة "ورث الكتابة" أو الكتابة الجماعية، ففي الموسم الدرامي الأخير وضعت هذه الورش بصمتها على ١٠ مسلسلات جديدة منها: "بطلوع الروح" و"المداح ٢" و"دنيا ثانية". ورغم نجاح بعض الأعمال الناتجة عن تلك الورش، لكن الظاهرة أثارت جدلاً واسعاً؛ حيث يراها البعض تفتقد إلى الدقة، وتكون كتابتها مشتتة ولا رسالة لها^(٤).

العدد ١٤، ١٤ يناير ٢٠٢٢، ص ٢٨٧-٢٩٦.

(٣) الشيماء فاروق، كثافة الإنتاج الدرامي: تنوع بين مسلسلات قصيرة وحلقات منفصلة، الشروق، ٢٩ ديسمبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع: ٢٥

يناير ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/2xYAd>

(٤) أسماء يوسف، صراع الدراما يشتعل بين الورش والمؤلف الواحد، الهيئة الوطنية للإعلام، ٢٠ يناير ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ٥ فبراير ٢٠٢٣،

(١) عبدالرحمن أحمد، رغم الطبيعة والأماكن التاريخية.. لماذا يهرب صناع السينما والدراما من التصوير في مصر؟، الجزيرة نت، ١٧ أكتوبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٧ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<https://cutt.us/wjAyN>

(٢) فضيلة تومي، كيف غيرت المنصات الرقمية الدراما في العالم؟ في ظل ثنائية الإنتاج والتلقي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية،

● اتجاهات الموسم الدرامي ٢٠٢٢/٢٠٢١

انعكست سمات الدراما المصرية في سنواتها الأخيرة على مختلف اتجاهاتها والقضايا التي تعالجها، من بين أهم الاتجاهات التي غلبت على الدراما المصرية الاتجاه الوطني-من منظور أجهزة الدولة المصرية-، فبعد عرض الموسم الأول من مسلسل الاختيار في ٢٠٢٠ تخليدًا لدور الجيش المصري وبطولاته، أنتجت شركة "إعلام المتحدة" في الموسم الذي يليه أكثر من عمل "وطني"؛ فجاء مسلسل "الاختيار ٢" تخليدًا لدور الشرطة المصرية من ٢٠١٣ وحتى ٢٠٢٠. وكذلك الجزء الثالث من المسلسل نفسه، وحشدت فيه الشركة العديد من النجوم المشهورين، الذي يروي سردية الدولة لأحد أكثر لحظات تاريخ مصر المعاصر حساسية؛ حتى أن "برومو" المسلسل الدعائي جاء تحت عنوان "أخطر ٩٦ ساعة في تاريخ مصر"، ويتطرق المسلسل إلى عدد من الشخصيات المحورية من منظور الدولة المصرية وروايتها. وكذلك أنتجت الشركة مسلسل "هجمة مرتدة" الذي قيل أنه يتناول قصة حقيقية من واقع ملفات المخابرات المصرية.

كان الوجه الآخر للأعمال الدرامية الوطنية، هو الأعمال التي تبرز وجه الإرهاب القبيح الذي تحاربه الدولة؛ مثل مسلسل "القاهرة كابول"، الذي يناقش الظاهرة بالتزامن مع خوض الدولة حربها ضد "الإرهاب"، ويسلط الضوء على ثلاث شخصيات رئيسية: الإرهابي المتعاون مع عدد من المنظمات، وضابط الشرطة الذي يتصدى له، بالإضافة للإعلامي الذي ينقل الصورة^(١).

ورغم الإشادة الكبيرة التي حصدها هذه المسلسلات من قبل الصحف والنقاد المحسوبين على الدولة، لكنها تعرضت للنقد الشديد من قبل آخرين؛ فيرى -مثلاً- محمد أمين في العربي الجديد اللندنية أن مسلسل "الاختيار ٣" يُظهر ما يصفه

بـ"صراع الروايات وتزييفها"؛ حيث "يظهر بكل أسف القاع الذي سقط فيه الفن وهو يحاول مجاملة سياسي، وكمن السخف الذي يظهر في المسلسل غير مسبوق"، ويضيف أن المعالجة الدرامية للمسلسل "تحاول إضفاء صفة القداسة على الحاكم، كما أن إنتاج الدولة لعمل عن نفسها يعني أنها تدرك أن الشعب غير مقتنع بما قدمت، فتلجأ للدراما لتصوغ قصتها الخاصة". بالإضافة لذلك يرى العديد من الباحثين أن هذا النمط من الدراما يعمّق القطيعة والاستقطاب الذي يشهده المجتمع منذ ٢٠١٣، ويعوق أي محاولة للوصول لمصالحة على المستوى المجتمعي أو السياسي^(٢).

هناك أيضًا اتجاه الأعمال التي تناقش تلك المساحة الشائكة ما بين الديني والسياسي والاجتماعي، ومن أبرزها مسلسل "فاتن أمل حربي"، كتابة إبراهيم عيسى، الذي أثار الكثير من الجدل والنقاشات الساخنة؛ فقد بُني محور المسلسل، ورُسم خطه الدرامي الرئيسي على أساس الظلم القانوني الذي يلحق بالمرأة المطلقة، وطالب بضرورة إجراء تعديلات أساسية على قوانين الأحوال الشخصية لضمان مساواة النساء بالرجال أمام القانون، لكن معالجة المسلسل للموضوع قد أثارت العديد من الإشكالات، حتى صدر بيان من الأزهر يستنكر الصورة التي عرض بها المسلسل رجل الدين، والتصورات والمفاهيم المغلوطة عن التشريع ومصادره وأحكامه. جاء بيان الأزهر شديد اللهجة، خاصة أن الموسم الأخير من الدراما شهد حضورا كثيفا لأدوار تمثل عالم الأزهر تحديداً بزينة الأزهر، جاءت تلك الأعمال في مجملها مسيئة، وهو ما دفع بالأزهر للخروج بهذا البيان.

في الإطار نفسه، شهد الموسم الدرامي الأخير في العديد من أعماله على الجدل الشديد القائم بشأن قانون الأحوال الشخصية، والذي يدعم "القومي للمرأة" تعديله، في حين يرفض الأزهر التعديلات المطروحة، فبقي القانون على ما هو

(٢) مسلسل الاختيار: تثقيف أم تزييف؟ صحف عربية تناقش العمل الدرامي المصري، بي بي سي عربي، ٧ إبريل ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٤ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/pLnIz>

متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/u0ndc>

(١) بين "رافت الهجان" و"الاختيار".. كيف تغيرت الدراما الوطنية في مصر؟، الجزيرة نت، ١٣ إبريل ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/dyGJM>

الأصلي"، و"جروب العيلة"، "موضوع عائلي"، وقبلهم مسلسل "أبو العروسة" بأجزائه الثلاثة، قبولاً ونسب مشاهدة عالية. وهناك عدة تفسيرات لعودة هذا الاتجاه بقوة مرة أخرى؛ منها أنها محاولة من الدولة لعودة جمهور الشاشة الصغيرة لها مرة أخرى، خصوصاً بعد عزوف الكثيرين عنها بسبب كثرة مسلسلات الدراما العنيفة والسياسة والإرهاب. وهناك من يرى أن هذه المسلسلات مناسبة للوضع الاقتصادي الراهن؛ إذ أن تكلفة إنتاجها منخفضة، وأنها قد لا تحتاج إلى عمالقة تمثيل ومن ثم إلى أجور باهظة إذا كُتِب السيناريو بشكل جيد؛ فهي خيار منخفض التكلفة وجمهوره مضمون، خاصة أن جل هذه المسلسلات من إنتاج "إعلام المتحدة"^(٢).

على الجانب الآخر شهد الموسم الدرامي غياب ملحوظ للمسلسلات التاريخية والدينية، وهو ما دفع لجنة الدراما عام ٢٠١٩ للتنبيه على هذا الأمر. وربما يعود شح هذه الأعمال إلى غياب عنصر الإبداع القادر على تقديم معالجة درامية حديثة لمرحلة تاريخية على مستوى الحبكة والشخصيات، بالإضافة للتكلفة الاقتصادية العالية لمثل هذه الأعمال من حيث مناطق التصوير والأزياء وغيرها، فعزف القطاع الحكومي والخاص عنها. لكن غياب هذا النوع الدرامي في مقابل صعود أنواع أخرى أكثر خفة، قد حرم المشاهد من مورد مهم لقيم وأخلاق كانت تمثلها هذه الأعمال^(٣).

غابت كذلك عن الموسم الدرامي العديد من القضايا المحورية التي تهم المصريين بشكل حقيقي، فالمشكلات الاقتصادية وغلاء الأسعار والتفاوت المجتمعي، كلها قضايا تغيب معالجتها عن الدراما، أو يكون حضورها مجرد حضور سطحي، في حوارات تفتقد لأي عمق درامي، وعرض اختزالي يفصلها عن محيطها السياسي أو الاجتماعي، الذي عادة ما

عليه. وربما يكون هذا الحضور القوي للمجلس القومي للمرأة أحد أسباب الحضور القوي للدراما النسائية في المواسم الدرامية الأخيرة^(١).

غلب الاتجاه الاجتماعي على الكثير من الأعمال الدرامية، وتنوعت القضايا بتنوع البيئات التي يتناولها العمل؛ فبعض الأعمال الدرامية عن الصعيد لم تأت بجديد من حيث القضايا والمعالجة الدرامية وأعاد تقديم قضايا الثار في صعيد مصر، وتقسيمه إلى طبقتين: إحداهما من الفلاحين الجاهل الرعاع المتخلفين المتسخين، والأخرى من تجار الأثار أو المهريين أو الإقطاعيين ذوي النفوذ والسلطة؛ وهو ما رفضه أبناء الصعيد أنفسهم، مؤكدين أن تلك الصورة لا تشبههم. وإن كان مسلسل مثل "الكبير أوي" حاول تقديم صورة مغايرة، لكنها ليست بالعمق الكافي لبيان التغيرات الحقيقية التي شهدتها صعيد مصر. وليس بعيد عن تلك الصورة النمطية ما يقدم عن "الحارات" الشعبية المصرية، وحصر المعالجة الدرامية لها في الصراع باختلاف مستوياته كالصراع بين "فتوات أو بلطجية الحارة"، والصراع بين نساءها على رجل معين وهكذا.

على الجهة الأخرى هناك بعض الأعمال الدرامية التي تناقش العديد من القضايا الجديدة على المجتمع، مثل مسلسل "ليه لا"، الذي ناقش في الجزء الثاني منه قضية التبني من قبل النساء وانعكاساتها المجتمعية، وغيرها من قضايا المرأة. وكذلك قضايا التشهير عبر وسائل التواصل الاجتماعي مثلما جاء في مسلسل "بالورقة والقلم"، ومساهمة تلك الوسائل في سهولة رمي الناس بالباطل.

ومؤخراً عاد اتجاه المسلسلات العائلية، التي ترصد تفاصيل الحياة والمشاكل اليومية للأسرة، للتواجد بقوة مرة أخرى. وهي مسلسلات لها جمهور كبير يتابعها من الشعب المصري، وقد لاقت مسلسلات مثل "العيلة دي"، و"عائلة

التالي: <https://cutt.us/CfBnp>

(٣) بشير عبدالفتاح، خريف الدراما لتاريخية والدينية، الشروق، ١٩ إبريل ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٢ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<https://cutt.us/40uIE>

(١) أشرف عبدالحميد، بيان شديد اللهجة.. الأزهر يهاجم مسلسل "فاتن أمل حربي"، العربية نت، ١٦ إبريل ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٦ مارس ٢٠٢٣،

متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/WnSZO>

(٢) نجلاء أبو النجا، الدراما العائلية تعود.. فما الذي بعثها؟، إندبندت العربية، ٧ فبراير ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ١٦ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط

ويمكن القول في نهاية التقرير أن الدراما بوصفها "خطاباً" في مصر تعبر في مجملها عن التوازنات الحادثة طوال الوقت ما بين القوة ورأس المال، وباعتبار أن كلاهما بيد السلطة السياسية، فالدراما تمثل خطاب هذه السلطة بالأساس، ولا يوجد مجال لمزاحمة هذا الخطاب بشكل حقيقي، بل لا يوجد منتجين فعليين لأي خطاب آخر سوى الأعمال التي لا يتعرض فيها لأي قضية حقيقية بمعالجة عميقة قد تتماس مع النظام بشكل أو آخر. وإن وجد خطاب مخالف لسلطة الدولة فهو يأتي من خارجها تمامًا، كالأعمال التي تقدمها المنصات الإلكترونية غير التابعة لهذه السلطة. لكن مهما أحكمت الدولة قبضتها، فإنه يصعب في عصر كهذا الحديث عن الإعلام ذي الصوت الواحد.

تكمن فيه الأسباب الحقيقية للمعاناة. كذلك من المستغرب أن تغيب قضية مياه النيل عن أي معالجة درامية حتى الآن، على الرغم من محورية قضية كهذه لمصر وتهديدها الأمن المائي المصري تهديدًا حقيقيًا، وكوئنها تمس المصريين فردًا فردًا؛ فمعالجة القضية لم تغب فقط على المستوى السياسي وإنما حتى على المستوى الاجتماعي والتوعوي.

خاتمة:

حاولت الباحثة خلال هذا التقرير رسم خارطة اتجاه الموسم الدرامي الأخير في مصر، وموضعه في سياقه المنتج فيه وأبرز العوامل المؤثرة عليه، وركز التقرير في تناولها على القانون ورأس المال، وتأثيرها على الدراما شكلاً من حيث نمط الإنتاج والقائمين عليه، ومضموناً من حيث كيفية معالجتها والموضوعات المغيبة أو الغائبة عن الساحة الدرامية.

الطائفية وأزمة السياسة والاقتصاد في لبنان^(١)

محمد علي إسماعيل*

الظروف الاجتماعية والاقتصادية، وتدهور الخدمات العامة وانهيار سعر الصرف المتلاحق في ظل عدم قدرة الحكومات المتعاقبة على الخروج من تلك الأزمات المتلاحقة.

الأمر الذي يدفعنا للبحث عن الأسباب البنيوية للمأزق اللبناني، والتي نراها تتمثل في الطائفية السياسية باعتبارها المحرك الأساس لتوزيع السلطة والثروة بين "الطبقات الحاكمة اللبنانية الطائفية النيوليبرالية".

أولاً- ملامح الطائفية السياسية

الطائفية السياسية منحى يقوم على تسييس الانتماء الطائفي للمواطن في الحياة السياسية، وهي على النقيض من فكرة العقد الاجتماعي الذي يفترض وجود مواطنين أحرار ومتكافئين متساوين أمام القانون وأجهزة الدولة بغض النظر عن هوياتهم الاجتماعية والطائفية. ومن هنا يذهب تعريف الطائفية السياسية إلى أنها "نظام سياسي اجتماعي متخلف يركز على معاملة الفرد كجزء من فئة دينية تنوب عنه في مواقفه السياسية، ولتشكل مع غيرها من الطوائف الجسم السياسي للدولة أو الكيان السياسي، وهو لا شك كيان ضعيف تحكمه الانقسامات العمودية التي تشق وحدته

مقدمة:

"لا يهمهم من كل ما حصل إلا تسجيل النقاط السياسية، والخطابات الشعبية الانتخابية، وهدم ما بقي من مظاهر الدولة... التغيير في مواقفهم لتزوير الحقائق، بينما المطلوب هو تغييرهم لأنهم هم المأساة الحقيقية للشعب اللبناني"^(٢). بتلك الكلمات وصف رئيس الوزراء اللبناني الأسبق حسان دياب كامل الطبقة السياسية اللبنانية، في خطاب استقالة حكومته، عقب انفجار مرفأ بيروت.

هذا الخطاب الكاشف عن أزمة "الطبقات الحاكمة اللبنانية الطائفية النيوليبرالية"-بتعبير جوزيف ضاهر- لا يكاد يختلف عليه أي لبناني حتى من داخل تلك الطبقة السياسية، لكن بالنسبة لتلك الطبقة فإن السياسيين الفاسدين هم الطوائف الأخرى وزعمائها لا هم!

في الواقع، تتفاقم الأزمة اللبنانية من كافة جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ويشتد الجدل حول كافة القضايا المثارة في الساحة اللبنانية، سواء ما يتعلق منها بمسألة الشلل السياسي الذي يتمثل في الفراغ الرئاسي والصعوبات التي تتفاقم مع كل تشكيل حكومي، أو ما يتعلق باشتداد وطأة

(١) لكتابة هذا النص، اعتمدتُ على الكتب والدراسات الآتية كخلفيات مرجعية: فؤاد شاهين، الطائفية في لبنان.. حاضرها وجذورها التاريخية والاجتماعية (بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٨٦)؛ مهدي عامل، في الدولة الطائفية (بيروت: دار الفارابي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣)؛ عزمي بشارة، الطائفة.. الطائفية.. الطوائف المتخيلة (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، مارس ٢٠١٨)؛ كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث (بيروت: دار النهار للنشر، الطبعة السابعة، ١٩٩١)؛ جوزيف ضاهر، الاقتصاد السياسي لحزب الله اللبناني، ت/ علاء بريك هنيدي (الجيزة: دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠٢٢)؛ هشام صفي الدين، دولة المصارف.. تاريخ لبنان المالي، ت/فكتور سحاب (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، مارس ٢٠٢١)؛ حازم صاغية وبيسان الشيخ، شعوب الشعب اللبناني.. مدن الطوائف وتحولاتها في زمن الحرب السورية (بيروت: دار الساق، الطبعة الأولى، ٢٠١٥).

* باحث في العلوم السياسية.

(٢) دياب قدّم استقالة الحكومة إلى عون: "منظومة الفساد أكبر من الدولة"، النهار، ١٠ أغسطس ٢٠٢٠، تاريخ الاطلاع ٠٩ مارس ٢٠٢٣، ٠٩:٠٠، متاح عبر

الرابط التالي: <https://cutt.us/7Ekcd>

وتماسكه" (١).

الشعبية. وبما أنّ الطائفة الدينية جماعة، أو جماعة متخيلة، فإن الطائفية السياسية هي أيديولوجيا موجّهة إلى جماعة معيّنة، بناء على مخاطبة الهوية القائمة على الدين أو المذهب، وذلك من أجل تجنيدها في خدمة مصالح سياسية، تُقدّم كأنها مصالحها بما هي «طائفة». وتجمع هذه الأيديولوجيا وخطابها الطائفي مقاولي مصالح الطائفة مع جمهوره" (٤).

لهذا، تشكل الطائفية السياسية مرحلةً في إشراك عامة الشعب من أبناء الطوائف المختلفة في السياسة من خلال المدخل الطائفي، في شكل يكاد يكون ديمقراطياً حين يربط خطاب الهوية ما يطرحه كحقوق الطائفة بحقوق عامة لغيرها. وما تلبث هذه المشاركة أن تشكّل قاعدةً لمطالبة العامة بحقوق في إطار الطائفة ذاتها، وليس ضد الطائفة الأخرى فقط (٥).

المثير في سياسات الهوية تلك، التي تم تصميمها لصالح الطوائف، والتي تمنع أي حراك اجتماعي حقيقي من تحقيق مطالبه خارج حدود الطائفة، أنها تسمح لعامة أبناء الطوائف بالحراك داخل الطائفة ذاتها، وليس ضد الطوائف الأخرى فقط. ومن النماذج المعبرة عن هذا الصعود في الحالة اللبنانية داخل الطوائف صعود نفوذ حزب الله وحركة أمل على حساب العائلات الإقطاعية الشيعية، وصعود سمير جعجع وميليشا القوات اللبنانية على حساب الأسر المارونية بعد الحرب الأهلية. بالرغم من ذلك فإن محاولة تغيير النظام المحاصصي الطائفي ذلك -أي الانقلاب على كامل المنظومة الطائفية- تُجابه بشدة ولا يُتسامح مع الحركات الفاعلة في هذا الشأن، وإن جاءت تلك التحركات على هيئة حراك شعبي عابر للطوائف؛ مثل "انتفاضة ١٧ أكتوبر ٢٠١٩" التي فشلت في تحقيق أهدافها نتيجة التفاف القوى السياسية على مطالب الحراك وإنهاكه مع الوقت، وحرف مساره بمناوشات الشوارع، وهو السيناريو المتبع

في كتابه "الطائفة.. الطائفية.. الطوائف المتخيلة"، يُحدد عزمي بشارة معالم الطائفية السياسية بأنها وليدة الدولة الحديثة، كونها تتبلور في سبيل الصراع على السيطرة على الدولة، أو للحشد ضد سيطرة الدولة بذريعة أن طائفة بعينها تقودها، ما يؤدي إلى دخول باقي الطوائف في الصراع على الدولة أو المشاركة فيها عبر المحاصصة الطائفية. يقول بشارة: "كانت الطوائف الدينية قائمة على شكل جماعات محلية في البلدات والتجمعات السكانية والأقاليم. إن الجديد هو نشوء الطوائف الدينية على مستوى عابر للمحلي، والأهم من ذلك قيامها في سياق الدولة ووعي المجال العمومي، وكذلك في التمثيل الضمني المضبوط لها في بنية النظام السياسي (كما في حالة النظام السوري) أو على نحو محزب أو مقنن عبر الطائفية السياسية (كما في حالي العراق ولبنان)..." (٢).

إذن، فالطائفية السياسية لا ترتبط بوجود طوائف أو تعددية في المجتمع ولكنها تتعلق بأزمة الدولة ونظام الحكم في بلد ما؛ "فالطائفية ظاهرة اجتماعية وسياسية وإشكالية لا علاقة ضرورية لها بتعدد الديانات والمذاهب والطوائف، وإن كانت قابلة للتطور والتفعيل في شروط معيّنة في البنيات المتعددة دينياً ومذهبياً، لكن ليس ثمة علاقة حتمية بين الأمرين" (٣). نستطيع أن نضيف هنا أنه على الرغم من تشكلها في محضن الدولة القومية، إلا أن تلك الطوائف عابرة أيضاً للقومي، ففي سبيلها للحفاظ على مكتسباتها ومحاولة تعظيم تلك المكتسبات، سعت الطوائف اللبنانية إلى تأمين راعٍ خارجي؛ فالنخب المارونية ترعاها فرنسا منذ الانتداب، وحزب الله ترعاه إيران، وتيار المستقبل رعته المملكة العربية السعودية.

معلّم آخر من معالم الطائفية السياسية أنها "منع من سياسات الهوية، وسياسات الهوية شكل من أشكال المشاركة

ص ٣٧-٣٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٨.

(٤) عزمي بشارة، مرجع سابق، ص ٤٦٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٦٩.

(١) عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٥)، الجزء الثالث، ص ٧٤٥.

(٢) عزمي بشارة، الطائفة.. الطائفية.. الطوائف المتخيلة، مرجع سابق،

مع الحركات الاحتجاجية السابقة^(١).

اللبنانية الثمانية عشر المعترف بها قانونيًا. فعندما نال لبنان استقلاله عام ١٩٤٣، تم العمل على دمج هذه التقسيمات الطائفية في اتفاق سياسي شامل غير مكتوب، وجاءت "وثيقة الوفاق الوطني" -المعروفة باتفاق الطائف عام ١٩٨٩ الذي أنهى الحرب الأهلية اللبنانية- باعتبارها نصا مكتوبا لـ"ميثاق عام ١٩٤٣" كنص مستحدث عمل على دسترة الطائفية السياسية؛ بتخصيصه مناصب حكومية وإدارية ومقاعد برلمانية لجميع الطوائف الدينية اللبنانية بحسب أعدادها السكانية^(٤).

ورغم اشتغال "وثيقة الوفاق الوطني" على بند إلغاء "الطائفية السياسية"؛ حيث إن إلغائها وفقًا لهذا الاتفاق "هدف وطني أساسي يقتضي العمل على تحقيقه وفق خطة مرحلية"، وإلغاء "قاعدة التمثيل الطائفي واعتماد الكفاءة والاختصاص في الوظائف العامة... إلخ"، ما زال لبنان يدور في فلك المحاصصة الطائفية التي أنتجت كافة المشكلات البنوية التي تشهدها الدولة اللبنانية وينتج عنها الفشل المتلاحق، الذي يُنتج بدوره الاحتجاجات الشعبية^(٥).

أقرّ "اتفاق الطائف" توزيع الرئاسة الثلاث بين المسلمين والمسيحيين (رئيس الجمهورية مسيحي ماروني، ورئيس الحكومة مسلم سني، ورئيس مجلس النواب مسلم شيعي)، كما أن مقاعد مجلس النواب (١٢٨) تم تقسيمها مناصفةً بين المسلمين والمسيحيين، موزعة على الطوائف وفق الحصص الآتية: للموارنة ٣٤ نائبًا، للسنة ٢٧ نائبًا، للشيعية ٢٧ نائبًا، للروم الأرثوذكس ١٤ نائبًا، للروم الكاثوليك ٨ نواب، للدرور ٨ نواب، للأرمن الأرثوذكس ٥ نواب، وللعلويين نائبان، ونائب واحد لكل من الأرمن الكاثوليك والإنجيل والأقليات^(٦).

الثورة والديمقراطية والتحدي الإسلامي من تونس إلى دمشق، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٩)، ص ٢٢٦.

(٥) محمد علي إسماعيل، الحراك في لبنان: المحركات والدلالات، مرجع سابق، ص ٣٤-٣٥.

(٦) جنى الدهبي، لا أكثرية ولا أقلية.. كيف يرسم البرلمان الجديد خريطة لبنان السياسية؟، الجزيرة، ١٧ مايو ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٠ مارس

في مقال ثاقب، استشرّف "مهدي عامل" في ثمانينيات القرن الماضي ما سيؤول إليه الحراك الاجتماعي الناشئ وسط الطبقات الكادحة الشيعية الحانقة على النظام المحاصصي بين الموارنة والسنة، جازمًا بأن الحل الذي ستطرحه النخب البرجوازية المسيطرة سوف يتمثل في توسيع رقعة مقاعد السلطة عبر إعطاء مقعد للبرجوازية الشيعية وهو مجلس النواب مع احتفاظ الموارنة بالمقعد الرئاسي واحتفاظ السنة بمقعد رئاسة الوزراء، في إشارة إلى اتفاق عام ١٩٤٣^(٢).

أثبتت مجريات الأحداث صحة استشراف "عامل"، فالقنات الشيعية تم "تطييفها" عبر سيطرة ممثلين على حراكها (حزب الله وحركة أمل)، اللذين بالرغم من بداياتهما الراضية لصيغة المحاصصة ومجمل النظام الطائفي، إلا أنهما سرعان ما اندمجا في بنية الاقتصاد السياسي باعتبارهما طرفًا سياسيًا مرتبطًا بالبرجوازية الطائفية. يقول مهدي عامل: «طموح تلك الأطراف إلى تعزيز مواقعها في السلطة؛ أي قل على تغيير مواقعها في النظام السياسي الطائفي -لا إلى تغيير هذا النظام- في اتجاه اقتسام الهيمنة ومواقعها في السلطة... إن الإصلاح الذي يفترضه البعض من أطراف البرجوازية ممكنًا بالمشاركة، يقود -لو تحققت هذه المشاركة، أو لو كان تحققها على سبيل الافتراض ممكنًا- إلى تكريس النظام السياسي الطائفي وتعزيزه، بدلًا من تغييره وإلغائه. إذًا، فالحل هذا ليس بحل. إنه تعميق لأزمة النظام»^(٣).

ثانيًا- الطائفية: فراغ رئاسي وحكومات تصريف أعمال

نشأ النظام السياسي اللبناني على تقسيمات ديموجرافية حادة، بهدف تحقيق تمثيل سياسي لكافة المكونات الطائفية

(١) محمد علي إسماعيل، الحراك في لبنان: المحركات والدلالات، فصلية قضايا ونظرات، العدد السادس عشر، يناير ٢٠٢٠، ص ٤٤-٤٥، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/Q1wkB>

(٢) مهدي عامل، في الدولة الطائفية، مرجع سابق، ص ٣٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٣٨.

(٤) أديد داويشا، ترجمة: أشرف محمد كيلاني، الصحوة العربية الثانية..

٢٠١٤»، والثالثة حكومة تمام سلام «٢٠١٤ - ٢٠١٦»، والرابعة حكومة سعد الحريري «٢٠١٨ - ٢٠١٩»، والخامسة حكومة حسان دياب «٢٠٢٠ - ٢٠٢١»، والسادسة حكومة ميقاتي الحالية^(٤).

وليس من المستغرب أن يؤدي الصراع بين الفرقاء السياسيين في لبنان إلى ذلك الشلل السياسي المتمثل في شغور منصب الرئيس واستمرار الحكومات في تسيير الأعمال دون صلاحية في اتخاذ قرارات تنفيذية حقيقية فضلاً عن أن تكون مصيرية؛ حيث تصر الكتل الرئيسية التي كانت منضوية ضمن تحالفي "٨ آذار" و"١٤ آذار" على وصول حليفها الماروني إلى القصر الرئاسي أو الحصول على الثلث المعطل في الحكومة كما يسعى زعيم التيار الوطني الحر جبران باسيل عند تشكيل أي حكومة، أو إصرار حزب الله وحركة الأمل على احتكار حقيبة المالية^(٥).

ثالثاً- النيوليبرالية الطائفية والانهيار الاقتصادي

إن طبيعة الاقتصاد السياسي اللبناني النيوليبرالي الطائفي تقوم على اجتذاب الربوع المالية ثم توزيعها بين النخب الطائفية التي بدورها تقوم بتوزيعها داخل طوائفها لكي تضمن هيمنتها داخل تلك الطوائف. لذلك فالالاقتصاد اللبناني قائم على قطاعات ضعيفة ومنخفضة الإنتاجية؛ مثل البنوك والسياحة، ويعاني من عجز تجاري بنيوي، يتأثر بشدة بالتحويلات المالية من المغتربين اللبنانيين والدخل من السياحة والعملات الأجنبية. كما أن الاقتصاد والمالية العامة في لبنان تعاني من مشاكل بنيوية حادة ومزمنة، فالمشكلة الأساسية في السياسة المالية والنقدية تكمن في الفوائد المرتفعة التي تتكبدتها الخزينة

حكومة في لبنان؟، فصلية قضايا ونظرات، العدد الثاني والعشرون، يوليو ٢٠٢١، ص ١٥٠ وما يلها، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/gILSc> (٤) ريتا الجمال، حكومات لبنان وأزمات التشكيل: تاريخ من تصريف الأعمال، العربي الجديد، ٢٦ يوليو ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٤ مارس ٢٠٢٣، ٠٩:٠٠، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/Nlxno> (٥) محمد علي إسماعيل، الحكومة المستحيلة في لبنان، مرجع سابق، ص ١٥٢.

تجدد الإشارة إلى أن التقاسم الطائفي للمناصب في لبنان لا يقتصر على الرئاسات الثلاث فقط، بل يمتد ليشمل جميع المناصب المهمة في الدولة؛ فقائد الجيش على سبيل المثال مسيحي ماروني، ووزير الداخلية ومدير قوى الأمن الداخلي سني، ومدير المخابرات العسكرية شيعي، وغيرها من عمليات المحاصصة الطائفية في كافة مؤسسات الدولة الأخرى.

أدى هذا النظام السياسي القائم على المحاصصة الطائفية، أو ما يعرف بـ"الديمقراطية التوافقية"، إلى تتابع عمليات الشلل السياسي؛ حيث إنه من شبه المستحيل اتخاذ أي قرارات كبرى دون توافق جميع الفرقاء السياسيين الموزعين على أساس طائفي. شهد لبنان فراغ سياسي في موقع رئاسة الدولة لثلاث مرات؛ الأولى استمرت ستة أشهر عقب مغادرة أميل لحود قصر بعدا في نوفمبر ٢٠٠٧^(١)، أما الثانية فكانت عقب رحيل "ميشيل سليمان" في ٢٥ مايو ٢٠١٤ واستمرت لما يناهز العامين قبل انتخاب العماد "ميشيل عون" في أكتوبر ٢٠١٦، أما الفراغ الثالث فبدأ منذ ٣١ أكتوبر ٢٠٢٢ بمغادرة عون للقصر الرئاسي، وذلك على الرغم من انعقاد مجلس النواب ١١ مرة لاختيار الرئيس^(٢).

من جهة أخرى، فإنه من الصعوبة بمكان إجراء أي تشكيل حكومي بدون ذلك التوافق الطائفي، على توزيع الحقائق الوزارية، والذي يؤدي إلى استمرار حكومات تصريف الأعمال بالشهور والسنين، وهي حكومات ذات صلاحيات محدودة وإن لم يُنص عليها دستورياً^(٣). شهد لبنان ٦ حكومات تصريف في الفترة بين عامي ٢٠٠٦ و ٢٠٢٢؛ الأولى حكومة فؤاد السنيورة «٢٠٠٦ - ٢٠٠٨»، والثانية حكومة نجيب ميقاتي «٢٠١٣ -

٢٠٢٣، ١٠:٠٠، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/w3XAO>

(١) لحود يضع لبنان في قبضة الجيش، البيان، ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٧، تاريخ الاطلاع: ١٠ مارس ٢٠٢٣، ١٠:٢٠، متاح عبر الرابط التالي:

<https://cutt.us/EBpAA>

(٢) البرلمان اللبناني يُخفق للمرة الـ ١١ في انتخاب رئيس للجمهورية خلفا لعون، الجزيرة، ١٩ يناير ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٠ مارس ٢٠٢٣، ١١:٠٠،

متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/SRiN8>

(٣) محمد علي إسماعيل، الحكومة المستحيلة في لبنان: لماذا يتعثر تشكيل

توضح هذه الأرقام التفاوتات الاجتماعية المتزايدة بين عامة أبناء الطوائف والنخب السياسية المهيمنة. فالنظام اللبناني القائم على المحاصصة في كل شيء، يُنتج عمليات فساد في التوظيف وفي إدارة الاقتصاد والمالية العامة؛ حيث يسمح للنخب الطائفية المتنافسة بترجمة نفوذهم السياسي إلى امتيازات اقتصادية، وذلك على حساب السياسات الاقتصادية التي تفيد الغالبية العظمى من السكان.

الأمر الذي يوضح فشل كافة عمليات "الإصلاح النيوليبرالي": حيث ليس لدى النخب السياسية/ المالية في لبنان سبب وجيه لإجراء الإصلاحات الاقتصادية المطلوبة، كونها تستفيد من التراخيص والاحتكارات الحكومية وعدم تقديم ضريبة الدخل نتيجة عدم الإفصاح عن الحسابات المصرفية^(٤). بالإضافة لذلك فإنها تقوم بتحميل أعباء "الإصلاح" للفتات ذات الدخل المتوسطة والمنخفضة، على شكل ضرائب على الاستهلاك وضرائب القيمة المضافة وزيادة الرسوم.

في مطلع التسعينات وعقب انتهاء الحرب الأهلية، بدأ لبنان عملية "إصلاح نيوليبرالي" استهدفت اجتذاب التدفقات المالية من الخارج، وإصلاح النظام الضريبي، والخصخصة والتطوير العمراني. دعمت جميع الأطراف السياسية الرئيسية في لبنان هذا التوجه، إلى جانب دعم المؤسسات الدولية (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي)، والمستثمرين الإقليميين (الخليج على وجه التحديد)^(٥). فشلت إصلاحات التسعينات، فقامت الحكومة اللبنانية، في مطلع الألفية الثالثة، بتسريع وتيرة الخصخصة، ما أدى إلى تسريح ٢٠٠٠ موظفا كانوا يعملون في التلفزيون الحكومي وشركة طيران الشرق الأوسط، بالإضافة

العامة، التي تعتبر عائقا أمام حركة الاستثمار كون فوائد البنوك أعلى من أي عوائد استثمارية^(١).

ملح آخر يوضح طبيعة الاقتصاد السياسي في لبنان، يتمثل في سيطرة "الطبقات الحاكمة اللبنانية الطائفية النيوليبرالية" على القطاعات الاقتصادية الرئيسية. ففي دراسة جوزيف ظاهر، أوضح أنه في الوقت الذي تهيمن فيه البرجوازية المسيحية على قيادة العديد من المصارف وقطاع الاستيراد والتصدير، فإن البرجوازية السنية تهيمن على قطاع الإنشاءات وتشارك في مجال البنوك؛ حيث تقدر ثروة عائلتين من العائلات البرجوازية السنية بحوالي ١٥٪ من إجمالي الثروة الخاصة في لبنان. كما أن البرجوازيين المسيحية والسنية تهيمنان على الهيئات الاقتصادية الرئيسية: جمعيات (تجار بيروت، والمصارف، والصناعيين) إلى جانب سيطرتهم على غرف (الصناعة، والتجارة والزراعة). في الوقت عينه، يتمحور نفوذ البرجوازية الشيعية في نشاطين اقتصاديين رئيسيين: الإنشاءات والاستيراد والتصدير، مع حضور ضعيف في قطاع المصارف^(٢).

على الجانب الآخر، لم تستفد الشرائح السنية والمسيحية الأكثر احتياجاً من تلك الهيمنة للنخب البرجوازية السنية والمسيحية. فقد شهدت مدينة طرابلس وقضاء عقار -وهي مناطق ذات أغلبية سنية- أعلى نسب في الفقر المدقع، بلغت على التوالي ٢٠,٦١٪ و ٥٦,٨٢٪. في المقابل بلغ الفقر المدقع ٤,٥٪ في أفضية (الكورة، زعرتا، البترون، بشري) ذات الغالبية المسيحية. أما المناطق ذات الأغلبية الشيعية فلم تكن أفضل حالاً؛ حيث بلغت نسبة الفقر المدقع في محافظة بعلبك-الهرمل ١٣,٤، وبلغ في "صور" نسبة ٨,٩٦٪^(٣).

(١) محمد علي إسماعيل، تفجير مرفأ بيروت وأزمات لبنان الاقتصادية والسياسية، فصلية قضايا ونظرات، العدد العشرون، يناير ٢٠٢١، ص ١٠١ وما يليها، متاح على الرابط التالي: <https://cutt.us/6c0bO>.

(٢) جوزيف ظاهر، الاقتصاد السياسي لحزب الله اللبناني، ترجمة: علاء بريك هندي، (الجيزة: دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠٢٢)، ص ص ١٠٢-١٠٣، ١١٠-١١٥.

(٣) المرجع السابق، ص ص ١٠٦-١٠٧.

(٤) Ishac Diwan and Jamal Ibrahim Haidar, Political Connections Reduce Job Creation: Firm-level Evidence from Lebanon, The Journal of Development Studies, 2021, Vol. 57, No. 8, p. 1373-1396, available at: <https://cutt.us/sntD1>

(٥) جوزيف ظاهر، الاقتصاد السياسي لحزب الله اللبناني، مرجع سابق، ص ٩٧.

مشروعة لدى أصحاب بعض الهويات من أن يتحول من ينتمون إليها إلى ما يشبه أقلية سياسية لا حقوق لها أيًا كان ثقلها الديموجرافي. ولكن تجربة ما بعد الاستقلال أكدت أن هذه الصيغة تكمن وراء عمليات الفراغ الرئاسي والشلل الحكومي، والعجز عن مواجهة القضايا الأساسية التي تشغل المواطنين، وأصبحت بابًا لتولي السلطة على المستويين المحلي والوطني عبر عمليات فساد ومحاصصة بغض النظر عن الكفاءة في إدارة شؤون الحكم، كما هيأت هذه الصيغة الطائفية فرصة ذهبية لقوى إقليمية ودولية لكي تصبح طرفًا أساسيًا في عملية صنع القرار السياسي عبر الدعم الذي تقدمه لرعاتها المحليين.

إن صيغة النظام الطائفي لا تخدم سوى "الطبقات الحاكمة اللبنانية الطائفية النيوليبرالية" والدوائر المقربة منها، وذلك على حساب القطاعات الأكبر من الشعب حتى من داخل تلك الطوائف التي تزداد فقرًا نتيجة عمليات الفساد المستشري، وأجندة "الإصلاح الاقتصادي" التي لا تراعي تلك الفئات المتوسطة أو ذات الدخل المنخفضة، وهو ما عمّق الفجوة الاجتماعية بين تلك الطبقات وعموم الشعب اللبناني.

ولّد تعمق التفاوتات الاجتماعية حركة نضالية اجتماعية وسياسية عابرة للطوائف تبغي ظروف عمل ورواتب أفضل. وعلى الصعيد السياسي، نادى تلك الحركات، ببناء نظام سياسي قائم على أسس المواطنة والمساواة وليس على أسس المحاصصة الطائفية. فشل الحراك نتيجة عوامل عدة ليس أقلها التفاف القوى السياسية على مطالبه، لكن أبرزها أنه ليس هناك قيادة لذلك الحراك وهو الأمر الذي أدى لفشل كافة ثورات الربيع العربي.

إلى ذلك استُحدثت ضريبة قيمة مضافة قدرت بـ ١٠٪ على السلع والخدمات.

عقب ذلك، عُقدت عدة مؤتمرات دولية لدعم الاقتصاد اللبناني. ففي العام ٢٠٠٧ عقد مؤتمر باريس ٣ لدعم لبنان، الذي تعهد خلاله المانحون الدوليون بتقديم ٧,٦ مليار دولار من المساعدات في صورة قروض ومنح، بشرط أن تواصل الحكومة "الإصلاحات النيوليبرالية" التي أعلنتها حينها رئيس الوزراء فؤاد السنيورة، ثم أُرجئ اتفاق ٢٠٠٧ بسبب الصراع السياسي الداخلي. كذلك الحال بالنسبة لمؤتمر باريس ٤ أو ما يعرف بمؤتمر (سيدر)، الذي انعقد في السادس من إبريل ٢٠١٨.

يتميز الاقتصاد السياسي اللبناني بالتفاوتات الصارخة في الدخل؛ حيث يستحوذ ١٪ من اللبنانيين الأكثر ثراءً على ٢٣٪ من الدخل الوطني، وهذا يساوي دخول ٥٠٪ من اللبنانيين من ذوي الدخل المنخفضة. في الوقت الذي يمتلك ١٠٪ من الأغنياء ٧٠,٦٪ من ثروة لبنان^(١).

خاتمة:

منذ نشأته قام النظام السياسي اللبناني على المحاصصة الطائفية التي رعتها الدولة وكرستها؛ حيث يجري توزيع الرئاسات الثلاثة (الرئاسة، والبرلمان ورئاسة الوزراء) وتولي الوظائف العامة وفق معادلة طائفية رسم معالمها الميثاق الوطني الصادر عام ١٩٤٣م، وفي ١٩٨٩ أقر اتفاق الطوائف تلك المحاصصة وأضاف إليها المزيد من الامتيازات لطوائف جديدة حصلت على قوة أكبر على المسرح السياسي اللبناني.

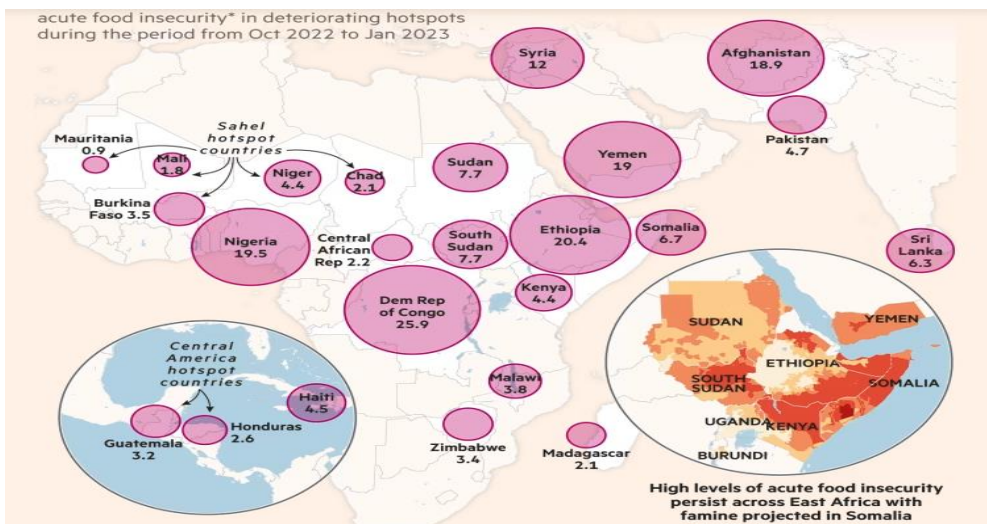
لا شك أن هذه المحاصصة الطائفية جاءت لتبديد مخاوف

(١) المرجع السابق، ص ٦١.

بؤار المجاعات في عدة دول: الأسباب، والدلالات

سارة أبو العزم*

مقدمة:



الشكل ١- بؤر الجوع الساخنة عبر العالم^(٤)

فيما يلي نتعرض لبؤر الجوع أو بؤر المجاعات، فنبدأ بتعريف المجاعات، ثم نحلل أسبابها، وأهم الدلالات، كما يرصد هذا التقرير أهم الجهود المبذولة لتفادي المجاعات أو التقليل من حدتها، فضلا عن أبرز الخطوات التي مازلتنا بحاجة إليها.

أولا- المجاعات: المؤشرات، والأسباب:

١- ما هي المجاعة؟

تُعرف المجاعة بأنها حالة شديدة من فقدان الأمن الغذائي

يُساور القلق دول العالم كافة حيال الأمن الغذائي، لكن تقريرًا صدر في عام ٢٠٢٢ بالتعاون بين كلٍ من برنامج الأغذية العالمي ومنظمة الفاو حدد ٢٠ دولة باعتبارها بؤرًا ساخنة للجوع في العالم ويتدهور الأمن الغذائي فيها إلى أوضاع كارثية، ومنها ٥ دول عربية هي: سوريا، والسودان، والصومال، واليمن، ولبنان، إلى

جانب دول أخرى مثل إثيوبيا وجنوب السودان وأفغانستان^(١). ويتوقع التقرير اتساع نطاق المتضررين من انعدام الأمن الغذائي والذين يحتاجون إلى مساعدة عاجلة ليصل إلى حوالي ٢٠٥ مليون شخصًا في ٤٥ دولة مختلفة، وقد يصل هذا الرقم إلى ٢٢٢ مليون شخصًا، وهو أعلى رقم من نوعه على مدى سبع سنوات^(٢)، بينما يبلغ عدد المتضررين عالميا حوالي ٣٤٥ مليون شخصًا يتوزعون على ٨٢ دولة^(٣)، ويوضح الشكل التالي بؤر الجوع الساخنة عبر العالم:

* باحثة في العلوم السياسية.

(١) الجزيرة نت، ٥ دول عربية في تقرير أممي حول "بؤر الجوع الساخنة" بالعالم، ٧ يونيو ٢٠٢٢م، تاريخ الاطلاع: ١٢ فبراير ٢٠٢٣م، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/Deeu6>

(2) Hunger Hotspots: FAO-WFP early warnings on acute food insecurity, October 2022 to January 2023 Outlook, relief web, 21 September 2022, accessed at: 15 February 2023, available at: <https://cutt.us/ckVGZ>

(3) 'Tsunami of hunger' could trigger multiple famines, Security Council warned', United Nations, 15 September 2022, accessed at: 17 February 2023, available at: <https://cutt.us/zxST5>

(4) Chris Campbell, War and climate put 45mn people at risk of famine, Financial Times, 8 November 2022, accessed at: 15 February 2023, available at: <https://cutt.us/HkCAE>

٢- أسباب الموجة الحالية من المجاعات:

تتعدد أسباب تفاقم تدهور الأمن الغذائي إلى الحد الذي يُنذر بوقوع المجاعات، وتباين الأوزان النسبية لكل سبب وتتضمن هذه الأسباب:

أ- النزاع

ينقسم النزاع إلى محلي وعالمي، وفيما يلي التفاصيل.

• نزاعات محلية:

تتسم معظم بؤر المجاعات بوجود نزاعات بين أطرافٍ محلية، مما يؤدي إلى استنزاف الموارد وإعاقة العمل الإنساني. وقد أشار "مارتن غريفيث" وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية ومنسق الإغاثة في حالات الطوارئ إلى استخدام الجوع كوسيلة للحرب من قبل الأطراف المتنازعة، مما يزيد الوضع سوءاً؛ حيث يتم قتل المدنيين وجرحهم، ويتم قتل العائلات النازحة قسراً، كما يتعذر الوصول إلى السوق والعمل، ويتم نهب مخزون الطعام، في حين أن التدهور الاقتصادي العام يجعل الغذاء بعيداً عن متناول الفئات الضعيفة. وتعتمد الأطراف المتحاربة قطع الإمدادات التجارية والخدمات الأساسية التي يعتمد عليها المدنيون للبقاء على قيد الحياة، ولا يتوقف الأمر على ذلك، بل يتعداه إلى احتمالية استهداف عمال الإغاثة، ففي جنوب السودان مثلاً سُجلت ٣١٩ حادثة عنف ضد العاملين في المجال الإنساني خلال الفترة من سبتمبر ٢٠٢١ إلى سبتمبر ٢٠٢٢^(٤).

• نزاعات عالمية:

فمن النزاعات العالمية ما يؤدي إلى تزعزع أمن الدول المنتجة للغذاء عالمياً (الحرب الروسية على أوكرانيا مثلاً). يُهدد امتداد

في بلدٍ أو منطقةٍ ما، مع عجز الحكومات عن التعامل مع الأمر إما باتخاذ سياسات تحول دون المجاعة قبل وقوعها أو بتوفير الغذاء للعائلات المحتاجة إليه^(١)، مما يؤدي إلى تجاوز معدل الوفيات المستوى المعتاد إما لنقص المواد الغذائية أو لتعذر الحصول على الحد الكافي منها، وتتعدد أسباب المجاعات فمنها ما يسببه الجفاف أو الأمراض أو الحروب أو النزاعات.

ونظراً لتعدد تعريفات المجاعات وتوظيفها أحياناً لأغراضٍ سياسية، وضعت الأمم المتحدة عدداً من الشروط الواجب توافرها في منطقةٍ ما قبل الإعلان عن وجود مجاعة فيها، ومنها:

- أن تواجه ٢٠٪ من الأسر على الأقل نقصاً شديداً في الغذاء، مع محدودية قدراتها على مواجهة هذا الأمر.

- أن يتجاوز معدل الوفيات حالتين من بين ١٠ آلاف شخص يومياً^(٢).

- أن يُعاني أكثر من ٣٠٪ من سكان منطقة معينة من سوء التغذية الحاد^(٣).

وقد وضعت الأمم المتحدة مقياساً من ٥ مستويات للأمن الغذائي، وذلك كما يلي:

المستوى الأول: الأمن الغذائي.

المستوى الثاني: انعدام الأمن الغذائي.

المستوى الثالث: أزمة الغذاء والمعيشة الحادة.

المستوى الرابع: الطوارئ الإنسانية.

المستوى الخامس: المجاعة.

(3) What is famine? How it's caused and how to stop it, International Rescue Committee, 24 August 2022, accessed at: 23 February 2023, available at : <https://cutt.us/NBc1h>

(4) 'Tsunami of hunger' could trigger multiple famines, Security Council warned', Op.cit.

(1) Chris Hufstader, What is Famine? Causes and effects and how to stop it?, OXFAM, 14 May 2020, accessed at: 23 February 2023, available at : <https://cutt.us/fm2PR>

(٢) ماذا تعرف عن المجاعة في العالم، الجزيرة نت، ١١ يونيو ٢٠٢٢م، تاريخ الاطلاع: ١٥ فبراير ٢٠٢٣م، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/Yr6gf>

النفطية الاستراتيجية. فضلاً عن سعي عدة دول للبحث عن مصادر بديلة للطاقة الروسية، ومنها ألمانيا التي سحبت اعتمادها لخط أنابيب غاز منشأ حديثاً يمتد من روسيا إليها، وأعدت بلجيكا النظر في تراجعها عن استخدام الطاقة النووية، كما تسعى كل من المملكة المتحدة وإيطاليا وهولندا حثيثاً لتوليد طاقة باستخدام طاقة الرياح^(٥).

ولكن كيف انعكست تلك الإجراءات والتطورات على الغذاء؟ تزامن ذلك مع احتماليات انقطاع توريد الحبوب من أوكرانيا وروسيا، فتعاظم التضخم الاقتصادي ما أثر سلباً على أسعار المواد الغذائية^(٦).

كما ارتفعت أسعار الأسمدة تبعاً لأزمة الطاقة خاصةً أن الوقود الأحفوري أحد أبرز المواد الخام المكونة لهذه الأسمدة، وتعد الأسمدة ضرورة للإنتاج الزراعي الحالي الذي يسد الحاجات الغذائية عالمياً، ولذا ارتفعت أسعار المواد الغذائية فتأثر الأمن الغذائي سلباً^(٧). ولعل أزمة الغذاء الحالية تبعة من تبعات الإعراض عن دعوات تنويع أنظمة الطاقة والغذاء العالمية. ودعوات تقليل الاعتماد على الوقود الأحفوري خاصةً في الإنتاج الزراعي مما جعل أنظمة الغذاء هشة جداً أمام أي تغير في أسعار الطاقة عالمياً^(٨).

كما أن أزمة الطاقة وسبل تعامل الدول الكبرى معها تتسبب في تدهور عدالة الحصول على الطاقة، حيث تشير تقديرات وكالة الطاقة العالمية إلى أن ما يقرب من ٢,٥ مليار شخص افتقروا إلى إمكانية الوصول إلى الطهي النظيف خلال

الصراع في أوكرانيا بتفاقم الجوع، وتحول أزمات الجوع إلى أزمات غذائية عالمية^(١)، خاصةً أن البلدين تستأثران بإنتاج ٣٠٪ من الغذاء عالمياً^(٢). وقد فرضت الدول الغربية عقوبات على روسيا تضمنت حظر الاستيراد والتصدير لكثير من السلع الروسية، مما أثر على التداول العالمي لكلٍ من الغذاء والمنتجات الزراعية والأسمدة والطاقة باعتبار روسيا من أكبر الدول امتلاكاً لها عالمياً^(٣). وقد تسببت هذه الحرب فيما يلي:

- ارتفاع أسعار المواد الغذائية عالمياً واضطراب سلاسل التوريد: حيث تتسبب الحرب الأوكرانية في ندرة المواد الغذائية، ونظراً لخضوع المواد الغذائية لقوى العرض والطلب، وبالتالي فإن قلة المعروض من السلع الغذائية في مقابل ثبات الطلب يؤدي لارتفاع سعره^(٤).

- أزمة طاقة وأزمة في توافر المستلزمات الزراعية: وهي أيضاً من تبعات الحرب الروسية الأوكرانية، حيث مكانة روسيا المتقدمة في تصدير النفط في الأسواق العالمية، كما أن إمداداتها من الغاز الطبيعي تغذي الاقتصاد الأوروبي، مما يجعل عدة دول بما فيها الاقتصادات الكبرى والعديد من الدول التي أدانت الغزو الروسي لأوكرانيا متورطة في حالة من الاعتمادية على الدب الروسي للحصول على الطاقة. وفي ظل ما فرض على روسيا من عقوبات وقعت أزمة طاقة حقيقية عالمياً، وتجلت هذه الأزمة في عدة إجراءات، ومنها:

إعلان جميع مصانع الأسمدة في أوروبا التزامها تقليص إنتاجها، موافقة ٣١ دولة على تحرير جزء من احتياطياتها

والغذاء؟، Nature الطبعة العربية، ١٩ مايو ٢٠٢٢ م، تاريخ الاطلاع: ٨ مارس ٢٠٢٣ م، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/eRUD2>

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

(8) World Food Program, Understanding the Energy Crisis and its Impact on Food Security (August 2022), Relief Web, 19 August 2022, Accessed at: 8 March 2023, available at: <https://cutt.us/zT5Wq>

(١) ٥ دول عربية في تقرير أممي حول "بؤر الجوع الساخنة" بالعالم، مرجع سابق.

(2) Chris Campbell, Op.tc.

(3) Kirellos Abdelmalak, 2022 Yearender: Food insecurity on a global scale, Ahram online, 23 December 2022, accessed at: 16 February 2023, available at: <https://cutt.us/cd7iW>

(٤) ٥ دول عربية في تقرير أممي حول "بؤر الجوع الساخنة" بالعالم، مرجع سابق.

(٥) جيف توليفسون، ماذا تعني الحرب في أوكرانيا لمجال الطاقة والمناخ

اقتصادية أثرت على الحصول على الغذاء^(٤).

ج- التباطؤ الاقتصادي العالمي

بسبب الظروف الاقتصادية العالمية، لجأت العديد من البنوك المركزية - بما في ذلك البنوك المركزية بالدول المتقدمة - إلى إجراءات التشديد النقدي للحد من التضخم، مما أثر سلبيًا على التدفقات النقدية الموجهة للدول النامية إضافةً إلى تزايد مخاطر الركود والتباطؤ الكبير في الاقتصادات المتقدمة، ويترك ذلك أثرين هاميين فيما يتصل بالأمن الغذائي: أولهما، مواجهة الدول النامية صعوبة في استيراد المواد الغذائية أو المستلزمات الزراعية، مما دفع هذه الدول لاتخاذ إجراءات تقشفية أثرت قطعًا على الأسر الفقيرة فتزداد معدلات الفقر، وثانيهما تراجع التمويل المخصص للمساعدات الإنسانية مما يزيد الوضع تدهورًا^(٥).

وقد تشددت السياسات المتصلة بالتجارة التي تفرضها الدول، وتزايد عدد القيود المفروضة على تجارة الغذاء التي تضعها البلدان بهدف زيادة الإمدادات المحلية وخفض الأسعار، وقد طبقت ١٩ دولة ٢٣ قرارًا لحظر تصدير المواد الغذائية، كما طبقت ٨ دول ١٢ إجراءً للحد من الصادرات خلال الفترة الممتدة من أعقاب الحرب الروسية الأوكرانية حتى ديسمبر ٢٠٢٢^(٦)، وقد خلف هذا الوضع الاقتصادي تحديات هائلة، ومنها:

- تضخم أسعار الغذاء: تشهد الأوضاع الحالية، وتحديدًا خلال الفترة الممتدة بين أكتوبر ٢٠٢٢ ويناير ٢٠٢٣ تضخمًا في الأسعار عمومًا وأسعار المواد الغذائية خصوصًا، حيث تخطى التضخم نسبة ٥٪ في ٨٣,٣٪ من البلدان منخفضة الدخل و ٩٠,٢٪ من البلدان ذات الدخل المتوسط الأدنى، و ٩١٪

عام ٢٠٢١، مما يعني أن ما يقرب من ثلث سكان العالم لا يزالون يعتمدون على الحطب والفحم في طهي وجباتهم، ويستتبع ذلك عواقب صحية سلبية كما يهدد سلامة النساء والفتيات ورفاههن، ويساهم في إزالة الغابات وندرة الموارد^(١).

ب- الظروف الطبيعية

تشمل الظروف الطبيعية كلا من التغيرات أو الصدمات المناخية والكوارث الطبيعية، إذ تؤثر التغيرات المناخية على الإنتاج الغذائي، حيث تهدد فترات الجفاف المتكررة والفيضانات والأعاصير بالقضاء على الزراعة، وبالتالي يدفع ذلك السكان إلى النزوح، ويضع العديد من السكان على شفا المجاعات^(٢).

وتتضمن الصدمات المناخية أيضًا ظاهرة تُعرف بـ"النينيا"، وهي ظاهرة مناخية تتغير معها التيارات السطحية للمحيطات وتجلب مياه أكثر برودة من أعماق المحيط الهادئ وتتسبب في تفاقم الأحوال الجوية، مما يؤدي إلى خسائر في المحاصيل والماشية، لا سيما في شرق وغرب أفريقيا وآسيا الوسطى وأمريكا الوسطى ودول الخليج ومنطقة البحر الكاريبي، وقد تكررت هذه الظاهرة لثلاث أعوام متتالية^(٣).

كما تشمل الظروف الطبيعية حالات الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين، فقد تسبب الزلزال الذي ضرب تركيا وسوريا في تدهور الأمن الغذائي في البلدين، إذ وسع الزلزال نطاق الاحتياج إلى المساعدات الإنسانية، كما دمر الطرق المستخدمة في نقلها، فضلًا عن أنه قد خسر أصحاب المشاريع في المناطق المنكوبة بالزلازل مشاريعهم ومصادر رزقهم فتعذر عليهم الحصول على كفايتهم من الغذاء بما يعني خلق معضلات

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(3) Chris Campbell, Op.tc.

(٤) الزلزال يفاقم الوضع الذي يعاني منه السوريون منذ ١٢ عامًا - وظروف الطقس تزيد الطين بلة، الأمم المتحدة، ٨ فبراير ٢٠٢٣ م، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس ٢٠٢٣ م، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/dU0vr>

(5) Hunger Hotspots: FAO-WFP early warnings on acute food insecurity, October 2022 to January 2023 Outlook, Op.cit.

(٦) تحديث عن الأمن الغذائي، البنك الدولي، ١٣ فبراير ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ٢٢ فبراير ٢٠٢٣ م، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/jlFZY>

يحتاج أكثر من ١٣ مليون إثيوبي إلى مساعدات غذائية منقذة للحياة، وبينما كانت هناك بعض التحسينات في إيصال المساعدات الإنسانية في الجزء الشمالي من البلاد، فإن استئناف المواجهات المسلحة مؤخرًا يقوض هذا التقدم^(٣).

يعد الأمن الغذائي في أمهرة وعفر وإقليم تجراي الأكثر هشاشة بين أقاليم إثيوبيا، ويزداد الطين بلة مع قلة المساعدات الإنسانية المقدمة مقارنةً بالاحتياج الفعلي، لكن الوضع الأكثر مأساوية يحدث عند تجدد النزاعات مرة بعد مرة مما يعيق وصول هذه المساعدات القليلة أصلاً.

ب- نيجيريا

يبلغ عدد الذين يُعانون انعدام الأمن الغذائي حوالي ١٩,٥ مليون شخصًا، ويُفاقم الأزمة موسم الجوع الشديد (موسم العجاف)، فضلًا عن تعذر وصول المساعدات الإنسانية لأسبابٍ متعلقة بالجغرافيا مثل الحال في ولايات بورنو ويوبي وأداما أو الصراع في دول الجوار الذي يمتد ليؤثر على نيجيريا.

في شمال شرق نيجيريا تحديدًا، من المتوقع أن يواجه ٤,١ مليون شخصًا مستويات عالية من انعدام الأمن الغذائي الحاد^(٤).

ج-الصومال

تدهور الأوضاع في الصومال مرجعه تضافر كلٍ من الأوضاع المناخية الخاصة بعدم هطول الأمطار للموسم الخامس على التوالي والفيضانات، مع ارتفاع أسعار المواد الغذائية واستمرار وتيرة الصراع، فضلًا عن قصور التمويل عن بلوغ الحد اللازم للمستوى الأدنى من المساعدات الإنسانية، ولذا يهدد شبح المجاعة ما يقرب من ٦,٧ مليون شخص^(٥).

من البلدان ذات الدخل المتوسط الأعلى، وتقع البلدان الأكثر تضررًا من التضخم في أفريقيا وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية وجنوب آسيا وأوروبا وآسيا الوسطى^(١).

- فجوات تمويل الحاجات الإنسانية: تُواجه البرامج الإغاثية والإنسانية تحديًا يتمثل في تراجع تمويل برامجها: إما لتدهور اقتصاد الدول الداعمة، وإما للتشكك في وصول الدعم الإنساني في ظل النزاعات القائمة في مختلف بؤر المجاعات، مما يؤثر سلبيًا على قدرات هذه البرامج في دعم المتضررين.

ثانيًا- الدول الأكثر تأثرًا بالأزمة (بؤر المجاعات):

تتعدد الدول التي تُعاني تدهور الأمن الغذائي فيها، لكن تقريرًا رسميًا صدر عن برنامج الأغذية العالمي حدد بعض الدول باعتبارها الأخطر عالميًا فيما يتعلق بمستويات الأمن الغذائي (مستوى المجاعة)، ومعظمها تقع في أفريقيا أو في الوطن العربي، ولا يُستثنى من ذلك سوى أفغانستان، علمًا أنه سيتم تناول سوريا كجرس إنذار باعتبار أن الوضع فيها مرشح عقب زلزال فبراير ٢٠٢٣ لضمها لطائفة الدول الأعلى عالميًا من حيث خطورة أوضاع الأمن الغذائي. وفيما يلي تفصيل الوضع في كل دولة، حيث نسرد أولاً الدول الأفريقية المتأثرة بالأزمة، ثم الدول العربية ثم أفغانستان، وذلك كما يلي:

١- الدول الأفريقية:

أ- إثيوبيا

تساهم الظروف المناخية في إثيوبيا في تفاقم الأزمة، ففشل موسم الأمطار للمرة الخامسة على التوالي يهدد حوالي ٢٠ مليون شخصًا بدرجة حادة من انعدام الأمن الغذائي ويجعلهم في أمس الحاجة للمساعدة العاجلة^(٢).

(١) المرجع السابق.

(2) Hunger Hotspots: FAO-WFP early warnings on acute food insecurity, OP.cit.

(3) Preventing Conflict Most Effective Way to Prevent Famine, Senior Officials Stress, Warning Security Council Millions of People 'Are Marching towards Starvation, Relief Web,15

September 2022, accessed at: 17 February 2023, available at :
<https://cutt.us/U0qgi>

(4) ibid .

(5) Hunger Hotspots: FAO-WFP early warnings on acute food insecurity, Op.cit.

د- جنوب السودان

يعاني ٦٣٪ من السكان في جنوب السودان -حوالي ٧ ملايين شخص- من انعدام الأمن الغذائي الحاد، كما أنها مصنفة باعتبارها من أخطر الأماكن على عمال الإغاثة^(١).

تتعدد العوامل التي أدت إلى تفاقم الأزمة في جنوب السودان، وفي مقدمتها الفيضانات والجفاف والصراعات، فضلاً عن تخفيض قيمة التمويل الإنساني للغذاء بنسبة ٣٨٪ من إجمالي التمويل المقدم ابتداءً من عام ٢٠٢٠^(٢).

٢- دول عربية:

أ- اليمن

يبلغ عدد المتضررين من حالة انعدام الغذاء حوالي ١٩ مليون شخصاً أي ٦ أشخاص من كل ١٠. وتتعدد دوافع الأزمة في اليمن، فمنها دوافع مباشرة كقلة المساعدات الإنسانية^(٣)، والتزاع، وسوء الأداء الاقتصادي. حيث تعاني اليمن من الاقتتال المستمر لما يقارب سبع سنوات مما أدى لحرمان العديد من الأسر من الاحتياجات الغذائية الأساسية، وتعد شريحة الحوامل والمرضعات والأطفال إحدى أكثر الشرائح تضرراً، إذ يُعاني حوالي ٢,٢ مليون طفلاً من سوء التغذية الحاد، كما يواجه حوالي نصف مليون شاب سوء تغذية حاد. وتعد محافظات حجة وتعز والحديدة من بين المحافظات الأكثر تضرراً، كما تسبب الصراع في تدهور الوضع الاقتصادي وانخفاض قيمة الريال اليمني إلى أدنى قيمة له منذ عام ٢٠١٥^(٤).

وأما عن الدوافع غير المباشرة، ففي مقدمتها الاعتمادية على الغير في الحصول على المواد الغذائية والافتقار إلى الاستقلالية في هذا الصدد، حيث تستورد اليمن ٣٠٪ من القمح من أوكرانيا، وبالتالي فقد أدت الحرب في أوكرانيا إلى معاناة اليمن من "صدّات استيراد كبيرة"^(٥).

ب- سوريا

قبل وقوع زلزال فبراير ٢٠٢٣، وقعت سوريا في المرتبة الرابعة على مستويات الأمن الغذائي المعروف باسم مستوى الطوارئ الإنسانية، وقد تدهور الأمن الغذائي في سوريا إثر الحرب لعدة عوامل، ومنها تضرر القاعدة الإنتاجية للبلاد جراء الحرب والعقوبات، ولا سيما تلك المتعلقة بإنتاج السلع الغذائية، وكذلك عجز عوائل الأسر عن توفير الغذاء لذويهم نظراً لفقدان مصادر الدخل والممتلكات والثروات، فضلاً عن الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والأمنية التي تحل دون الوصول للغذاء. كما غابت شبكات الحماية الاجتماعية عن الساحة، فتفاقت أزمة الأسر المحتاجة والفقيرة لا سيما في ظل السياسات الاقتصادية غير المحاببة للفقراء وأصحاب الدخل المحدود، كما خلقت الحرب أزمة النزوح، حيث نزح ما يفوق ٦ ملايين شخصاً داخل البلاد، فتضاعفت الأعباء المعيشية على الأسر النازحة^(٦).

قبل الزلزال قدر نائب المدير القطري لبرنامج الأغذية العالمي في سوريا "روس سميث" عدد السوريين الذين يعانون انعدام الأمن الغذائي بحوالي ١٢,١ مليون شخصاً، بينما يقف حوالي ٣ ملايين على شفا انعدام الأمن الغذائي، وكانت الوكالات

(4) Yemen facing 'outright catastrophe' over rising hunger, warn UN humanitarians, United Nations, 14 March 2022, accessed at: 26 February 2023, available at: <https://cutt.us/eJLN>

(5) المرجع السابق.

(6) زياد غصن، الزلزال في زمن الجوع: انهيار الأمن الغذائي للأسر السورية، (6) الميادين، ١٥ فبراير ٢٠٢٢م، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر <https://cutt.us/zebTS> الرابط التالي:

(1) Preventing Conflict Most Effective Way to Prevent Famine, op.cit.

(2) Kaamil Ahmed, South Sudan 'failed' by international aid system as food crisis intensifies, The Guardian, 7 February 2023, accessed at: 26 February 2023, available at: <https://cutt.us/UzCqC>

(3) Hunger Hotspots: FAO-WFP early warnings on acute food insecurity, Op.tc.

الإغاثية بالكاد تتعامل مع هذه الأزمة^(١).

المعضلة^(٥).

ثالثاً- تدابير مواجهة المجاعات:

تتطلب الأزمة تحركاً عاجلاً من مختلف الدول والمنظمات والهيئات إذ يجب اتخاذ خطوات مبكرة وعدم الانتظار حتى إعلان المجاعة، ويمكن التأسّي بجهود المجتمع الدولي لتجنب المجاعة في شرق أفريقيا عام ٢٠١٧^(٦).

في ظل تصاعد الحاجة إلى مواجهة الأزمة واتخاذ تدابير استباقية لإنقاذ من يمكن إنقاذهم من براثن المجاعة، تتباين ردود الفعل بين ردود تم اتخاذها بالفعل وأخرى لا تزال في موضع المقترحات الموصى بها مستقبلاً، وفيما يلي تفصيل لهذه الجهود:

١- جهود الاتحاد الأوروبي:

قررت مفوضية الاتحاد الأوروبي تقديم حزمة مساعدات إنسانية لأكثر من ١٥ دولة لتلبية الاحتياجات الإنسانية بها ودعم الأمن الغذائي عالمياً، وتوضح الجداول التالية قيمة التمويل المخصص لكل دولة في مناطق مختلفة:

أ- منطقة غرب ووسط أفريقيا

الدولة	قيمة التمويل المخصص لها
مالي	مليون يورو
تشاد	مليون يورو
بوركينافاسو	٢ مليون يورو
النيجر	٢ مليون يورو
جمهورية أفريقيا الوسطى	٤ مليون يورو

For Freedom, 3 March 2023, accessed at: 13 March 2023, available at: <https://cutt.us/IC0oJ>

(٤) الجوع في أفغانستان يلوح في الأفق، الإغاثة الإنسانية عبر العالم، ١٣ أكتوبر ٢٠٢٢ م، تاريخ الاطلاع: ٢٦ فبراير ٢٠٢٣ م، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/2Cl5m>

(٥) المرجع السابق.

(6) International Rescue Committee, Op.cit.

لكن الزلزال أضاف تحديات جديدة وفاقم الأزمة، حيث تسبب في نزوح حوالي ٢٨٤ ألف سوري إضافي^(٢)، وعلى الرغم من استمرار تبعات الزلزال والعجز عن إحصائها بشكلٍ كامل إلا أن الوكالات الإنسانية التابعة للأمم المتحدة أعربت عن حاجتها إلى تمويل بقيمة ٣٩٧,٦ مليون دولارًا على مدار الثلاثة أشهر الأولى بعد الزلزال لتلبية الحاجات الإنسانية الأكثر إلحاحًا لحوالي ٤,٩ مليون سوري ممن تضرروا من الزلزال^(٣).

٣- أفغانستان

يواجه حوالي ٢٤ مليون شخصًا الجوع الشديد ويقعون على شفا المجاعة في أفغانستان، وذلك لعدة أسباب منها موجة الجفاف والتي تعد الأسوأ منذ ثلاثين عامًا، وتزامنت هذه الموجة مع البرد القارس في ظل عدم كفاية الحطب والفحم فيجتمع على الأفغان الجوع والبرد (موسم العجاف). هذا بالإضافة إلى الفيضانات الشديدة في إقليمي هلمند وقندهار، مما أدى إلى نزوح مئات العائلات وتدمير الأراضي الزراعية ونفوق العديد من الحيوانات، كما أن الاضطرابات التي شهدتها أفغانستان خلال عام ٢٠٢٢ قد تسببت بفقد الكثيرين لوظائفهم فتدهورت الحالة الاقتصادية لأسرهم وتعذر على هذه الأسر توفير الغذاء لأفرادها^(٤).

في الحالة الأفغانية تحديداً، تواجه الأعمال الإغاثية تحدياً يتمثل في صعوبة الحصول على الأموال من المتبرعين نظراً للفوضى التي يشهدها النموذج المصرفي الأفغاني، وتبذل بعض المنظمات الإغاثية جهود تنسيق مع الحكومة لحل هذه

(١) ماذا يحدث لسوريا عندما يختفي الزلزال من عناوين الصحف؟، الأمم المتحدة، ٢٧ فبراير ٢٠٢٣ م، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس ٢٠٢٣ م، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/GdebG>

(2) WFP accelerates earthquake response in Syria and Türkiye, World Food Programme, 10 February 2023, accessed at: 13 March 2023, available at: <https://cutt.us/xxCjP>

(3) Earthquakes displace 2.7 million people in Turkey, exacerbate pre-existing food insecurity in Syria: USAID, Stockholm Center

وأوجبت المبادرة على السفن التي ستشارك بها المرور في ذهابها وإيابها عبر نقطة تفتيش قبالة إسطنبول، وبدأ تطبيق المبادرة في ١ أغسطس ٢٠٢٢^(٣).

تم توجيه حوالي ربع الشحنات إلى الدول ذات الدخل المنخفض أو الدخل المتوسط الأدنى، وشمل ذلك بعض الدول التي على شفا المجاعات مثل الصومال واليمن وكينيا والسودان، بينما تم توجيه الربع الثاني إلى الدول ذات الدخل المتوسط الأعلى مثل تركيا والصين وبلغاريا، أما باقي الحبوب فتوجهت إلى الدول ذات الدخل المرتفع مثل إسبانيا وهولندا وإيطاليا وألمانيا وفرنسا. وقد ظهرت بوادر أشارت إلى انخفاض أسعار المواد الغذائية لخمسة أشهر متتالية، لكن يبقى مستقبل المبادرة رهيناً بمستقبل الحرب الروسية الأوكرانية^(٤).

٣- جهود مشتركة بين كل من منظمة الأغذية والزراعة، وصندوق النقد الدولي، ومجموعة البنك الدولي، وبرنامج الأغذية العالمي، ومنظمة التجارة العالمية:

أصدر رؤساء منظمة الأغذية والزراعة وصندوق النقد الدولي ومجموعة البنك الدولي وبرنامج الأغذية العالمي ومنظمة التجارة العالمية بياناً مشتركاً بشأن الأمن الغذائي العالمي في ٨ فبراير ٢٠٢٢، وأكدوا على ضرورة اتخاذ إجراءات عاجلة حيال الأزمة الراهنة، ومنها:

أ- إنقاذ بؤر الجوع أو البؤر المهددة بالمجاعات

تستنفر المؤسسات السابقة جهود الدول والجهات المانحة لتلبية الاحتياجات وتبادل المعلومات وتعزيز التأهب للآزمات باعتبار المال ركيزة أساسية من ركائز حل هذه الأزمة، وقد ساهمت المساعدات في تخفيف حدة الأزمة خلال عام ٢٠٢٢، وفيما يلي تفصيل لأهم الجهات أو الدول التي ساعدت في عملية تمويل لتحسين الأمن الغذائي:

للعالم؟، الأمم المتحدة، ٢٠ سبتمبر ٢٠٢٢م، تاريخ الاطلاع: ١٨ فبراير

٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/k41rn>

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

ب- منطقة شرق وجنوب أفريقيا

الدولة	قيمة التمويل المخصص لها
جنوب السودان	٦ مليون يورو
السودان	٩ مليون يورو
إثيوبيا	١٠ مليون يورو
الصومال	١٠ مليون يورو

ج- الوطن العربي

الدولة	قيمة التمويل المخصص لها
لبنان	٥ مليون يورو
سوريا	١٥ مليون يورو
اليمن	٣٥ مليون يورو

كما خصصت المفوضية ٧٥ مليون يورو لأفغانستان، و ١٠ ملايين يورو لباكستان، بالإضافة إلى ٣٠ مليون يورو لدعم فنزويلا. وكذلك حُصص ١٧٥ مليون يورو كمساعدات إنسانية لأوكرانيا ومولدوفا^(١).

٢- مبادرة البحر الأسود لنقل الحبوب:

وهي مبادرة توسطت فيها الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا لنقل صادرات الأغذية والأسمدة الحيوية الأوكرانية إلى بقية العالم، وذلك للحد من ارتفاع أسعار المواد الغذائية عقب الحرب الروسية الأوكرانية، ووقعت في إسطنبول في ٢٢ يوليو ٢٠٢٢، ووافق عليها كل من الاتحاد الروسي وتركيا وأوكرانيا والأمم المتحدة، وتم إنشاء مركز لتنسيق المبادرة في إسطنبول^(٢).

سمح الاتفاق باستئناف صادرات الحبوب والمواد الغذائية الأخرى والأسمدة، بما في ذلك الأسمدة، من أوكرانيا عبر ممر إنساني بحري آمن من ثلاثة موانئ أوكرانية رئيسية، هي: تشورنومورسك، أوديسا، ويوجني/ بيفديني، إلى بقية العالم،

(1) G20: €210 million in food assistance for most vulnerable worldwide, European Commission, 14 November 2022, accessed at: 15 February 2023, available at: <https://cutt.us/sgAVO>

(2) مبادرة البحر الأسود لنقل الحبوب: ما هي؟ ولماذا تعد مهمة بالنسبة

لذا يجب إعادة النظر في الإعانات العاملة الشاملة مع مراعاة الجوانب الرئيسية لكل من: الكفاءة، والتكلفة والاستدامة المالية، والمرونة، والإنصاف، والاستدامة، وفي قطاع الزراعة على سبيل المثال لا بد من العمل على مرونة واستدامة نظام الأغذية الزراعية بسبل شتى مثل اعتماد الممارسات الزراعية الجيدة والبحوث والابتكار (بما في ذلك كفاءة استخدام الأسمدة وبدائل الأسمدة الاصطناعية)، والخدمات الإرشادية والاستشارية، والبنية التحتية المحسنة واللوجستيات، والتقنيات الرقمية التي تعمل على تحسين الإنتاجية بشكل مستدام^(٣).

د- تقديم قروض للدول التي تعاني من تدهور أوضاع الأمن

الغذائي

فقد منح البنك الدولي قروضاً جديدة بقيمة ١٢ مليار دولاراً بين أبريل وديسمبر ٢٠٢٢، وتوجهت نصف هذه القيمة تقريباً إلى أفريقيا، واستهدفت هذه القروض تعزيز قدرة قطاع الزراعة على الصمود بوجه عام، وفي بعض الحالات استهدفت القروض استمرار الحماية الاجتماعية للفئات الأكثر ضعفاً^(٤).

خاتمة: دلالات، ومقترحات

يتضح مما سبق عمق الأزمة وتداعياتها الكارثية خاصة في ميادين الصحة والتعليم، كما يتضح أن الأزمة مرشحة للتورث للأجيال القادمة، وذلك لهشاشة الدول وعجزها عن الصمود أو اتخاذ التدابير الاستباقية لتلافي الأزمة مستقبلاً بالإضافة إلى استمرار التبعية في الحصول على الغذاء والافتقار إلى الاستقلالية.

كما يتضح التمييز بين الدول عالمياً وبالتالي التمييز بين مواطنيها في تناول المساعدات الغذائية، فلا زالت بؤر المجاعات تحظى بالنصيب الأقل من المساعدات أو المواد الغذائية

- برنامج الأغذية العالمي وشركاؤه: إذ تمكن من تمديد نطاق مساعداته ليصل إلى أكثر من ١٤٠ مليون شخص بعد تلقيه مساهمات بلغت قيمتها حوالي ١٤ مليار دولاراً أمريكياً.

- منظمة الفاو: ساهمت بحوالي مليار دولاراً أمريكياً في صورة تدخلات زراعية حساسة للوقت.

- البنك الدولي: قدم حزمة أمن غذائي قيمتها ٣٠ مليار دولاراً تغطي ١٥ شهراً من أبريل ٢٠٢٢ إلى يونيو ٢٠٢٣، وخصص ٣,٥ ملياراً لدعم الأمن الغذائي في بؤر الجوع، كما خصص مليار دولار لدعم نافذة الاستجابة للأزمات التابعة للمؤسسة الدولية للتنمية، واستقطع من هذا المبلغ ٧٤٨ مليون دولاراً لتلبية احتياجات بؤر المجاعات ذات الوضع الحرج^(١).

ب- تسهيل التجارة وتحسين أداء الأسواق وتعزيز دور القطاع الخاص

يُقصد بذلك تعزيز توفير السلع العامة، وتقليل التشوهات التجارية، وتمكين القطاع الخاص من المساهمة بشكلٍ فعال في تحسين نتائج الأمن الغذائي. وقد رفعت بعض الدول بالفعل حظر التصدير عن القمح والأرز، لكن لا يزال حظر التصدير على الخضروات قائماً^(٢).

ج- إعادة توظيف الدعم بحيث يتسم بالاستهداف الدقيق والكفاءة

يتطلب ذلك موازنة البلاد بين التدخلات العاجلة قصيرة الأجل وجهود الصمود طويلة المدى أثناء معالجة الأزمات، فعلى الرغم من ضرورة اتخاذ إجراءات حماية اجتماعية إلا أنها أحياناً تحيد عن الكفاءة بالإضافة إلى عبئها الثقيل على الحكومات، فضلاً عن التشكك في وصولها للفئات المستهدفة فعلاً.

February 2023, available at: <https://cutt.us/OA990>

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(٤) تحديث عن الأمن الغذائي، البنك الدولي، ١٣ فبراير ٢٠٢٣، مرجع سابق.

(1) Kristalina Georgieva, Joint Statement by the Heads of the Food and Agriculture Organization, International Monetary Fund, World Bank Group, World Food Programme and World Trade Organization on the Global Food and Nutrition Security Crisis, International Monetary Fund, 8 February 2023, accessed at: 22

الإجراءات في هذا الصدد، ومع ذلك تبقى الحاجة لإجراءات أخرى منها رفع القيود على التصدير والتي قد تعوق وصول المستهلكين الفقراء إلى الغذاء في البلدان منخفضة الدخل، ودعم تدابير تيسير التجارة لتحسين توافر الغذاء والأسمدة، ودعم مبادرات تمويل التجارة مع التزام الشفافية وعدم التمييز، ودعم منتجي الأغذية دعمًا ذكيًا لتمكينهم من الوصول إلى الأسمدة وغيرها من مستلزمات الزراعة^(١).

٥- التحلي بأخلاق الحرب والنزاع، ومنها تمرير المساعدات الإنسانية، وحماية الفئات الأكثر ضعفًا مثل النساء الحوامل والمرضعات والأطفال.

٦- مناشدة كافة الدول باتباع نهج طويل الأجل يقضي بدعم الدول المتضررة من تغير المناخ، بمساعدتها ماليًا في صورة منح -وليس قروض- للتكيف مع تغير المناخ والتخفيف من آثاره.

٧- تصميم تدابير حماية اجتماعية تهدف لدعم الفئات الأكثر هشاشة في مواجهة الأزمة، وقد استجابت بعض الدول لتضخم أسعار الغذاء والوقود والأسمدة، فأنفقت البلدان أكثر من ٧١٠ مليار دولارًا أمريكيًا على تدابير الحماية الاجتماعية التي تغطي مليار شخص، بما في ذلك حوالي ٣٨٠ مليار دولارًا أمريكيًا للإعانات، ومع ذلك فقد تم إنفاق ٤,٣ مليار دولارًا أمريكيًا فقط في البلدان منخفضة الدخل على تدابير الحماية الاجتماعية، مقارنةً بـ ٥٠,٧,٦ مليار دولارًا أمريكيًا في البلدان ذات الدخل المرتفع.

٨- منع تفاقم الأزمة وتشابكها مع أزماتٍ أخرى في بعض المناطق وتحديداً القارة الأفريقية، من خلال الحرص على النظافة العامة على سبيل المثال: يشمل ذلك توفير مياه نظيفة وتشجيع الصرف الصحي المناسب؛ منعًا لمضاعفة الأزمة بأزماتٍ أخرى كانتشار الأمراض

المسموح بتداولها عالميًا، بينما يذهب النصيب الأكبر للقوى العالمية الكبرى.

وقد كان التحيز الغربي جليًا في تناول الأزمات والتعريف بها، فعند الحديث عن الحالة الأفغانية تحديداً استغرقت المواقع والصحف الغربية في الحديث عن فشل حكومة طالبان، بينما لم يتم التطرق من قريبٍ أو بعيد للإرث الاستعماري وأثره في إفساد الحياة في أفغانستان.

ومن ثم، فرغم اتخاذ بعض الخطوات الفعلية لمواجهة المجاعات، إلا أنه تبقى بعض التدابير التي يمكن اتخاذها مستقبلاً والتي قد تسهم في مواجهة المجاعات أو تفاديها من الأساس، وفيما يلي تفصيل لهذه المقترحات:

١- يعد منع الصراعات الوسيلة الأكثر فاعلية لإيقاف المجاعات والحيلولة دون موت الملايين جوعاً، ويتم ذلك عن طريق:

- تدخل طارئ من مجلس الأمن لحل النزاعات أو إيقافها.

- رفع قيمة المساعدات الإنسانية من المجتمع الدولي لإنقاذ الملايين من براثن الجوع.

- دعم اقتصادات البلدان التي تواجه جوعاً شديداً.

٢- الحرص على تمويل المؤسسات التي تتركز أنشطتها في مجال دعم الأمن الغذائي مثل التحالف العالمي للأمن الغذائي، ومثل صندوق النمو والحد من الفقر التابع لصندوق النقد الدولي لتقديم تمويل بشروط ميسرة للبلدان منخفضة الدخل.

٣- التركيز على شبكات الأمان الاجتماعي والسياسات للمساعدة في مواجهة تحديات الأمن الغذائي.

٤- تشجيع جهود التحول الزراعي في أفريقيا لتعزيز القدرة على الصمود مستقبلاً، والحرص على حشد التمويل لهذه الجهود، وتسهيل التجارة وتحسين أداء الأسواق وتعزيز دور القطاع الخاص: على الرغم من اتخاذ بعض

(1) Kristalina Georgieva, Op. cit.

نظم غذائية مستدامة، وذكية مناخيًا، ومرنة.

١١- تفعيل دور سكان الريف والجهات المحلية في قلب هذه العمليات.

١٢- التعامل مع الأزمة على عدة مستويات: مستوى يركز على الأفراد ومكافحة فقر الأسر الفقيرة ودعم حصولهم على الغذاء بأنفسهم، حتى لو كان دور الدولة محدودًا في هذا الصدد، وذلك عبر بناء قدرات عوائل الأسر أو حضهم على رفع دخولهم بسبل شتى مثل السفر خارج البلاد المأزومة أو الحرص على العمل مع جهات عمل أجنبية مرتفعة الدخل، ومستوى واسع يركز على حل معضلات الغذاء والفقير على مستوى الدول من خلال صياغة سياسات عامة خاصة بالتغذية والزراعة والفقير.

والأوبئة، فالمياه النظيفة والصرف الصحي المناسب ضرورة في أي حالة طوارئ إنسانية لتجنب الأمراض الفتاكة التي تنقلها المياه مثل الكوليرا والإيبولا وفيرس كورونا لا سيما أنها تستخدم في الشرب والطبخ وغسل اليدين. وتُعد أمراض المعدة التي تتسبب بها المياه غير النظيفة من أخطر الأمراض؛ لأنها تحول بين الناس وبين حصولهم على الغذاء من الأساس فضلًا عن أن يكون هذا الغذاء صحيًا، وتصبح الحاجة للمياه النظيفة أكثر إلحاحًا لبعض الفئات مثل الأطفال دون سن الخامسة^(١).

٩- مكافحة تغير المناخ من خلال إعطاء الأولوية للاستثمارات في أنظمة الإنذار المبكر، والعمل الاستباقي، والقدرة على الصمود في الزراعة.

١٠- الحفاظ على سلاسل غذائية مفتوحة والانتقال نحو

(1) Chris Hufstader, Op.cit.

عودة نتنياهو وإشكاليات الحكم في إسرائيل

عبد الرحمن عادل*

والآثار التي ترتبت على عودة نتنياهو، وألقت بظلالها على السياسة الداخلية الإسرائيلية من ناحية والشأن الفلسطيني من ناحية أخرى.

أولاً- انتخابات الكنيست ٢٠٢٢: سياق معقد، ونتائج مأزومة:

١- المشهد السياسي الإسرائيلي قبل انتخابات ٢٠٢٢:

منذ أن تشكلت حكومة نفتالي بينيت- يائير لابيد في يونيو ٢٠٢١، عقب الانتخابات المبكرة الرابعة خلال عامين تقريباً*، بدا أن هناك أزمة واضحة في تلك الحكومة تُنبئ بصعوبة استمرارها وإكمال مدتها المقررة. فقد استندت تلك الحكومة على ثمانى كتل برلمانية وحزبية غير متجانسة، جمع بينها الرغبة في إزاحة نتنياهو، وهي: القائمة العربية الموحدة (٤ مقاعد) ولا تتمثل بحقائب وزارية وإنما وظائف برلمانية، وثلاث كتل من اليمين الاستيطاني المتشدد هي: يميناً برئاسة بينيت- وإسرائيل بيتنا بزعامة أفيجدور ليبرمان- وأمل جديد بزعامة جدعون ساعر، بالإضافة إلى كتلتين من اليمين الوسط هما: يوجد مستقبل بزعامة ليبيد وأزرق أبيض برئاسة بيني غانتس، وأخيراً كتلة العمل وميرتس التي تمثل اليسار الإسرائيلي^(١).

استمرت هذه الحكومة في العمل نحو عام تجمعها الرغبة في إزاحة نتنياهو، وتجنب القضايا الخلافية وعدم إثارتها، وكذلك اتفاق الكتل المُشكلة لهذه الحكومة على الإبقاء على العلاقة بين الدين والدولة كما هي أو عدم المساس "بالوضع الراهن" الموروث عن بن جوروين بشأن العلاقة بين الدين والدولة. ثم ما كان إلا أن أخذت حكومة بينيت في التفكك

مقدمة:

جاءت انتخابات الكنيست نوفمبر ٢٠٢٢ في دولة الاحتلال الإسرائيلي على خلفية فشل حكومة نفتالي بينيت رئيس حزب يميناً ويائير لابيد رئيس حزب هناك مستقبل، والتي قامت على أساس اتفاق لتشكيل الحكومة بعد انتخابات مارس ٢٠٢١. وهو الاتفاق الذي نص على تناوبهما على رئاسة الحكومة في منتصف ولايتهما ومدتها أربع سنوات، واستبدال لابيد بينيت إذا حل البرلمان. وقد نجحاً حينها في طي صفحة حكم نتنياهو المتهم في قضايا الفساد، إذ كان يُحاكم بتهمة الرشوة والاحتيال وخيانة الأمانة. وضم الائتلاف المتنوع لأول مرة حزباً عربياً، هو القائمة العربية الموحدة "راعم" برئاسة منصور عباس. كما شمل الائتلاف ثمانية أحزاب سياسية من طيف أيديولوجي غير متجانس: على سبيل المثال من اليمين، حزب إسرائيل بيتنا، واليسار مثل ميرتس، والعرب، ورئيس وزراء ينتهي إلى حزب يميناً الفائز بسبعة مقاعد فقط. أما الذي جمع تلك المكونات المختلفة فهو الرغبة في إسقاط نتنياهو، وهو ما جعل الائتلاف هشاً وضعيفاً وانتهى به الأمر إلى التفكك والدعوة لانتخابات مبكرة.

وفي هذا الإطار يتناول التقرير الوضع السياسي الإسرائيلي في خضم الأزمة الحالية التي تشهدها دولة الاحتلال، وذلك من خلال ثلاثة مشاهد رئيسية: الأول: هو المشهد السياسي قبل انتخابات نوفمبر ٢٠٢٢، والذي دعا إلى إقامتها بالأساس. والمشهد الثاني: هو المشهد الانتخابي ذاته، والذي حمل نتنياهو إلى رئاسة الوزراء مرةً أخرى. والمشهد الأخير: يتمثل في التداعيات

* مدرس مساعد بقسم العلوم السياسية- جامعة حلوان.

* حيث أجريت انتخابات في أبريل ٢٠١٩، سبتمبر ٢٠١٩، مارس ٢٠٢٠، مارس ٢٠٢١ (المحرر).

(١) عبد العليم محمد، انتخابات الكنيست المبكرة: الانقلاب الثاني في السياسة الإسرائيلية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ملف خاص بعنوان: انتخابات الكنيست الخامسة والعشرون، نوفمبر ٢٠٢٢، ص ٩، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/3wA3h>

والفقدان الأغلبية التي كانت تساندها؛ بدأ ذلك بانسحاب عيديد سليمان النائبة اليمينية من الائتلاف على إثر خلاف مع وزير الصحة آنذاك نيتسان هوروفيتس، الذي وافق على السماح للمستشفيات بالتزود بمنتجات الخبز المخمر خلال عطلة عيد الفصح اليهودي، وهو ما اعتبرته عيديد مخالفاً لهوية إسرائيل اليهودية^(١).

وبانسحاب عيديد سليمان أصبحت الحكومة تركز على قاعدة ضيقة من ٦٠ عضواً مقابل ٦٠ عضواً للمعارضة بزعامة نتنياهو. وإزاء هذا الوضع لم يكن بمقدور حكومة الائتلاف الهش الاستمرار، وقد زاد من تأزم وضع الحكومة إقدام القائمة العربية الموحدة على تجميد دعمها للحكومة، على إثر المواجهات التي اشتعلت آنذاك بين الفلسطينيين والشرطة الإسرائيلية في محيط المسجد الأقصى، وكذلك اتهام القائمة العربية للحكومة بانتهاج سياسات عنصرية واستيطانية في مواجهة الشعب الفلسطيني. ثم كان المسمار الأخير في نعش الحكومة هو انسحاب نير أورباخن عضو حزب يمينا، ليصبح ما يملكه ائتلاف بينيت أقل من الأغلبية بفارق مقعدين، إذ أمسى يمتلك ٥٩ مقعداً في الكنيست المؤلف من ١٢٠ مقعداً^(٢). وبناءً على هذا اتفق بينيت ولابيد على التقدم بمشروع قانون لحل الكنيست وإجراء انتخابات خامسة مبكرة، على أن يتولى لابيد رئاسة الحكومة حتى تشكيل حكومة جديدة.

وهكذا تؤدي هذه العوامل إلى شذمة الخريطة الحزبية الإسرائيلية، وتفاقم حالة عدم استقرار الائتلافات والتحالفات والحكومات. وفي هذا الإطار، جاءت خارطة الأحزاب والكتل السياسية المتنافسة في هذه الانتخابات لتعكس تركيز التنافس بين ١٣ قائمة انتخابية فقط من إجمالي ٤٠ قائمة متنافسة، ولعل أبرز القوائم التي لفتت الانتباه في هذه الانتخابات هي^(٤):

أ- الصهيونية الدينية: وهو ائتلاف مكون من "الصهيونية الدينية" برئاسة بتسلئيل سموتريتش، و"القوة اليهودية" بزعامة إيتمار بن غفير، و"نوعام"، حيث قررت هذه الأحزاب خوض الانتخابات معاً بقائمة واحدة بعد جولة طويلة من المشاحنات والمفاوضات، وذلك بضغط من نتنياهو لمنع تشتت الأصوات وليضمن شريكاً أساسياً معه في تكوين الائتلاف الحكومي. وكذلك ليستفيد نتنياهو من أصوات المتطرفين الصهيونيين

٢- المشهد الانتخابي وفوز التحالف الصهيوني المتطرف:

توجه الناخب الإسرائيلي للمرة الخامسة خلال أربعة أعوام في الأول من نوفمبر ٢٠٢٢، إلى صناديق الاقتراع لانتخابات كنيست جديدة هي الخامسة والعشرون منذ تأسيس دولة

(١) إسرائيل: الحكومة الائتلافية بقيادة نفتالي بينيت تخسر أغليبتها في الكنيست بعد انسحاب نائبة يمينية، فرانس ٢٤، ٦ أبريل ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/zMEpZ>

(٢) حكومة إسرائيل على شفا الانهيار بعد انسحاب عضو الكنيست منها، الجزيرة، ١٣ يونيو ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/IT4Lk>

(٣) عبد العليم محمد، انتخابات الكنيست المبكرة: الانقلاب الثاني في

السياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص ١١.

(٤) حنان أبو سكين، تداعيات تشكيل حكومة ائتلافية يمينية على السياسة الخارجية الإسرائيلية، مجلة السياسة الدولية، المجلد ٥٨، العدد ٢٣١، يناير ٢٠٢٣، ص ٢١٢-٢١٣. وانظر: عبد العليم محمد، انتخابات الكنيست المبكرة: الانقلاب الثاني في السياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص ١١.

مقارنةً بـ ٦ مقاعد حصلت عليها القائمة في الانتخابات السابقة. وحصل حزب شاس بقيادة أرييه درعي على ١١ مقعداً في هذه الانتخابات مقارنةً بـ ٩ مقاعد في الانتخابات السابقة. واحتفظ حزب يهودوت هتوراه بعدد مقاعده نفسه ٧ مقاعد.

وعلى الجانب الآخر حصل المعسكر المناوئ لنتنياهو الذي يشمل جميع مكونات حكومة لبيد، بما في ذلك "الحركة الإسلامية الجنوبية" أو القائمة العربية الموحدة التي يتزعمها منصور عباس، على ٥١ مقعداً في الكنيست. وبالتفصيل، أحرز حزب يوجد مستقبل ٢٤ مقعداً في هذه الانتخابات، مقارنةً بـ ١٧ مقعداً في الانتخابات السابقة. في حين حصلت قائمة المعسكر الوطني بقيادة بيني غانتس على ١٢ مقعداً مقارنةً بـ ١٤ مقعداً حصل عليها حزباً أزرق أبيض وأمل جديد في الانتخابات السابقة، حيث حصل الأول على ٨ مقاعد بينما حصل الثاني على ٦ مقاعد. وحصل حزب إسرائيل بيتنا الذي يقوده أفيغدور ليبرمان على ٦ مقاعد مقارنةً بـ ٧ مقاعد حصل عليها سابقاً. وحصلت القائمة العربية الموحدة على ٥ مقاعد مقارنةً بـ ٤ مقاعد في الانتخابات السابقة. وأحرز حزب العمل بقيادة ميراف ميخائيلي ٤ مقاعد مقارنةً بـ ٧ مقاعد في انتخابات الكنيست السابقة. هذا بينما حصل تحالف الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، الذي يضم الحزب الشيوعي الإسرائيلي بقيادة أيمن عودة، والحركة العربية للتغيير بقيادة أحمد الطيبي، على ٥ مقاعد في الكنيست^(١).

وقد أرجع العديد من المحللين فوز معسكر نتينياهو إلى التنافس بين أحزاب كتلة التغيير المناوئة له، فهي لا تمثل كتلة متجانسة، إنما تجمع بين اليمين واليسار والعرب. وعلى صعيدٍ آخر، أظهرت نتائج الانتخابات ازدياد قوة اليمين الفاشي الإسرائيلي على نحوٍ غير مسبوق؛ فقد حصلت قائمة اليمين الفاشي المُشكلة من تحالف حزب الصهيونية الدينية وحزب القوة اليهودية، على أكثر من ٥١٦ ألف صوت، معظمهم من الشباب. ومن المثير للاهتمام أن هذه القائمة حصلت على ٢٠٪

الدينيين المدافعين عن الاستيطان وتهجير الفلسطينيين لحساب توسيع الأراضي الإسرائيلية.

ب- قائمة يهودوت هتوراه: وهي ائتلاف من حزبي "ديغل هاتوراه" و"أغودات إسرائيل"، حيث اتفقا على حل خلافاتهما وترشحا في قائمة واحدة، وذلك بعد أن وعد نتينياهو الحزبين المتدينين برفع ميزانية مؤسساتهما التعليمية.

ج- قائمة تحالف المعسكر الوطني: وهو برئاسة وزير الدفاع بيني غانتس، ويضم حزبي "أزرق أبيض" و"أمل جديد"، ورئيس أركان الجيش السابق جادي إيزنكوت.

د- القوائم العربية: بالرغم من أن فلسطيني الداخل أصبحوا قوة انتخابية مؤثرة لا يُستهان بها في المشهد، حيث يُشكلون نحو ٢١٪ من الأصوات، إلا أنهم لم يُنسقوا قائمة موحدة تمثل كافة العرب في إسرائيل. فانقسمت القوائم العربية إلى ثلاث قوائم منفصلة هي: قائمة الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة مع الحركة العربية للتغيير برئاسة أيمن عودة، وقائمة حزب التجمع برئاسة سامي أبو شحادة، والقائمة العربية الموحدة "راعم" برئاسة منصور عباس.

هـ- مجموعة من الأحزاب أبرزها: حزب الليكود وهو حزب نتينياهو، وحزب شاس وهو حزب المتدينين من اليهود الشرقيين، وحزب إسرائيل بيتنا ويوجد مستقبل.

جاءت نتيجة الانتخابات معلنة عن فوز كبير لمعسكر نتينياهو الذي يتكون من أحزاب: الليكود، والصهيونية الدينية، وشاس، ويهودوت هتوراه. فقد حصل معسكر نتينياهو على ٦٤ مقعداً في هذه الانتخابات من مجموع مقاعد الكنيست البالغ ١٢٠ مقعداً، مقارنةً بـ ٥٢ مقعداً في الانتخابات السابقة. وبالتفصيل، نال حزب الليكود ٣٢ مقعداً في هذه الانتخابات مقارنةً بـ ٣٠ مقعداً في الانتخابات السابقة، وأحرزت قائمة حزب الصهيونية الدينية الفاشية بقيادة بتسلئيل سموتريتش، وحزب القوة اليهودية الفاشي بقيادة إيتمار بن غفير ١٤ مقعداً،

نوفمبر ٢٠٢٢، ص ١، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/cBqOz>

(١) انتخابات الكنيست الإسرائيلي: عودة نتينياهو وصعود الصهيونية الدينية، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٧

من أصوات الجنود في معسكرات الجيش الإسرائيلي^(١).

ثانيًا- عودة نتنياهو وتشكيل حكومة ائتلافية متطرفة:

دارت في إسرائيل معركة سياسية داخلية طويلة من أجل تشكيل الحكومة الإسرائيلية السابعة والثلاثين، وذلك بعد أن قام الرئيس الإسرائيلي إسحاق هرتسوغ بتكليف بنيامين نتنياهو، زعيم حزب الليكود، بتشكيل الحكومة في ١٣ نوفمبر ٢٠٢٢. إثر حصوله على توصية الأغلبية من الأحزاب اليمينية بواقع ٦٤ مقعد (الليكود ٣٢ مقعد، الصهيونية الدينية ١٤ مقعد، شاس ١١ مقعد، يهودوت هتوراه ٧ مقاعد) لتشكيل الحكومة الجديدة. وقد تمكن الأخير بعد مفاوضات طويلة من تشكيل حكومته الائتلافية السادسة، التي حازت ثقة الكنيست في ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٢.

وكان من الأسباب التي ساهمت في إطالة فترة تشكيل الحكومة، اشتراط ثلاثة أحزاب سنّ قوانين في الكنيست قبل تشكيل الائتلاف الحكومي على نحو يُشكل موازين القوى بداخل الائتلاف. وهو ما حدث فعلاً؛ إذ سنّ الكنيست ثلاثة قوانين: الأول: "قانون درعي" الذي يُمكن المواطن المدان بقضايا جنائية لا تصل عقوبتها إلى السجن الفعلي من إشغال منصب وزير، كما هي حالة رئيس حزب شاس، أرييه درعي، الذي أُدين بقضية جنائية في بداية عام ٢٠٢٢؛ و"قانون سموتريتش" الذي يُمكن من تعيين وزير إضافي في وزارة الدفاع مع صلاحيات خاصة. وكذلك جرى تعديل قانون الشرطة وفقاً لطلب رئيس حزب القوة اليهودية، إيتمار بن غفير، الذي يمنح وزير الشرطة صلاحيات التدخل في بلورة سياسات الشرطة وفي التحقيقات التي تُجرىها^(٢).

وتعد حكومة نتنياهو هذه -وفق ما ذكره العديد من

المحللين- أشد الحكومات تطرفاً في تاريخ إسرائيل؛ إذ تضم أحزاب اليمين الفاشي والمتطرف بشقيه، العلماني والديني، وهي: حزب الليكود الذي ازداد تطرفاً وعنصرية في السنوات الأخيرة، والحزبان الدينيان الحريديان المتطرفان شاس ويهدوت هتوراه، وثلاثة أحزاب يمينية فاشية خاضت انتخابات الكنيست في قائمة انتخابية مشتركة، والتي حملت اسم قائمة الصهيونية الدينية، وشملت الأحزاب: الصهيونية الدينية والقوة اليهودية ونوعام، ثم فككت هذه الأحزاب الثلاثة قائمتها المشتركة بعد الانتخابات، كما كان متفقاً عليه سلفاً.

اتجه نتنياهو إلى توزيع الوزارات الكبيرة؛ كالمالية، والداخلية، والصحة، والأمن القومي، والإسكان، والاستيطان، على الشركاء في الائتلاف الحكومي من الأحزاب الحريدية واليمين الديني المتطرف والصهيونية الدينية، إلى جانب منحهم صلاحيات واسعة مأخوذة من وزارات أخرى ستكون بيد أعضاء الليكود - حزب نتنياهو - رغبةً منه في ضمان تشكيل الحكومة، وعدم التوجه مجدداً لانتخابات مبكرة. وفي هذا الإطار بذل سموتريتش رئيس حزب الصهيونية الدينية جهداً كبيراً، في أثناء المفاوضات لتشكيل الحكومة الائتلافية، للحصول على وزارة الدفاع لأسباب عديدة؛ منها أن الإجراءات الخاصة بالاستيطان اليهودي في المناطق المحتلة تُتخذ في "الإدارة المدنية" الإسرائيلية التابعة لوزارة الدفاع. ولم يتمكن سموتريتش في مفاوضات تشكيل الحكومة من أن يصبح وزيراً للدفاع، بيد أنه نجح في الحصول على منصب وزير في وزارة الدفاع*، علاوة على كونه وزيراً للمالية. وقد جرى، وفق اتفاق الائتلاف الحكومي، نقل المسؤولية عن كل من الإدارة المدنية الإسرائيلية ومنسق أعمال الحكومة الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة من مسؤولية المؤسسة العسكرية إلى مسؤولية سموتريتش مباشرة^(٣). وقد

غالانت، ووزير المالية، بتسلييل سموتريتش، يوم الخميس ٢٣ فبراير من العام الجاري على وثيقة تفاهات بشأن نقل صلاحيات تتعلق بالوحدتين العسكريتين: "الإدارة المدنية" و"منسق أعمال الحكومة في المناطق المحتلة، إلى سموتريتش الذي عُين وزيراً في وزارة الدفاع وفق القانون الذي تم سنّه خصيصاً له.

(٣) محمد وتد، حكومة نتنياهو السادسة.. أزمت داخلية وتحديات

(١) المصدر السابق، ص ٣.

(٢) تداعيات تشكيل الحكومة الأكثر تطرفاً في تاريخ إسرائيل، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٩ يناير ٢٠٢٣، ص ١، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/PcHd7>

* اتفق رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو، ووزير الأمن يوآف

١- الوضع السياسي في إسرائيل في ظل الحكومة الجديدة:

لعل أبرز ما أكدته هذه الانتخابات من نتائج، هو اندثار اليسار الصهيوني التاريخي الذي أسس إسرائيل، والذي أوشك أن يختفي كلياً عن الخريطة الحزبية الإسرائيلية؛ فقد اجتاز حزب العمل عتبة الحسم بشق الأنفس وحصل على ٤ مقاعد فحسب، في حين فشل حزب ميرتس في اجتياز عتبة الحسم. وفي المقابل، مثلت الانتخابات صعوداً عنيفاً للتيارات اليمينية والدينية المتشددة والمتطرفة، وهو ما أحدث ردود فعل غير مسبوقة في المجتمع الصهيوني؛ لدرجة أن قادة صهاينة سياسيين وعسكريين كبار دعوا إلى أشكالٍ مختلفة من الاحتجاج لإسقاط الحكومة، كالمظاهرات والانتفاضة المدنية والتمرد على أوامر الحكومة، بمن في ذلك إيهود باراك، وموشيه يعلون، ودان حالوتس، وعاموس جلعاد، ويائير جولان، ويوفال ديسكين، وأفيجدور ليبرمان.. وغيرهم^(٢).

كما يبدو أن حكومة نتنياهو نفسها ليست متجانسة ولا موحدة الصف، بل تحمل في داخلها تناقضات قد تؤدي لانهارها أيضاً كالحكومة التي سبقتها، وهو ما يعني مزيداً من التأزم في الوضع السياسي الداخلي في دولة الاحتلال، ولعل أبرز هذه التناقضات^(٣):

أ- اضطرار نتنياهو للاستجابة لمطالب شركائه جعله يمنحهم وزارات مفصلية، ومنها المالية بالتناوب بين زعيم الصهيونية الدينية بتسلئيل سموتريتش وزعيم شاس آرييه درعي، كما حصل الأول على منصب وزير بوزارة الدفاع -على

أثار هذا التوزيع إشكالاً داخلياً حول تقاسم الصلاحيات مع وزير الدفاع غالانت، مما دفع وزير الدفاع المنتهية ولايته بيني غانتس لوصف الأخير بأنه "وزير من الدرجة ب".

ووفقاً لاتفاق الائتلاف الحكومي أيضاً، جرى تغيير اسم وزارة "الأمن الداخلي" إلى "وزارة الأمن القومي". وقد تولى المتطرف بن غفير رئيس حزب القوة اليهودية الفاشي هذه الوزارة، بعد أن سن الكنيست قانوناً منحه صلاحياتٍ واسعة، تمكنه من التدخل في بلورة سياسة الشرطة وفي تنفيذ عملياتها وفي التحقيقات التي تجريها. وكذلك تم توسيع صلاحيات وزارة الأمن القومي بشكلٍ غير مسبوق؛ إذ تقرر نقل مؤسساتٍ عديدة مختصة بملاحقة العرب الفلسطينيين في داخل الخط الأخضر وقمعهم من وزاراتٍ أخرى إليها، وتقرر وضعها تحت إمرة بن غفير مباشرةً. وكذلك سلطة "تطبيق القانون على الأرض" المختصة في منع البناء غير المرخص التي كانت تابعة لوزارة المالية، و"الشرطة الخضراء" المختصة في تطبيق القانون فيما يتعلق بالاعتداءات على البيئة، و"الدورية الخضراء" المختصة في تطبيق القانون في المناطق المفتوحة والحدائق العامة، كما جرى الاتفاق على إقامة "الحرس الوطني" كقوة أمنية كبيرة تكون تابعة لوزارة الأمن القومي وتحت إمرة بن غفير مباشرة^(١).

ويعني في هذا المقام تبين التداخليات السياسية التي تحملها هذه الحكومة على الوضع السياسي الداخلي في إسرائيل من ناحية، وعلى الشأن الفلسطيني من ناحيةٍ أخرى:

للدراسات السياسية والاستراتيجية، ملف خاص بعنوان: انتخابات الكنيست الخامسة والعشرون، مرجع سابق
- محسن محمد صالح، هل يتفجر الوضع الداخلي في الكيان الإسرائيلي؟، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠ يناير ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع
٢٠ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/QqR62>
(٣) عدنان أبو عامر، تقدير موقف: قراءة في سياسات ومآلات حكومة نتنياهو السادسة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٩ يناير ٢٠٢٣، ص ٣-٥، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/Yz9Qm>

خارجية، الجزيرة، ٢٣ ديسمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ١٥ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/AY6ia>
- وانظر: تقدير موقف، تداعيات تشكيل الحكومة الأكثر تطرفاً في تاريخ إسرائيل، مصدر سابق، ص ٣-٤.
(١) المرجع السابق، ص ٤-٥.
(٢) انظر ما يلي:
- سعيد عكاشة، انهيار اليسار وصعود اليمين الديني، مركز الأهرام

الحيوية، وخاصةً التعليم الذين يسعون لجعله تلمودياً صرفاً، فقد تم تفصيل منصب خاص في وزارة التعليم لعضو الائتلاف الحاخام آفي ماعوز لتعميق الهوية اليهودية لدى الأجيال الناشئة، واتخاذ مواقف ضد اليهود العلمانيين، ومعارضة خدمة النساء في الجيش، ورفض جلب الوثنيين إلى الدولة من يهود الاتحاد السوفييتي السابق.

كما أن الحكومة الجديدة عملت على سن مجموعة من القوانين التي تحد من صلاحيات الجهاز القضائي الإسرائيلي؛ بزعم أنه (لا سيما المحكمة العليا)* يحد من قدرة السلطين، التنفيذية والتشريعية، على تنفيذ سياساتهما. فمنذ أكثر من عقد، يسود توجه في صفوف اليمين المتطرف الإسرائيلي، بشقيه العلماني والديني، وفي صفوف اليمين الفاشي، يدعو إلى إعادة صياغة حدود الديمقراطية الإسرائيلية، من خلال إزالة الكواجج والتوازنات القائمة في النظام السياسي ومنظومة القوانين الإسرائيلية، ولا سيما الليبرالية منها المتعلقة بقضايا الدين والدولة وحقوق الإنسان، وسن قوانين جديدة تتلاءم مع قيم اليمينين، المتطرف والفاشي الإسرائيليين ورؤيتهما^(١).

وفي ظل الوضع المبين، ووجهت حكومة نتنياهو بمظاهرات شعبية واحتجاجات واسعة، معترضة على خطة الإصلاح القضائي التي تقدمت بها الحكومة في المقام الأول، والتي يرى المعارضون أنها ستقوض نظام الضوابط والتوازنات في ديمقراطية إسرائيل، وأنها ترمي إلى تقويض السلطة القضائية لصالح السلطة السياسية، فوفقاً للتعديلات المقترحة، سيكون من الممكن في المستقبل للبرلمان إلغاء قرارات المحكمة العليا بأغلبية بسيطة، كما سيحصل السياسيون على نفوذ أكبر في تعيين القضاة^(٢). وفي الوقت ذاته، قالت هيئة البث الإسرائيلية

نحو ما أشير- فيما حظي زعيم القوة اليهودية إيتمار بن غيري بوزارة الأمن القومي الموسعة، أما الليكود فحصل على الجزء المتبقي من وزارة الدفاع وكانت من نصيب الجنرال يوآف جالانت، ووزارة الخارجية حظي بها بالتناوب إيلي كوهين ويسرائيل كاتس. وقد أثارت هذه التقسيمة غضب الليكوديين على زعيمهم الذي اتهموه بالتفريط بحقوقهم الوزارية المهمة، والنتيجة أننا لسنا أمام حكومة ليكود صرفة، سواء بسبب غياب رموزه الحزبية، وذهاب الحقائق السيادية لشركائه، أو انحراف برنامج الحكومة عن مبادئه الخاصة بالمجتمع الإسرائيلي من الداخل.

ب- التناقض الثاني يرتبط بالبرنامج الخاص بالحكومة الجديدة، فعلى الرغم من توافقها في الخطوط العامة في الموضوع السياسي، وخاصةً المتعلق بالفلسطينيين، إلا أن البنود المتعلقة بالمواقف والسياسات الجديدة تجاه المجتمع الإسرائيلي مختلفة كثيراً عن حكومات نتياهو السابقة، فهو وحزبه يُصنفان بأنهما من اليمين الليبرالي العلماني، ولا يتفقان مع معظم ما يدعو إليه شركاؤهم المتدينون فيما يتعلق بهوية الدولة الدينية، وتسهيل التهرب من الخدمة العسكرية، وزيادة الجرعة التوراتية في سلوكيات الإسرائيليين، لا سيما تعطيل الرياضة وإنتاج الكهرباء في أيام السبت، ومحاربة الشذوذ، وغيرها من القضايا التي تعزز مخاوف العلمانيين بشأن الدولة المحكومة بمنطق التوراة والتلمود.

ج- ظهر الخلاف أيضاً حينما اضطرت نتياهو لأن يُعلن على منصة الكنيست أن إسرائيل لن تتحول إلى دولة شريعة، وستحافظ على طريق اليمين الليبرالي، وهذا عقب تسريب مطالب المتدينين في المفاوضات الائتلافية. وذلك في مواجهة تحذيرات المعارضة من سيطرتهم على مفاصل الدولة والوزارات

(١) تقدير موقف، تداعيات تشكيل الحكومة الأكثر تطرفاً في تاريخ إسرائيل، مصدر سابق، ص ٢.

(٢) للأسبوع التاسع.. عشرات الآلاف يتظاهرون في تل أبيب ضد حكومة نتياهو، الجزيرة، ٥ مارس ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ٧ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/JTaeE>

* يذكر أن المحكمة العليا الإسرائيلية أصدرت قراراً ينص على ضرورة قيام رئيس الحكومة بنيامين نتياهو بإقالة زعيم حزب شاس وزير الصحة والداخلية أرييه درعي من مناصبه الوزارية، وبالفعل أعلن نتياهو في ٢٢ يناير الماضي، استجابته للقرار، مع وعد لدرعي بأن يحصل على مكانة مؤثرة في الائتلاف بعيداً عن المناصب الوزارية.

الفلسطينيين والسيطرة على الأقصى والقدس والضفة الغربية، وحتى عدم المبالاة بسقوط السلطة الفلسطينية وانهايار ما تبقى من أوهام وشكليات بشأن مسار التسوية وحل الدولتين^(٣).

وعلى صعيد آخر يبدو أن الحكومة الجديدة غير عابئة بالمظاهرات والاضطرابات الداخلية، حيث استمرت اجتماعات اللجنة التشريعية في الكنيست في مناقشة القوانين والتشريعات المقترحة ضمن خطة "الإصلاح القضائي"، بما في ذلك مشروع قانون يمنع عزل رئيس الحكومة إلا عبر الكنيست وليس بفتوى من المحكمة العليا. يدرك نتنياهو أن اللعبة السياسية مع خصومه تكاد تكون صفرية، فالمعارضة تريد دفعه لتقديم تنازلات، وهو ما لن توافق عليه بعض أحزاب الائتلاف الحاكم، والتي قد يؤدي انسحاب أي منها من الائتلاف إلى سقوط الحكومة، لذلك من المستبعد أن تكون هناك أي تسوية سياسية حقيقية إلا لو تم التوافق بين نتنياهو وحلفائه على تقديم تنازلات محددة للمعارضة، ولأن التنازلات المحتملة ستكون في الغالب رمزية ولا تتضمن مطالب المعارضة الأساسية، فالصراع الحالي مرشح للاستمرار بينما المشكلات الحقيقية تزداد تأزماً^(٤).

٢- الشأن الفلسطيني تحت مظرة التطرف:

لا شك أن هذه الحكومة بالإضافة إلى ما تمثله من جانب ظلامي على الصعيد الإسرائيلي الداخلي، فإنها تعد الأكثر دمويةً وتطرفاً وفاشيةً تجاه الفلسطينيين، حتى أن عددًا من اتفاقاتها الائتلافية تضمنت بالتفصيل جملة من الإجراءات والسياسات العدوانية تجاه الأراضي المحتلة. فكان أول ما فعله وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش، بعد مرور عشرة أيام على

إن جنودًا في قوات الاحتياط الإسرائيلية بعثوا رسائل إلى قادتهم مفادها أنهم سيعصون الأوامر العسكرية لاستدعائهم للخدمة في حال نفذت الحكومة الإسرائيلية مساعيها لتشريع القوانين الرامية إلى إحداث تغييرات في الجهاز القضائي، وتقليص صلاحيات المحكمة العليا الإسرائيلية، وأوضحت الهيئة الحكومية أن الجنود ينتمون إلى وحدات قتالية مختارة ووحدات السايبر والاستخبارات، إضافة إلى مجندين في جهازي المخابرات: الداخلي (شاباك)، والموساد^(١).

وقد حدا هذا الوضع بالرئيس الإسرائيلي هرتسوغ للقول في كلمة له خلال لقاء طارئ عقده مع ١٠٠ رئيس سلطة محلية في إسرائيل: "نحن في أزمة تاريخية تهدد بتدميرنا من الداخل، نحن في واحدة من أصعب اللحظات التي مرت بها دولة إسرائيل... نعلم جميعًا في أعماقنا أن هذا خطر وطني كبير"، وأضاف: "الجيش الإسرائيلي هو جيشنا جميعًا، إنه يحمينا، إنه حيوي بالنسبة لنا، إنه مهم لنا... ونأمل بشدة أن يبقى الجيش خارج النقاش"^(٢).

يتضح جليًا مما سبق أن المشكلة الإسرائيلية الداخلية تتركز بالأساس في صعود قوى من أقصى اليمين الديني والقومي، وتحديدًا الصهيونية الدينية؛ وهي قوى صهيونية حركية غير معنية فقط بالشراكة الحكومية؛ وإنما بحسم هوية الكيان الإسرائيلي ومسارته الكبرى، خصوصًا في قضايا حساسة كان يتم عادةً تجاوزها أو القفز عنها من خلال بعض الصفقات والتوافقات؛ وهي قضايا مرتبطة بالعلاقة بين الدين والدولة وتزليل تطبيق التوراة على الحياة اليومية للمجتمع، وبالتشدد في تعريف اليهودي بحيث يخرج مئات الآلاف من الإسرائيليين من الاعتراف بكونهم يهودًا، وفيما يتعلق بشأن حسم الصراع مع

(٣) محسن محمد صالح، هل يتفجر الوضع الداخلي في الكيان الإسرائيلي؟، مصدر سابق.

(٤) سعيد عكاشة، احتجاجات إسرائيل: هل يمكن إسقاط نتنياهو عبر المظاهرات؟، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٤ مارس ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ١٧ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/nnLxY>

(١) أزمة بجيش الاحتلال.. جنود يهددون بالعصيان إذا نفذت حكومة نتنياهو خطتها لإصلاح القضاء، الجزيرة، ٣ مارس ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ٧

مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/Kp0U3>
(٢) الرئيس الإسرائيلي: نمر بأزمة تاريخية تهدد بتدميرنا من الداخل، الجزيرة، ٦ مارس ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ٧ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط

التالي: <https://cutt.us/aPBMo>

مستوطنات جديدة، ومنح وضع قانوني للبؤر الاستيطانية غير القانونية وفق القانون الإسرائيلي، والحكم في مسألة ملكية الأراضي واتخاذ القرارات بشأن ما إذا كان استيلاء المستوطنين اليهود على الأرض الفلسطينية جرى وفق القانون الإسرائيلي، وكذلك تلك الإدارة هي التي تقرر تنفيذ القانون بشأن هدم البناء غير المرخص. وتعود صلاحية القرارات في غالبية هذه القضايا إلى الحكومة الإسرائيلية، ولكن الإدارة المدنية والأقسام الخاصة بالاستيطان في وزارة الإسكان تؤدي دورًا خطيرًا في إعداد الاقتراحات وتنفيذها، ولديها صلاحيات كثيرة في قضايا لا تحتاج إلى قرار مجلس الوزراء.

ويُسهل كون سموتريتش وزيرًا للمالية كثيرًا في تسهيل تخصيص الميزانيات؛ ما يجعله يسيطر على العملية بأكملها. كما يُحدث وضعًا جديدًا وخطيرًا من الناحيتين الرسمية والفعلية، فهذا النقل لا يعني فقط ضم هذه المنطقة فعليًا إلى إسرائيل، وإنما أيضًا يفتح الباب على مصراعيه أمام تكثيف الاستيطان الإسرائيلي في الضفة المحتلة على نحو غير مسبوق. فسموتريتش هو من غلاة الدعاة إلى تكثيف الاستيطان في المنطقة (ج)، ولديه برنامج مفصل يدعو فيه إلى ضم هذه المنطقة إلى إسرائيل، وتكثيف الاستيطان اليهودي فيها وتوسيع المستوطنات القائمة وإقامة مستوطنات جديدة، ومنح وضع قانوني لعشرات البؤر الاستيطانية غير القانونية وفق القانون الإسرائيلي نفسه^(٣).

ومن ناحيةٍ أخرى، تشهد الضفة الغربية الآن الصراع الأشد مع الاحتلال، وقد زادت حدته باندلاع موجة عمليات المقاومة منذ مارس ٢٠٢٢، المرشحة للتصاعد مع تنصيب الحكومة الجديدة المتطرفة، والتي لم تتوانَ بدورها في إصدار التهديد والوعيد للفلسطينيين، واتفاق أقطابها على سن قانون الإعدام لمنفذي العمليات، واعتباره شرطًا لتمير موازنة ٢٠٢٣. كما احتل ملف الداخل المحتل أولوية متقدمة لدى الائتلاف

تسلمه منصبه الجديد، أن وقع مرسومًا يقضي بحجب ٤٠ مليون دولارًا من العائدات الضريبية المستحقة للسلطة الفلسطينية، معلنًا أنه: "طالما أن السلطة الفلسطينية تشجع الإرهاب وطالما أنها عدو، فليست لدي مصلحة في أن تستمر بالوجود". وفي خطوة استفزازية، قام وزير الأمن القومي إيتمار بن غفير بجولة في الحرم القدسي الشريف عقب تسلمه منصبه، بحماية من قوات الشرطة الإسرائيلية التي يتولى الإشراف عليها. كما أصدر بن غفير أمرًا بفرض قيود جديدة على السجناء الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، مستهدفًا بذلك مجموعة تحظى بدعمٍ واسع في المجتمع الفلسطيني. وتعهد سموتريتش وبن غفير باتخاذ مزيد من الخطوات لتوسيع المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية والتصدي للتطورات الوطنية الفلسطينية^(١).

وقد جرى وفق اتفاق الائتلاف الحكومي، نقل المسؤولية عن كل من الإدارة المدنية الإسرائيلية ومدنق أعمال الحكومة الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة من مسؤولية المؤسسة العسكرية إلى مسؤولية سموتريتش مباشرة. حيث تتمتع الإدارة المدنية بصلاحيات واسعة جدًا في كل ما يتعلق بالمنطقة التي يُطلق عليها منطقة (ج) وفق اتفاقية أوسلو، والتي تشكل نحو ثلثي مساحة الضفة الغربية المحتلة، ويستوطن فيها نحو ٤٠٠ ألف مستوطنًا ويعيش فيها نحو ٣٠٠ ألف فلسطيني. ويمتلك "مجلس التخطيط الأعلى" التابع للإدارة المدنية جميع الصلاحيات المتعلقة بالبنى التحتية والأراضي والتخطيط والبناء والكهرباء والطاقة والمياه والمواصلات وشق الطرق، والإعلان عن مناطق بأنها أراضٍ دولة والإعلان عن مناطق بأنها مناطق مغلقة^(٢).

ويأتي ضمن صلاحيات الإدارة المدنية وضع الخطط لتوسيع المستوطنات، وتوسيع مناطق نفوذها، ووضع الخطط لإقامة

إسرائيل، مصدر سابق، ص ٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٤.

وانظر: عدنان أبو عامر، تقدير موقف: قراءة في سياسات ومآلات حكومة

نتنياهو السادسة، مصدر سابق، ص ١٠.

(١) جايك والاس، على مشارف نقطة الغليان؟، مركز مالكوم كير- كارنيغي

للشرق الأوسط، ٢٣ يناير ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ١ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر

الرابط التالي: <https://cutt.us/DEOCU>

(٢) تقدير موقف، تداعيات تشكيل الحكومة الأكثر تطرفًا في تاريخ

خاتمة:

تعتبر حكومة نتنياهو هذه الحكومة الأشد تطرفاً في تاريخ إسرائيل. فمن ناحية، سوف تسعى هذه الحكومة إلى تكثيف الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية والقدس الشرقية المحتلة، بما في ذلك مواصلة الاستفزازات المدروسة الرامية إلى تطبيع وجود يهودي في الحرم الشريف، وزيادة منسوب سياسات القوة والبطش ضد الفلسطينيين في المناطق المحتلة في سنة ١٩٦٧ وفي داخل الخط الأخضر. ومن ناحية أخرى، ستمضي في سن القوانين التي تعيد صياغة حدود الديمقراطية الإسرائيلية بما يتلاءم مع قيم اليمين المتطرف واليمين الفاشي الإسرائيلي، وذلك بمحاربة البعد الليبرالي المتعلق بالحقوق والحريات. وهكذا يمثل تشكيل هذه الحكومة تحديات خطيرة على الصعد الفلسطيني والعربي والإسرائيلي والدولي كافة، وتعكس استمرار انزياح المجتمع الإسرائيلي بنخبه المختلفة نحو اليمين واليمين المتطرف والفاشي.

ومن غير الواضح حتى الآن إلى أي مدى سيمضي نتنياهو في إعادة صياغة حدود الديمقراطية الإسرائيلية وفي سن القوانين التي تُخضع عملياً السلطة القضائية للحكومة؛ تلك السلطة القضائية التي كانت دوماً منحازة إلى المشروع الصهيوني وقيمه بالطبع، غير أنها في نظر اليمين المتطرف والفاشي باتت منذ سنوات عائقاً ليبرالياً أمام فرض قيمه ورؤيته وبرامجه، سواء تلك المتعلقة بالمجتمع الإسرائيلي أو بالفلسطينيين.

الحكومي الجديد، بزعم أن فلسطيني ٤٨ يمثلون تهديداً ليهودية الدولة، خصوصاً بعد انخراطهم في أحداث هبة الكرامة في مايو ٢٠٢١، واحتجاجاتهم التي عمت مختلف المدن المحتلة، لا سيما اللد والرملة ويافا وعكا، وتصاعد التحريض ضدهم من قبل عتاة اليمين وأجهزة الأمن، مما دفع إيتمار بن غفير لمنح جهاز الأمن العام مسؤولية متابعة أوضاعهم الداخلية. بزعم محاربة الجريمة^(١).

ينذر ما سبق بتفجر الأوضاع الميدانية في الضفة الغربية، فتعيين سموتريتش وزيراً بوزارة الدفاع، وإشرافه على الإدارة المدنية بالضفة الغربية، وتسيير شؤون الاستيطان، نذير شؤم بتوسيعه في المستوطنات القائمة، وإنشاء أخرى جديدة، وشرعنة البؤر غير القانونية، وإمدادها بمشاريع البنى التحتية، لا سيما في المنطقة (ج)، التي تشكل ٦٠٪ من مساحة الضفة الغربية، وتخضع لسيطرة الاحتلال المدنية والأمنية معاً. وتتمثل الخطورة الأكبر على الفلسطينيين أنه سيجعل ضباط الجيش وجنوده ذي ولاءات أيديولوجية حزبية أكثر من خضوعهم لاعتبارات مهنية عسكرية بحتة، أي أنهم سيطلقون العنان لدمويتهم باستهداف الفلسطينيين، وهم على ثقة أن هناك في المستوى السياسي من سيدعمهم، ويمنحهم الغطاء اللازم^(٢). وقد بدت آثار هذه الدموية جلية في عدوان الجيش الإسرائيلي على نابلس وجنين، وفي المقابل رفع حدة العمليات النوعية التي تُنفذ داخل إسرائيل.

(٢) المصدر السابق، ص ١١.

(١) عدنان أبو عامر، تقدير موقف: قراءة في سياسات ومآلات حكومة نتنياهو السادسة، مصدر سابق، ص ١٠.

الصراع العالمي في الشرق الأقصى: المحركات، والاستراتيجيات

شيماء بهاء الدين*

باسيفيك) عامة؛ ويضم بحر الصين الجنوبي، وبحر الصين الشرقي، إضافة إلى تايوان ومضيق تايوان؛ الدولة التي كانت عبر التاريخ جزءاً من الصين، ولكن بحلول القرن العشرين جرت حرب أهلية بين القوميين والشيوعيين في الصين، وانتصر الشيوعيون وسيطروا على بكين بدعم من الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٩، بينما فر القوميون إلى تايوان وأعلنوا دولتهم الخاصة بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية^(١).

بناءً على ذلك، ينقسم التقرير إلى محورين: يتناول الأول السياق العالمي، وبروز الأهمية الاستراتيجية للشرق الأقصى في إطار متغيراته الراهنة. ويركز الثاني على اثنين من أبرز بؤر الصراع في الشرق الأقصى؛ هما بحر الصين الجنوبي، وتايوان، وكيف جاءت أبعاد المنازعات حولها انعكاساً لما سبق.

المحور الأول- السياق العالمي، وبروز الأهمية الاستراتيجية للشرق الأقصى:

ويتناول في هذا المحور كلامح السياق المحرك للسياسة العالمية باتجاه الشرق الأقصى، وما يتصل بذلك من وجوه أهمية استراتيجية لتلك المنطقة، وخريطة القوى المتصارعة فيها أو عليها.

أولاً- ملامح السياق العالمي:

مر النظام العالمي مؤخراً بمجموعة من المتغيرات التي لا بد من الوعي بها أولاً لنتمكن من الولوج إلى حقيقة ما يجري في عالم الشرق الأقصى في المرحلة الراهنة. نعم إن القضايا المثارة بتلك البقعة الجغرافية ليست بوليدة اليوم أو الأمس، ولكن لماذا تركيز الاتجاه إليها الآن؟ وما محاور هذا التركيز؟ ما صلة التطورات في الشرق الأقصى بالجدل حول هيكل النظام

مقدمة:

الصراع، ذلك المفهوم الذي تلبسته سياسات الدول منذ قرون مضت، وكأن لا خيار سواه، حتى وإن رُفعت رايات السلام. أينما وجدت المصالح (موارد، طرق،...) فليس سوى الصراع سبيلاً لإدارة دفة السياسات؛ حتمية أوجدتها القوى الكبرى. هذا في ظل مفاهيم تقليدية للأمن العالمي أو الإقليمي، وما كان لذلك من نتيجة غير إفراز تحالفات متضاربة متصارعة، وأنظمة إقليمية تحمل في جوفها بذور تفجرها.

وليس الوضع في الشرق الأقصى بخارج عن هذا: قوى إقليمية وعالمية تتصارع حول مناطق ذات أهمية جيوسياسية واقتصادية (كبحر الصين الجنوبي وتايوان)؛ وفي سبيل ذلك يستخدم السباق لامتلاك القوى النووية والتكنولوجية. وقد شُبه الأمر وكأننا إزاء حرب باردة جديدة (الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان وأستراليا في جانب، والصين وروسيا في جانب آخر، والكوريتان منقسمتان بينهما، وإن كان لا يعني ذلك عدم وجود حسابات متباينة داخل كل فريق). لكنها مظاهر حرب أو بؤر لها تعكس متغيرات النظام العالمي؛ سواء ما يتصل بهيكل النظام العالمي وبروز قوى متعددة، أو من حيث بروز فاعلين جدد (كيانات اقتصادية، وخاصة مالكة للتكنولوجيا)، أو فيما يتصل بالقضايا كما يتعلق أيضاً بالتكنولوجيا (لاسيما النووية) والأمن السبراني والذكاء الاصطناعي. ذلك دون أن يعني هذا اختفاء التنافس العسكري التقليدي، أو حتى انتفاء احتمالات المواجهات العسكرية المباشرة؛ سواء تعلق الأمر ببحر الصين الجنوبي أو تايوان أو غير ذلك من بؤر الصراع.

ويُطلق الشرق الأقصى على شرق آسيا وجنوب شرق آسيا، وما يطلق عليه عالم المحيط الهندي - الهادي (دائرة الهندو-

* باحثة بمركز الحضارة للدراسات والبحوث.

(١) هل يكون "الشرق الأقصى" ساحة الحرب الباردة الجديدة؟، المرصد، ٢٤ أبريل ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/m2TH5k>

الآسيوية الصاعدة الكبرى (الصين، والهند، واليابان)، وتعزيز دور الولايات المتحدة - من جانبٍ آخر - وحضورها العسكري في المحيط الهندي والسيطرة على ممراته ومضائقه الحرجة؛ باعتباره مفتاح السيطرة على آسيا والشرق الأوسط وشرق أفريقيا، ومنطلق التضيق على منافسها المحتملين^(٢).

ويعد التشدد تجاه الصين إحدى القضايا النادرة التي يتفق عليها سياسيو الحزبين الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة، خاصةً منذ وصول الرئيس شي جين بينغ للحكم، حيث تعمل بكين على تطوير قدرات عسكرية متقدمة تكنولوجياً في مختلف المجالات. وتقوم الاستراتيجية الأمريكية على تقوية تحالف متعدد الأطراف لمواجهة التهديدات الصينية من الحلفاء ذوي التفكير المتقارب في مناطق المحيطين الهندي والهادي^(٣)؛ تحالف تتعدد مساراته بين الاقتصادي والتكنولوجي، مع حضور واضح للبعد الأمني.

- هذا لاسيما مع عودة الحروب إلى بؤرة المشهد الدولي (الحرب الروسية الأوكرانية):

فربما كان اللجوء إلى المواجهات العسكرية المباشرة أمراً مستبعداً من التوقعات بشأن خيارات القوى الكبرى في وقتٍ ما، إلا أن اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية قد رفع من احتمالات اللجوء إلى الحرب تارةً أخرى، فنجد التساؤلات تتواتر حول حرب تدور رحاها في تايوان؛ خاصةً أن منطقة الشرق الأقصى قد باتت إحدى ساحات الضغط المتبادل بين الغرب من جانب وروسيا والصين من جانبٍ آخر، لا سيما أنه قد بات التحالف بين كل من روسيا والصين أقوى بهدف التضيق على الغرب أو مواجهة تضيق الغرب عليهما. الحرب الروسية-الأوكرانية لم تكن مُنْشِئَةً لهذا الاستقطاب، لكنها لعبت دوراً كبيراً في تعميقه وتأكيد أهمية "الإندوباسيفيك" مسرحاً مهمّاً للحركة الأمريكية

العالمي، وتوجهات السياسة الخارجية الأمريكية وأولوياتها الاستراتيجية في هذا الإطار؛ ماذا عن تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية (جاء جائحة كورونا، ثم الحرب الروسية-الأوكرانية)، وما رافقها من صراع الطاقة؟ وهل مثل سباق امتلاك التكنولوجيا محركاً للصراع؟ نتطرق للإجابات فيما يلي.

- الجدل حول هيكل النظام العالمي، وتوجهات السياسة الأمريكية وأولوياتها في المرحلة الراهنة:

شهدت السياقات الأكاديمية منذ سنوات جدلاً حول مستقبل هيكل النظام العالمي: هل الأحادية القطبية واقع لا مفر منه على الأقل في المرحلة الراهنة وأن ما نشهده من صعود لبعض القوى - وخاصةً الصين - مسألة محدودة الدلالة، أم إن العولمة فرضت أمراً آخر؛ حيث فتحت المجال لتعدد مصادر القوة وعدم اقتصرها على القوة العسكرية، كقوة الاقتصاد والقدرة على المنافسة، فضلاً عن امتلاك التكنولوجيا، وبالتالي صار الباب مفتوحاً لتعدد الأقطاب المتنافسة على المسرح العالمي؟ وهو واقع أدركته الولايات المتحدة جيداً، فحينما قرر الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب خفض التوتر في الشرق الأوسط، فهو في الوقت ذاته نقل اللعبة السياسية إلى الشرق الآسيوي؛ وذلك من أجل تطويق الصين؛ حيث رأى ترامب أنها آخر إمبراطورية شيوعية في العالم اليوم، ولكن الأمر لا يتعلق بالأيديولوجيا وحسب، فإن الصين كذلك بحوزتها اقتصاد وتكنولوجيا وفلسفة براجماتية^(١).

ومن ثم، يُقدر جانب من النخبة السياسية الأمريكية أن الصين تمثل أبرز المرشحين لخلافة الولايات المتحدة على الساحة العالمية. وتكمن المعضلة في تسارع وتيرة الصعود الصيني بالتزامن مع استنزاف القوة الأمريكية في السنوات الأخيرة. وفي سبيل الحيلولة دون حدوث مثل هذا السيناريو، يتوجب - من جانبٍ - العمل على تحقيق التوازن بين مثلث القوى

(١) المرجع السابق.

(٢) عائش عواس، تنافس القوى الدولية في المحيط الهندي وتأثيره على اليمن، مركز أبعاد للدراسات والبحوث، ٥ يونيو ٢٠١٣، متاح عبر الرابط

التالي: <https://2u.pw/1cnwKV>

(٣) محمد المنشاوي، حرب باردة صينية أمريكية لا يمكن تجنبها، الجزيرة، ٢١ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/VnRY7U>

في إطار الاستراتيجية الأمريكية لاحتواء الصين^(١).

- ذلك بالطبع مع عدم إغفال خطورة الأبعاد الاقتصادية:

فالأبعاد الاقتصادية التي أفرزتها الحرب الروسية - الأوكرانية، ومدى الاستعداد لتكرار الأمر، تطرح التساؤل: هل يحتمل العالم ذلك، وهل لدى القوى الكبرى الاستعداد الكافي لتحمل التكلفة؟ خاصةً أن الاقتصاد العالمي لم يكن قد تعافى بعد من تداعيات وباء كورونا (التي كانت محل صدام بين الولايات المتحدة والصين، حيث تحمل الولايات المتحدة الصين مسؤولية الوباء، وما نتج عنه من أزمة اقتصادية عالمية). نحن أمام أزمة اقتصادية محتدمة كان من أبرز سماتها الصراع بين القوى الاقتصادية الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة والصين. فضلاً عن الصراع لتأمين مصادر الطاقة؛ وهو واحد من أبرز عناوين الصراع في الشرق الأقصى - كما سيأتي.

- من أهم سمات الصراعات العالمية الراهنة أيضاً، الصراع حول امتلاك التكنولوجيا وما يتصل بالأمن السيبراني:

ذلك في ظل عودة المخاوف من استخدام الأسلحة النووية، لا سيما أن بعض التقنيات التكنولوجية الجديدة ذات استخدام مزدوج، ويمكن عبر تطبيقاتها تطوير الأسلحة النووية؛ وذلك مثل الأتمتة. تلك المخاوف التي تصاعدت مع تهديد روسيا باستخدام السلاح النووي في حربها على أوكرانيا، واقع تدركه الصين التي تعمل على توجيه استثمارات ضخمة لتطوير تقنياتها لتصبح نظيراً لروسيا والولايات المتحدة^(٢)، لا

سيما أن الولايات المتحدة تواجه عدة تحديات أهمها: تأخر عملية التحديث النووي. ولا شك أن ذلك يضعف الوضع الاستراتيجي لأمريكا في مناطق التنافس ومنها الشرق الأقصى^(٣).

ولا شك أن التنافس بين الولايات المتحدة والصين لامتلاك تقنيات الذكاء الاصطناعي يؤثر على تصوراتهما للأمن العالمي؛ ومن ثم الأمن الإقليمي للأقاليم محل التنافس - أو الصراع كما يقول واقع الحال - ومنها الشرق الأقصى. وتسير التوقعات باتجاه تفوق الصين على أمريكا في هذا المجال؛ نظراً لتدخل الدولة بشكل أقوى في الشركات المعنية^(٤).

ثانياً - الأهمية الاستراتيجية للشرق الأقصى، وخريطة القوى المتصارعة:

تتغير ديناميات الأمن في تلك المنطقة سريعاً، وهي لا تُعد موطناً للاقتصادات الأسرع نمواً في العالم فحسب، بل اليوم أيضاً الأسرع نمواً في الإنفاق العسكري والقدرات البحرية، وهي أشد منافس على الموارد الطبيعية، فضلاً عن السياق التكنولوجي، لا سيما في ضوء الارتباط مع السياق العالمي - على نحو ما أشير. وتقوم المنافسة الاستراتيجية في تلك المنطقة بين الصين من جانب (مع حضور روسي)، والولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة، خاصةً أستراليا واليابان والهند، إضافة إلى بريطانيا من جانب آخر^(٥).

وفيما يلي نتناول الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة بالنسبة للفاعلين الدوليين ذوي الصلة بمسارات تطوراتها المعقدة.

(٣) أحمد عليبة، التنافس الدولي وضرورات تحديث القدرات النووية الأمريكية، ملحق تحولات استراتيجية (العصر النووي الثالث)، السياسة الدولية، العدد ٢٣١، يناير ٢٠٢٣، ص ٧.

(٤) دنسيبة أشرف، الذكاء الاصطناعي والعلاقات الدولية... إطار مفاهيمي، ملحق اتجاهات نظرية، السياسة الدولية، العدد ٢٣١، يناير ٢٠٢٣، ص ٦.

(٥) براهما تشيلاني، تنافس جيوسياسي على الأمن العالمي، البيان، ٢٥ مارس ٢٠١٨، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/fDpUxk>

(١) محمد فايز فرحات، تكريس حالة اللابيقين حول تايوان: الحرب المحتملة القادمة في آسيا، ملف خاص بعنوان "عام على الحرب الروسية- الأوكرانية: تحولات ومسارات"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٥ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/tlHuNd>

(٢) عمرو عبد العاطي، عصر نووي ثالث... نحو سلام أم مزيد من الصراع الدولي؟، ملحق تحولات استراتيجية (العصر النووي الثالث)، السياسة الدولية، العدد ٢٣١، يناير ٢٠٢٣، ص ٣.

١- الولايات المتحدة وحلفاؤها:

الأقصى^(٤).

- بالنسبة إلى الولايات المتحدة:

- اليابان والتحول في السياسة الأمنية:

أقرت اليابان في ديسمبر ٢٠٢٢ مراجعة جذرية لسياستها الأمنية، في تحول كبير في سياستها الموجهة للدفاع حصرياً بموجب الدستور السلمي، بما في ذلك استراتيجية الأمن القومي، وتعهدت بالحصول على قدرات هجوم مضاد ومضاعفة الإنفاق الدفاعي تقريباً في غضون خمس سنوات^(٥). فبعد عقودٍ من ابتعاد اليابان عن العسكرة، أعلن رئيس الوزراء الياباني كيشيدا أن اليابان أجرت تحولاً في سياستها الأمنية^(٦)؛ وهذا لتزايد مخاوفها إزاء الصعود الصيني والنظام الكوري الشمالي. ويدور الخلاف الياباني مع الصين -وحليفها كوريا الشمالية- بشأن جزر تقع في بحر الصين الشرقي، يُطلق عليها سينكاكو في اليابان ودياويو في الصين، فضلاً عن تنامي التوترات بشأن مضيق تايوان^(٧). كذلك فإنّ ما تسمّيه اليابان "بحر اليابان"، تسمّيه كوريا "البحر الشرقي" تجريداً له من هويته اليابانية. هذا كما أنّ الثروات السمكية والطبيعية في الأعماق محل أطماع الدول الثلاث^(٨).

وفي هذا الإطار كان الاتجاه إلى توثيق التحالف الياباني مع الولايات المتحدة، على سبيل المثال، عُقدت في واشنطن في أبريل ٢٠٢١ قمة أمريكية يابانية ركزت على الأوضاع في شرق آسيا، وفي مقدمتها مواجهة تمدد النفوذ الصيني وقضايا مثل بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي، وكذلك الموقف من كوريا الشمالية. ومن أبرز دلالات هذه القمة قرار بايدن -المتمثل

فإن حرب أمريكا على الإرهاب، وتعاضم حجم قواتها العسكرية في آسيا الوسطى والخليج، وتصاعد وتيرة خلافها مع إيران منذ مطلع القرن الجاري قد ضاعفت من قيمة المحيط الهندي. هذا فضلاً عن كونه جسر الاتصال بين القيادة المركزية الأمريكية وقواتها الموجودة في تلك المناطق. وتجلت مظاهر هذا التوجه في الاستراتيجية العسكرية الأمريكية الصادرة عام ٢٠١٢، والتي نصت على إعادة نشر ٦٠٪ من إجمالي القوات البحرية الأمريكية في آسيا والمحيط الهادي بحلول عام ٢٠٢٠، وتعزيز وجودها العسكري في مدخله الشرقي (مضيق ملقا)^(٩).

من المحطات المهمة كذلك تبني إدارة ترامب استراتيجية الهندو-باسيفيك، وتنسيقها مع حلفاء الولايات المتحدة الرئيسيين هناك: اليابان وأستراليا والهند، وذلك في مواجهة الصين^(١٠). حيث أرسى ترامب تصوراً جديداً للإقليم ضمن ما عرف بمبادرة عام ٢٠١٧ لإنشاء "منطقة هندو-باسيفيك حرة ومفتوحة"؛ بما يمكن -بحسب الخطاب الأمريكي- لدول مستقلة وثقافات متنوعة أن تتعايش في حرية وسلام^(١١).

ورغم علاقة هانتر بايدين ابن الرئيس الأمريكي بالأوليغاركية الصينية، إلا أن عوامل التوتر لم تختف، وقد استمرت إدارة بايدين في الحفاظ على إرث ترامب فيما يتعلق بتحالف الحوار الأمني الرباعي، الذي يضم أمريكا وأستراليا إضافةً إلى الهند واليابان، لكي يصبح بصدد كتلة شرقية وأخرى غربية في الشرق

طوكيو على قدرات هجومية، بوابة الأهرام، ١٣ يناير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/Ccce2H>

(٦) كيشيدا وبايدين يؤكدان على تقوية الحلف والتعاون بين اليابان وأمريكا، البيان، ١٤ يناير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/lazDh0>

(٧) المرجع السابق.

(٨) محمد السماك، صراع الحلفاء: نقطة الضعف الأمريكية في الشرق الأقصى، أساس ميديا، ١٣ أكتوبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/zBBvQk>

(١) عائش عواس، تنافس القوى الدولية في المحيط الهندي وتأثيره على اليمن، مرجع سابق.

(٢) د.عبد القادر دندن، استراتيجية الصين في الصراع حول الهندو-باسيفيك، السياسة الدولية السياسة الدولية، العدد ٢٣١، يناير ٢٠٢٣، ص ٥٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٦.

(٤) هل يكون "الشرق الأقصى" ساحة الحرب الباردة الجديدة؟، مرجع سابق.

(٥) اليابان وأمريكا تبحثان توزيع الأدوار في تحالفهما الثنائي بعد حصول

الخطوات التأسيسية المبكرة، أنه في يناير ٢٠١٥، أدركت نيودلهي وواشنطن الأهمية المتزايدة للمجال البحري وأصدرتا رؤية مشتركة لـ "منطقة آسيا والمحيط الهادئ والمحيط الهندي". كما وقعت نيودلهي بيان رؤية مع اليابان تعترف لأول مرة بمنطقة المحيطين الهندي والهادئ كمنطقة تشمل المحيط الهندي^(٥).

- أستراليا:

على جانب، تتحرك أستراليا بأقصى سرعة للحصول على غواصات نووية بعد التقدم الكبير الذي أحرزته الصين، ونجاحها في الدفع بحدودها البحرية لأبعد مسافة، وبناء الجزر في بحر جنوب الصين، ثم الاهتمام المتزايد بالمحيط الهندي^(٦). على جانب آخر، تقع أستراليا في جنوب المحيط الهادئ وتعتبر أقرب نقطة من دول العالم الغربي إلى السواحل الصينية^(٧). ومن ثم، يُفسر الموقف الأمريكي الداعم لأستراليا في مواجهتها للصين، بالاعتماد الاستراتيجي المتبادل بين الجانبين، حيث إنه إذا استطاعت الصين كسر أستراليا، فتلك خطوة تجاه كسر القوة الأمريكية في آسيا، كما حققت أستراليا غايتها من خلال اتفاق "أوكوس"، كما سنرى^(٨).

٢- في المقابل، وفيما يمكن وصفه بكتلة شرقية أو محور صيني روسي:

- الصين:

رغم أنها لا تطل على المحيط الهندي إلا أن لديها تصميمًا

بدعوة رئيس وزراء اليابان ليكون ضيفه الأول- بما يعكس تجديد أولويته بشأن التحالفات الأمريكية لمواجهة الصين. ولا شك أن القمة كانت محل اعتراض الصين^(١). هذا وصولاً إلى اتفاق وزير الدفاع الياباني والأمريكي في يناير ٢٠٢٣ على "إجراء مناقشات مكثفة على وجه السرعة حول أدوار ومهام التحالف"؛ على أساس التعزيز الأساسي لقدرات الدفاع اليابانية، و"التشغيل الفعال لقدرات الضربات المضادة"، بما يتفق والاتجاه الياباني الجديد^(٢).

- وبشأن الهند:

تبنت نيودلهي استراتيجية المحيطين الهندي والهادئ لإدارة الصين الصاعدة في المنطقة مع تعزيز الشراكات بما يناسب المتغيرات^(٣)؛ حيث سمح غياب المنافسة الاستراتيجية في المحيط الهندي - في حقبة ما بعد الحرب الباردة- لنيودلهي ليس فقط بلعب دور بارز ولكن أيضاً ضمان المحيط الهندي الملائم والأمن لمصالحها الاستراتيجية. لكن صعود الصين أجبر الهند على مراجعة خيارات سياستها الخارجية^(٤).

ومما يجدر الانتباه إليه أنه على الرغم من أن نيودلهي كانت تضع نفسها لتتولى دوراً أمنياً أكثر وضوحاً واتساعاً، فإن أولويتها كانت منطقة المحيط الهندي المباشرة. ومع ذلك، فمع استمرار الصين في اتخاذ موقف اقتحامي بشأن قضية بحر الصين الجنوبي، ظهر جنوب شرق آسيا - وهو المسرح الثاني للمحيط الهندي في رسم الخرائط الاستراتيجية لنيودلهي - بوصفه نقطة رئيسية للمحادثات مع أستراليا واليابان والولايات المتحدة. ومن

(١) في قمة بواشنطن.. أميركا واليابان تتعهدان بمواجهة التمدد الصيني ويكين تندد، الجزيرة، ١٧ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/LedFUT>

(٢) اليابان وأمريكا تبحثان توزيع الأدوار في تحالفهما الثنائي بعد حصول طوكيو على قدرات هجومية، مرجع سابق.

(٣) د. جهاد عودة، الصراع الدولي في الشرق الأقصى.. الاحتياج الدولي للهند وخلق المجال الاستراتيجي الهادي الهندي، العرب للأبحاث والدراسات، ٢٧ أبريل ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي:

<https://cutt.us/2lDSt>

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) رؤوس نووية تسبح في المياه.. تعرّف على أكثر المحيطات ازدحاماً بالغواصات النووية، الجزيرة، ٢٢ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/NW5Q7g>

(٧) هل يكون "الشرق الأقصى" ساحة الحرب الباردة الجديدة؟، مرجع سابق.

(٨) د. عبد القادر دندن، استراتيجية الصين في الصراع حول الهندو-باسيفيك، مرجع سابق، ص ٦٨.

لمواجهة القطبية الأحادية والحماوية والتهريب^(٣). أيضًا من المؤشرات ذات الدلالة الدعم الصيني للموقف الروسي، في فبراير ٢٠٢٣، في عرقلة الصين لإصدار مجموعة العشرين بياناً يدين الحرب الروسية على أوكرانيا^(٤).

ثالثاً- أبعاد سياسات التكتلات الصراعية في الشرق الأقصى:

تنوعت أبعاد الصراع ما بين الأمني والعسكري إلى الاقتصادي، فضلاً عن الصراع على التفوق التكنولوجي، وقد تعددت المؤشرات، وفيما يلي سنذكر بعض الأمثلة بما يتناسب مع حجم التقرير:

١- على الصعيد الأمني والعسكري:

تبغي الولايات المتحدة طمأنة حلفائها، وتقديم نفسها حليفاً موثوقاً به، في وجه القوة العسكرية الصينية المتصاعدة. ومن أبرز المؤشرات: منتدى الحوار الأمني الرباعي (Quad): فعلت إدارة ترامب هذا المنتدى الذي كان قد ظهر للوجود من سنوات قبل ذلك، وهو منتدى غير رسمي يضم الولايات المتحدة الأمريكية، وأستراليا، واليابان، والهند، ويهتم بالقضايا الأمنية والسياسية ذات الاهتمام المشترك في منطقة الهندو-باسيفيك، وخاصة ما تعلق بالصعود الصيني. وفي ٢٤ مايو ٢٠٢٢، عقدت الدول الأربع اجتماعاً في طوكيو، على هامش الزيارة الآسيوية للرئيس الأمريكي بايدن، وذلك في وقتٍ حساسٍ من الحرب الروسية الأوكرانية، ما اعتُبر محاولة أمريكية لصف صفوف حلفائها لمواجهة التهديدات الصينية لاسيما في ظل التقارب مع روسيا^(٥).

(٣) الصين وروسيا.. شراكة ضد «القطب الواحد»، البيان، ٣١ ديسمبر

٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/hXIAU5>

(٤) الصين تعرقل التوصل لاتفاق حول أوكرانيا في مجموعة العشرين، دي دبليو، ٢٥ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/PGmQVK>

(٥) د.عبد القادر دندن، استراتيجية الصين في الصراع حول الهندو-باسيفيك، مرجع سابق، ص ٦٧.

استراتيجياً لتوسيع نطاق عمل قواتها البحرية إلى مياه المحيط وشرطانه؛ لاعتبارات اقتصادية وجيوستراتيجية. اقتصادياً؛ لحماية المسارات البحرية التي تسلكها السفن الصينية المحملة بالنفط أثناء رحلة العودة من الخارج. وعلى المستوى الجيوستراتيجي، تطمح الصين إلى إظهار نفسها بوصفها دولة بحرية عظمى، ولعاباً فعالاً في الساحة الدولية، ويتطلب تحقيق ذلك الوجود بكثافة في المحيط الهندي؛ إذ يمثل المنطقة التي تربط بين آسيا وأفريقيا. ومن ثم، انخرطت الصين في تنفيذ مشروعها الاستراتيجي الذي يرمي لنشر أسطولها الحربي على قواعد تمتد من جزيرة هينان في بحر الصين الجنوبي حتى مضيق هرمز^(١).

- أما روسيا:

فرغم تخوف موسكو من تنامي السيطرة الصينية في الشرق، إلا أن استراتيجية الولايات المتحدة المسماة "الانعطاف نحو آسيا" في عهد أوباما، وتزامن هذا الانعطاف مع تزايد قلق روسيا بشأن شرقها الأقصى، دفع الأخيرة إلى تعزيز وجودها السياسي والاقتصادي والعسكري في المنطقة، والتقارب مع الصين^(٢). ذلك وصولاً إلى الحرب الروسية الأوكرانية، وتوظيف تلك المنطقة في مواجهة مع الغرب، والاحتياج إلى الصين في غمار حرب الطاقة. وقد عبر الجانبان -الصيني والروسي- عن أهدافهما المشتركة في لقاء عبر الفيديو بين الرئيسين الروسي فلاديمير بوتين، والصيني شي جين بينغ، في ديسمبر ٢٠٢٢، فتحدث بوتين عن «استفزازات الغرب» وضرورة إقامة نظام دولي عادل، فيما ركز جين بينغ على شراكة شاملة مع روسيا

(١) انظر التالي:

- عائش عواس، تنافس القوى الدولية في المحيط الهندي وتأثيره على اليمن، مرجع سابق.

- خبراء: هكذا هيمنت الصين على بحر الصين الجنوبي خلال ١٠ سنوات، الشرق، ١٢ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/flRuUw>

(٢) زحف صيني نحو الشرق الأقصى الروسي، الخليج، ١٨ أكتوبر ٢٠١٣،

متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/Q8MWHK>

بنوك البلدين^(٣). كما افتتح الجانبان في يونيو ٢٠٢٢ جسراً جديداً عبر الحدود في منطقة الشرق الأقصى، لتعزيز العلاقات التجارية بينهما، مع سعي موسكو للتخفيف من أضرار العقوبات الغربية المفروضة عليها بسبب غزو أوكرانيا.^(٤)

ومن أبرز المؤشرات في التكتل المقابل، إطار العمل الاقتصادي لمنطقة الهندو-باسيفيك من أجل الازدهار، والذي أعلنه بايدن في زيارته لليابان مايو ٢٠٢٢، ويضم ١٣ دولة منها: الولايات المتحدة، واليابان وأستراليا والهند وكوريا الجنوبية وماليزيا^(٥).

هذا، علماً أن طغيان التوجه الصراعي من شأنه إفساد الكثير، فقد كان هناك مشروع لشق نفق تحت البحر يربط كوريا باليابان مماثل لنفق بحر المانش الذي يربط بريطانيا بفرنسا. وقد تعهدت اليابان بإنشائه على نفقتها الكاملة، ووافقت الصين على المشروع، غير أن تفجّر الصراعات حول الجزر حال دون تنفيذ المشروع^(٦).

٣- الحرب التكنولوجية

تمثل الحرب التكنولوجية واحدة من أبرز ساحات الصراع؛ حيث إن الولايات المتحدة تعمل على قطع الطريق أمام الصين للوصول إلى القدرات الأمريكية^(٧). في هذا الإطار، جاءت عقوبات إدارة ترامب على شركة هواوي الصينية وغيرها من كبريات شركات التكنولوجيا الصينية^(٨). وقد طالبت الصين بضرورة

<https://2u.pw/D5BiRC>

(٥) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٦) محمد السماك، صراع الحلفاء: نقطة الضعف الأمريكية في الشرق الأقصى، مرجع سابق.

(٧) الرقائق الإلكترونية محور حرب بين الصين وأمريكا فما أبعادها؟، بي بي سي، ١٧ ديسمبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/GvsLH7>

(٨) بايدين يعمق مصاعب التكنولوجيا الصينية باستهداف سلاسل التوريد لأشباه الموصلات، الجزيرة، ٦ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/UuRnr5>

على الجانب المقابل، "إدراكاً منها لنية خصومها في محاصرتها في المنطقة، عملت الدبلوماسية الصينية على توسيع علاقاتها نحو جنوب المحيط الهادي؛ حيث تقبع مجموعة من الدول الجزرية التي أخرجتها استراتيجية الهندو-باسيفيك من عزلتها الجغرافية. وقد ثار الجدل نتيجة تسريب معلومات عن تقارب صيني مع جزر سليمان في إطار اتفاق أمني موسع. وعلى الرغم من الغموض الذي اكتنف الوثيقة المسربة في أبريل عام ٢٠٢٢، فقد حذرت واشنطن من أنها سترد إذا قدمت بكين على إقامة قاعدة عسكرية هناك^(١).

كما طورت الصين قواتها العسكرية في إطار مشروع التحديثات الأربعة وخاصة القوات البحرية، بالنظر إلى انفتاح بكين على مسطحات مائية واسعة في المحيط الهادي وما يتضمنه من بحار حيوية لها، مثل بحري الصين الشرقي والجنوبي، وامتداد مصالحها إلى مياه المحيط الهندي كذلك^(٢).

٢- التنافس الاقتصادي:

كان أبرز المحركات لهذا التنافس: إطلاق الصين مشروع طريق الحرير، ويهتم بخطوط المواصلات البحرية التي تستعملها الصين لنقل وارداتها من مصادر الطاقة، وتوزيع سلعتها التجارية، وأهمها مضيق ملقا. وهناك منتدى أعمال "التعاون الروسي-الصيني في العصر الجديد"، الذي ناقش في سبتمبر ٢٠٢٢ على هامش المنتدى الاقتصادي الشرقي السابع، العمل على تعزيز التعاون في منصات التجارة الإلكترونية والنقل والخدمات اللوجيستية، وتسهيل المدفوعات عبر الحدود بين

(١) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٠.

(٣) الصين وروسيا تناقشان فرص الأعمال ضمن منتدى الشرق الأقصى، البلد، ٨ سبتمبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/olxRYN>

(٤) انظر التالي:

- الصين تعلن رغبتها في مواصلة دعم روسيا بقضايا "السيادة والأمن"، الشرق، ١٥ يونيو ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/Hm4HTo>

- افتتاح جسر عبر الحدود بين روسيا والصين مع سعي البلدين لتعزيز العلاقات، يورونيوز، ١٠ يونيو ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي:

على زيادة حجم التجارة في قطاع الطاقة بالعملات الوطنية. ومما تجدر الإشارة إليه أن شركتي "غازبروم" الروسية و"CNPC" الصينية اتفقتا على تحويل مدفوعات إمدادات الغاز عبر خط "قوة سيبيريا" إلى الصين بالروبل واليوان^(٥). علاوة على ذلك، تعتمز بكين توسيع محطات معالجة الغاز الطبيعي المسال لديها، من خلال إضافة ٣٤ محطة جديدة بحلول عام ٢٠٣٥^(٦).

• الأوكوس: أبرز تجليات الصراع:

أطلقت الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا، في سبتمبر ٢٠٢١ شراكة أمنية في منطقة الهندو-باسيفيك تحت اسم "أوكوس"، ولا شك كان ذلك محل انتقاد الصين التي وصفتها بعقلية الحرب الباردة وطالبت الدول الثلاث بالابتعاد عن التحيز الأيديولوجي^(٧).

وفيما يتعلق بدلالة التوقيت، فقد جاء اتفاق "أوكوس" الأمني في الوقت المناسب لكل من لندن وواشنطن، فكلاهما يحاول الخروج من مرحلة حرجة في تاريخه: إرث ترامب في أمريكا، وارتدادات خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي (البريكست)^(٨)؛ إذ يمكنها الاتفاق من العودة للمحيط الهادي بقوة أكبر^(٩). أما أستراليا، فقد قدمت لها فرصة لتكون واحدة من ٧ دول تحوز غواصات نووية، وحققت لها مزايا استراتيجية على المدى الطويل^(١٠).

التالي: <https://2u.pw/xdMhor>

(٦) هل تستوعب الصين فائض إمدادات الغاز الروسي؟، مرجع سابق.

(٧) لمواجهة نفوذ الصين.. إعلان شراكة عسكرية جديدة بين أميركا وبريطانيا وأستراليا، الجزيرة، ١٦ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/wyHj99>

(٨) أيوب الريبي، شركاء حروب الشرق الأوسط.. هل ينتقل الحلف الأميركي البريطاني لمواجهة العدو في الشرق الأقصى؟، الجزيرة، ١٠ يونيو

٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/XoCGBW>

(٩) رؤوس نووية تسبح في المياه.. تعرّف على أكثر المحيطات ازدحاما بالغواصات النووية، مرجع سابق.

(10) The AUKUS Nuclear-Powered Submarine Pathway, Australian Government Defence, available at:

وقف الإدارة الأمريكية "القمع غير المبرر" ضد شركة هواوي^(١١).

وعلى المسار نفسه، ركزت وثيقة "التوجيه الإستراتيجي المؤقت لإستراتيجية الأمن القومي"، والتي أصدرتها إدارة بايدن في مارس ٢٠٢١، على التحدي الصيني المتزايد في المجالين العسكري والتكنولوجي^(١٢). ومن ثم كثفت الولايات المتحدة جهودها لإعاقة تقدم الصين في صناعة الرقائق الإلكترونية. ففي أكتوبر ٢٠٢٢ أعلنت واشنطن عن بعض من قيود التصدير بحيث باتت الشركات التي تنوي تصدير هذه الرقائق إلى الصين ملزمة بالحصول على تراخيص تصدير. في المقابل، قدمت الصين شكوى ضد الولايات المتحدة إلى منظمة التجارة العالمية بشأن ضوابط تصدير أشباه الموصلات وتكنولوجيا أخرى ذات الصلة^(١٣).

٤- الصراع حول الطاقة:

أدت الحرب الروسية الأوكرانية إلى حرب طاقة غير مسبقة بين روسيا والقوى الغربية. فقد فرضت الدول الأوروبية العديد من العقوبات على روسيا، واتجهت روسيا، التي تعتمد بشكل كبير على أوروبا في صادرات الغاز الطبيعي؛ للتعويض عبر الصين^(١٤). وقد أعلن نائب رئيس الوزراء الروسي ألكسندر نوفاك، في نوفمبر ٢٠٢٢ عمل كل من روسيا والصين لتوقيع اتفاقية بشأن "طريق الشرق الأقصى" لإمداد الأسواق الصينية بالغاز عن طريق الشرق الأقصى، وأن موسكو وبكين تعملان

(١١) تصعيد مقلق.. الولايات المتحدة تقطع الإمدادات عن هواوي والصين ترد، الجزيرة، ١٧ مايو ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/hXMRdi>

(١٢) بايدن يعمق مصاعب التكنولوجيا الصينية باستهداف سلاسل التوريد لأشياء الموصلات، مرجع سابق.

(١٣) الرقائق الإلكترونية محور حرب بين الصين وأمريكا فما أبعادها؟، مرجع سابق.

(١٤) هل تستوعب الصين فائض إمدادات الغاز الروسي؟ (تقرير)، وكالة أنباء الأناضول، ١٨ ديسمبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/caB2iM>

(١٥) الدولار خارج التعاملات: اتفاق للطاقة بين روسيا والصين عبر "طريق الشرق الأقصى"، جمهورية أونلاين، ١٨ نوفمبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط

من الدولارات تم توقيعه عام ٢٠١٦ مع فرنسا لغواصات تعمل بالديزل والكهرباء، مما تسبب في استدعاء الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في ١٧ سبتمبر ٢٠٢١ سفيري بلاده في كل من واشنطن وكانبيرا للتشاور^(٨).

واتصالاً بمسار "أوكوس"، في نوفمبر ٢٠٢١، طبقت قوات الدفاع الذاتي اليابانية (SDF) مشاريع القوانين الأمنية لعام ٢٠١٥، والتي تسمح بأشكال محدودة من الدفاع الجماعي عن النفس، لحماية الأصول العسكرية الأسترالية خلال تمرين مشترك^(٩).

كما تم توقيع اتفاقية الوصول المتبادل بين اليابان وأستراليا (RAA)، في يناير ٢٠٢٢، وقد وصفها رئيس الوزراء الياباني كيشيدا بأنها "اختراق"^(١٠). وتعتبر الاتفاقية أمراً محورياً لمزيد من التعاون الاستراتيجي بين اليابان وأستراليا؛ حيث تمكّن RAA اليابان وأستراليا من تعزيز قدراتهما على عرض الطاقة. لكن من مواطن الضعف عدم امتلاك اليابان وأستراليا الأصول العسكرية للحفاظ على انتشار طويل الأجل في الخارج^(١١). إلا أنه من المنتظر أن تتغير الأمور مع التحول في السياسة الأمنية اليابانية.

وفي أكتوبر ٢٠٢٢، وقع رئيسا الوزراء الياباني والأسترالي، اتفاقاً أمنياً لتجديد اتفاقية أبرمت قبل ١٥ عاماً عندما كان

يرحب بدور أوروبي، الجزيرة، ١٦ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/XOqh6x>

(٧) فايننشال تايمز: اتفاق "أوكوس" يثير أسئلة مربكة ويؤجج التوتر مع الصين، مرجع سابق.

(٨) شهبها بسقوط جدار برلين.. إيكونوميست: الارتدادات الإستراتيجية لصفقة أوكوس ستكون كبيرة ودائمة، مرجع سابق.

(٩) د.جهد عودة، الصراع الدولي في الشرق الأقصى: بزوغ أوكس بلس والتحالف الدفاعي الأسترالي الياباني، ٢٣ أبريل ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/kGcHfb>

(١٠) المرجع السابق.

ومن أبرز المحطات للتعاون الدفاعي الثنائي الإعلان المشترك بين اليابان وأستراليا لعام ٢٠٠٧ بشأن التعاون الأمني.

(١١) المرجع السابق.

وحول الأهداف المعلنة للاتفاق، فقد أوضح كل من بايدن ورئيس الوزراء البريطاني جونسون: أن المبادرة ستمكن الدول الثلاث من الحصول على أحدث القدرات للمناورة وصد التهديدات سريعة التطور، للحفاظ على الأمن والاستقرار في منطقة المحيطين الهندي والهادي^(١)، كما أن هذه التحركات - كما أعلن- هي لمواجهة تهديد قيم الغرب من ديمقراطية وحرية تعبير. أما العدو الجديد هذه المرة فهو الصين، لينتقل مركز الصراع-بهذا- نحو الشرق الأقصى^(٢).

أما المضمون، فتشمل الاتفاقية نطاقاً واسعاً من التعاون في المجالات الدبلوماسية والتكنولوجية بين الدول الثلاث^(٣). ولكن أهم ما جاء بها: الالتزام بتزويد أستراليا بتكنولوجيا وقدرات تمكّنها من نشر غواصات تعمل بالطاقة النووية^(٤).

تلك الصفقة التي تعود بالفائدة على الدول الثلاث، لكنها-في المقابل- ستؤدي إلى زيادة حدة التوتر المتصاعد بينها وبين الصين^(٥) (التي اعتبرت أن الاتفاق من شأنه أن يزيد سباق التسلح، ويقوض معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية)^(٦). حيث تأتي في إطار تصدي أمريكا للتهديد الذي تشكله الغواصات النووية التي تنشرها بكين في النقاط الإستراتيجية الساخنة وطرق التجارة الرئيسية في المحيطين الهندي والهادي^(٧). كما قد تسببت الصفقة في قيام أستراليا بإلغاء عقد بعشرات المليارات

<https://2u.pw/XW8kTK>

(١) لمواجهة نفوذ الصين.. إعلان شراكة عسكرية جديدة بين أميركا وبريطانيا وأستراليا، مرجع سابق.

(٢) أيوب الربيعي، شركاء حروب الشرق الأوسط، مرجع سابق.

(٣) شهبها بسقوط جدار برلين.. إيكونوميست: الارتدادات الإستراتيجية لصفقة أوكوس ستكون كبيرة ودائمة، الجزيرة، ٢٠ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/IEbgOe>

(٤) لمواجهة نفوذ الصين.. إعلان شراكة عسكرية جديدة بين أميركا وبريطانيا وأستراليا، مرجع سابق.

(٥) فايننشال تايمز: اتفاق "أوكوس" يثير أسئلة مربكة ويؤجج التوتر مع الصين، الجزيرة، ١٨ سبتمبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/TdJ823>

(٦) اتفاق "أوكوس" مع أستراليا.. الصين تعتبره تهديداً للاستقرار وبلينكن

يقع بحر الصين الجنوبي في جنوب شرق آسيا ممتدًا من مضيق ملقا في الجنوب الغربي لمضيق تايوان في الشمال الشرقي^(٣)، من الناحية الاقتصادية، يمتاز بحر الصين الجنوبي بثرائه بالثروات الطبيعية، حيث يخزن ما يقدر بـ ١١ مليار برميل من النفط، و ١٩٠ تريليون قدم من الغاز الطبيعي^(٤). ومن ثم، هو نطاق جغرافي مهم لطرق المواصلات البحرية التي تتميز بكثافة النشاط التجاري، وكثافة السكان للدول المشاطئة؛ ومنها (تايلاند، فلبين، الصين، إندونيسيا، كمبوديا، سنغافورة، بروناي، ماليزيا)^(٥).

وتعد الاستراتيجية الأمريكية بحر الصين الجنوبي عماد الملاحة البحرية للأساطيل التجارية والعسكرية، ولذلك يطلق عليه الخبراء الأمريكيون اسم "البحر المركزي". أما اليابان، فيُعد الأمن البحري بالنسبة لها أولوية في استراتيجيتها تجاه بحر الصين الجنوبي، خاصةً أمن خطوط المواصلات البحرية التي تمر بها معظم صادراتها السلعية و وارداتها من الطاقة^(٦).

وقد تبنت البحرية الصينية استراتيجية الدفاع الفعال عن المناطق البحرية البعيدة نسبيًا عن الشواطئ. بالإضافة إلى اتباع استراتيجية توسعية تدريجية في بحر الصين الجنوبي، فبدأت الصين في إظهار قوتها العسكرية من خلال تطوير الطائرات ذات القواعد العسكرية لجيش التحرير الصيني^(٧).

وقد تصاعدت حدة التوتر بشأن النزاعات الإقليمية في بحر الصين الجنوبي، حيث قامت بكين ببناء مواقع عسكرية في عدة جزر صغيرة مستصلحة، كما لا تتوقف الصين عن القيام بهجمات سيبرانية ضد مصالح ومؤسسات أمريكية، وتربص

(٤) محمد غروي، هل تحسم إندونيسيا "الطويلة النفس" صراع بحر الصين؟، اندبندنت العربية، ١١ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/sk7QCR>

(٥) آمال صبيحي خليفه، الصراع في بحر الصين الجنوبي، مرجع سابق.

(٦) د.عبد القادر دندن، استراتيجية الصين في الصراع حول الهندو-باسيفيك، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٧) آمال صبيحي خليفه، الصراع في بحر الصين الجنوبي، مرجع سابق.

الإرهاب وانتشار الأسلحة أكبر مصدرين للقلق. إلا أن تلك المرة كانت موجة ضد الصين؛ إذ صرح رئيس الوزراء الأسترالي أن هذا النص "التاريخي يوجه إشارة قوية إلى المنطقة بشأن تحالفنا الاستراتيجي"^(١).

بيد أن هناك تساؤلات تلقي بظلالها على "أوكوس"؛ من ضمنها الشكوك المتعلقة بمدى استعداد بريطانيا وأستراليا لقبول العواقب التجارية والإستراتيجية المترتبة على استعداد الصين التي ترى في الاتفاقية الجديدة تهديدًا واضحًا لها. كما أن إثارة حنق فرنسا ستكون له تداعيات سلبية على كل من الولايات المتحدة وبريطانيا، خاصة فيما يتعلق بمواجهة الخطر الروسي.

ويمثل الموقف الأوروبي برمته علامة استفهام، فقد صرح المتحدث باسم الاتحاد الأوروبي بيتر ستانو أن الاتحاد لم يبلغ مسبقًا بالشراكة العسكرية الجديدة بين الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا. ورغم تصريح بليكن حينها إن الولايات المتحدة ترحب بأن تلعب دول أوروبية دورا هاما في منطقة المحيطين الهندي والهادي^(٢). إلا أنه يبدو أن هناك عدم اكتراث أمريكي بالدور الأوروبي، وهو لا شك أمر يضعف الموقف الغربي عامة في مواجهة المتجددة مع الصين وروسيا.

المحور الثاني- أبرز بؤر الصراع في الشرق الأقصى:

يتم التركيز في هذا المحور على الأوضاع في كلٍ من بحر الصين الجنوبي وتايوان.

أولا- بحر الصين الجنوبي:

يملك بحر الصين الجنوبي أهمية مركبة؛ فجيواستراتيجيًا،

(١) "اتفاق عسكري" بين اليابان وأستراليا لمواجهة "صعود" الصين، الشرق، ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/O47xJg>

(٢) اتفاق "أوكوس" مع أستراليا.. الصين تعتبره تهديدًا للاستقرار وبلينكن يرحب بدور أوروبي، مرجع سابق.

(٣) آمال صبيحي خليفه، الصراع في بحر الصين الجنوبي... ومستقبل الهيمنة العالمية، المركز الديمقراطي العربي، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/Nz5g8u>

الولايات المتحدة، لدعم اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، ودعماً لهيئة التحكيم التي نظرت في القضية التي رفعتها الفلبين ضد الصين^(٦). كما أعلنت الولايات المتحدة واليابان والهند وأستراليا (مجموعة كواد)، في مارس ٢٠٢٣ عن المخاوف في شأن الانتشار العسكري في المياه المحيطة بالصين، والتأكيد على "أهمية احترام القانون الدولي" في بحري الصين الشرقي والجنوبي^(٧).

على الجانب المقابل، مننت الصين التعاون مع روسيا في محيط بحر الصين الجنوبي (بما يحقق لكل منهما أهدافه)، فبينما حاولت شركات الطاقة الغربية تجنب المواجهة مع الصين، وغالباً ما تراجع عن الاستثمارات في المناطق المتنازع عليها، سعى النظراء الروس إلى سد أية فجوات استثمارية. وفي ظل حرصها على إبقاء موسكو في صفها، بخاصة في خضم المواجهة مع الحلف الأمريكي، تسامحت بكين إلى حد كبير مع حليفها الاستراتيجي في ساحتها البحرية الخلفية^(٨).

ونتيجة حرب أوكرانيا وما تلاها من تحويل روسيا إلى أكثر دول العالم تعرضاً للعقوبات، فإن الحرب قد تعيد تشكيل الموازين الاستراتيجية في منطقة جنوب شرقي آسيا. فالعزلة الجديدة لروسيا لا تعني فقط تقليصاً استراتيجياً في جنوب شرقي آسيا، ولكن أيضاً زيادة الاعتماد على الصين. وهنا بدأت تشعر دول رابطة جنوب شرقي آسيا بالقلق بشأن الآثار المترتبة على بحر الصين الجنوبي. حيث محاولة روسيا أحادية الجانب لتغيير الوضع الراهن تتداخل مع تحركات الصين في بحر الصين

أساطيلها العسكرية بسفن صيد الدول المجاورة لها في بحر جنوب الصين، مثل الفلبين وفيتنام وإندونيسيا^(٩).

الأمر الذي دفع السياسة الأمريكية لتبني استراتيجية لعرقلة نمو وتنمية الصين من خلال استفزازها بالتواجد في مضيق تايوان^(١٠). وتنفذ الولايات المتحدة بانتظام ما تسميه عمليات ضمان حرية الملاحة في بحر الصين الجنوبي، متحدياً ما تصفه أنه قيود على المرور تفرضها الصين. وقد أعلنت بكين في يوليو ٢٠٢٢ أن جيشها "أبعد" مدمرة أمريكية أبحرت في القرب من جزر باراسيل المتنازع عليها في بحر الصين الجنوبي^(١١). كما قد حلفت طائرة أمريكية فوق بحر الصين الجنوبي وتم اعتراضها من قبل طائرة مقاتلة صينية كانت جاهزة للمواجهة وذلك في ٢٥ فبراير ٢٠٢٣، حيث اعتبرت الصين تلك الحادثة انتهاكاً لسيادتها^(١٢).

ونجد التوقعات بشأن النزاع في بحر الصين الجنوبي ترجح استمرار الوضع على ما هو عليه في وعدم تطور الصراع إلى حالة من الحرب الشاملة. فعلى الرغم من التحركات الصينية إلا أن الولايات المتحدة وحلفاءها يواجهون تلك التحركات بشكل متوازن، لاسيما أنه في حالة حدوث صراع عنيف في المنطقة ستكون الغلبة للصين بسبب مركز انتشار القواعد العسكرية في الجزر وخاصة الجزر الصناعية^(١٣).

وفي هذا السياق حرصت الولايات المتحدة على تحقيق توازن عبر التنسيق مع الحلفاء، فكانت قد قدمت أستراليا في يوليو ٢٠٢٠، مذكرة إلى لجنة حدود الجرف القاري، تماشياً مع موقف

(٦) إميل أمين، بين واشنطن وبكين غيوم تتكثف فوق بحر الصين الجنوبي، اندبندنت عربية، ٦ أغسطس ٢٠٢٠، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/P55CRS>

(٧) مجموعة "كواد" متخوفة حيال الانتشار العسكري في بحر الصين، اندبندنت عربية، ٣ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/EDQ6A8>

(٨) إنجي مجدي، بحر الصين الجنوبي... معركة قديمة عززت احتمالاتها حرب أوكرانيا، اندبندنت عربية، ٢٥ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/JDtxTZ>

(٩) محمد المنشاوي، حرب باردة صينية أمريكية لا يمكن تجنبها، مرجع سابق.

(١٠) آمال صبيحي خليفه، الصراع في بحر الصين الجنوبي... ومستقبل الهيمنة العالمية، مرجع سابق.

(١١) بكين تعلن إبعاد مدمرة أمريكية من بحر الصين الجنوبي، اندبندنت عربية، ١٣ يوليو ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/lxPQft>

(١٢) آمال صبيحي خليفه، الصراع في بحر الصين الجنوبي... ومستقبل الهيمنة العالمية، مرجع سابق.

(١٣) المرجع السابق.

الجنوبي^(١).

اليابان^(٣). أيضاً الولايات المتحدة تؤسس علاقتها مع تايوان باعتبارها ديمقراطية وقوة تكنولوجية صاعدة، وبالتالي هي شريك أساسي بالشرق الأقصى^(٤).

كما أن التعامل الأمريكي مع قضية تايوان يُعد كاشفاً لمدى مصداقية استراتيجية إدارة بايدن الجديدة المتمركزة حول نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم. فأى تحرك عسكري صيني ضد تايوان سيضع إدارة بايدن على المحك^(٥).

أما على الصعيد الصيني، فلدى الصين اهتمام بالغ بخصوص تايوان، ليس فقط للجذور التاريخية التي تربط تايوان بالصين ولكن بالطبع نظراً لموقعها الجيوسياسي والاستراتيجي في بحر الصين الجنوبي، والذي يؤثر في الأمن القومي والسيادة الصينية في تلك المنطقة^(٦). ومن ثم، فقد أكد الرئيس الصيني شي جين بينج مراراً، في السنوات الأخيرة، على أن إعادة دمج تايوان تحت حكم الصين أمر "لا مفر منه" ويجب تحقيقه "بكل الوسائل الضرورية" بما في ذلك استخدام القوة العسكرية. في المقابل، أكدت إدارة بايدن على أن التزامها تجاه استقلال تايوان "ثابت كالصخر"، وأنها "لن تتخلى عن تايوان" في أي محاولة لإعادة تحسين العلاقات مع الصين^(٧).

ومن مؤشرات التصعيد الأمريكي إزاء الصين فيما يخص تايوان، يمكن الإشارة إلى بعض الخطوات التصعيدية في عهد ترامب، مثل أنه في ديسمبر ٢٠١٨ وقع قانون الدفاع الوطني الذي يسمح للبنتاجون بإرسال سفن حربية إلى تايوان، فضلاً عن زيارة رئيسة تايوان الولايات المتحدة. وفي ٢٠١٩ أقر

ومما تجدر الإشارة إليه قيام جمهورية إندونيسيا في إطار رئاستها رابطة دول "آسيان"، بمساعٍ دبلوماسية للتخفيف من حدة الصراع والتوصل لاتفاق نوعي يقضي بتنظيم الحركة البحرية في بحر الصين الجنوبي. وقد بدأت بوادر تلك الجهود باجتماع عُقد بين مسؤولين ودبلوماسيين من "آسيان" والصين لمناقشة تطبيق مدونة قواعد السلوك في بحر الصين الجنوبي في الفترة من ٨ إلى ١٠ مارس ٢٠٢٣. ورغم تفاؤل البعض بالمسعى الإندونيسي، فهناك من يتوقع ألا تأتي تلك المبادرة بجديد، إذ لم تثبت الصين جدية نواياها في حل الأزمة الممتدة والعالقة منذ عقود^(٨).

ثانياً- قضية تايوان:

بدايةً، ينبع الاهتمام الأمريكي بتايوان من عدة اعتبارات تتعلق بالمصالح الأمريكية في هذه المنطقة الاستراتيجية. فالموقع الجغرافي لتايوان من مضيق تايوان وقناة باشي يعدان الممرين البحريين الرئيسيين اللذين يربطان شمال شرق آسيا بجنوب شرق آسيا والشرق الأوسط، فضلاً عن أهمية خاصة لحلفاء واشنطن مثل اليابان التي تعتبر تايوان مهمة لأمن حدودها الجنوبية كذلك الفيليبين فيما يتصل بحدودها الشمالية. هذا إضافة إلى اشتراك أمريكا وتايوان بعدد من المصالح السياسية والاقتصادية، منها الرغبة في فتح الأسواق اليابانية أمام أنشطتهما التجارية بغية تحقيق نوع من التوازن في التبادل التجاري بين واشنطن وطوكيو والذي يميل بقوة لصالح

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد غروي هل تحسم إندونيسيا "الطويلة النفس" صراع بحر الصين؟، مرجع سابق.

(٣) للمزيد انظر:

- د. عابد الزريعي، الصراغ الأمريكي - الصيني في تايوان حسابات الربح والخسارة، مجلة الهدف الإلكترونية، العدد ٤٢، ٢٣ أكتوبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/eTq9RL>

- د. كمال حماد تايوان بين الاستراتيجيتين الصينية والأميركية، الموقع الرسمي للجيش اللبناني، يوليو ٢٠٠٠، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/Prg29>

(4) U.S. Relations With Taiwan, U.S Department of States, available at: <https://2u.pw/COON51>

(٥) د. أحمد قنديل تايوان: تفاقم التوتر بين الصين والولايات المتحدة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩ أبريل ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/48xeNd>

(٦) محمد نبيل الغريب، سيناريوهات صراع النفوذ والتصادم الصيني- الأمريكي في تايوان، موقع مجلة السياسة الدولية، ٢٢ يونيو ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/i3PFBA>

(٧) د. أحمد قنديل تايوان: تفاقم التوتر بين الصين والولايات المتحدة، مرجع سابق.

الاستراتيجي والعسكري بين واشنطن وتايبيه، حيث حذر وزير الخارجية الصيني وانغ يي، الولايات المتحدة من "تجاوز الخطوط الحمراء واللعب بالنار" بشأن قضية تايوان. ورداً على ذلك، أكدت الناطقة الرسمية للبيت الأبيض جين بساكي على أن الولايات المتحدة "ستقف مع الأصدقاء والحلفاء لتعزيز الرخاء والأمن والقيم المشتركة في منطقة المحيطين الهندي والهادي". كما تعهدت الولايات المتحدة في مايو ٢٠٢٢ بالتدخل العسكري إذا اعتدت الصين على تايوان^(٣).

وفي ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٢، أجرت البحرية الصينية تدريبات إطلاق نار ودوريات بالقرب من جزيرة تايوان. وأظهرت بيانات وزارة الدفاع التايوانية أن المناورات الأخيرة هي الأكبر منذ أن بدأت الوزارة بإصدار إحصاءات يومية للتوغلات الصينية^(٤). في المقابل، في يناير ٢٠٢٣، أعلنت البحرية الأمريكية أن المدمرة "يو إس إس تشونغ-هون" نفذت عبوراً روتينياً في مضيق تايوان في المياه التي تنطبق فيها حرية الملاحة والتحليق بموجب القانون الدولي^(٥)، وذلك بهدف تأكيد "التزام الولايات المتحدة بأن تكون منطقة المحيطين الهندي والهادي حرة ومفتوحة"^(٥). إلا أن الجيش الصيني أعلن أنه سيواصل تدريباته العسكرية بالقرب من تايوان بعد أن كان قد أعلن انتهاء التدريبات التي استخدم فيها الذخيرة الحية^(٦).

الساحة التكنولوجية: تركز الحرب الباردة الجديدة بين الولايات المتحدة والصين، بشكل متزايد، على تطوير صناعة رقاقات الحاسوب في تايوان. ورغم أنها جزيرة صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها ٢٤ مليون نسمة، فإنها في قلب المعركة من أجل التفوق التكنولوجي العالمي، خاصةً فيما يتصل بالإجراءات

(٤) الصين تدفع بعدد غير مسبوق من الطائرات الحربية في المجال الجوي لتايوان، دي دبليو، ٢٦ ديسمبر ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/P3Eucl>

(٥) مدمرة أمريكية تعبر مضيق تايوان، البيان، ٦ يناير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/Isn1x2>

(٦) لماذا تريد الصين ضم تايوان، بي بي سي، ٣ يناير ٢٠١٩، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/vawig>

الكونجرس قانون ضمان تايوان^(١). ثم كان تقديم أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي، مشروع قانون أطلق عليه "قانون التنافس الاستراتيجي لعام ٢٠٢١"، ويهدف إلى السماح للولايات المتحدة بمواجهة "التحديات" التي تشكلها الصين، مع التأكيد بشكل خاص على ضرورة تعزيز العلاقات بين واشنطن وتايبيه. وبالإضافة إلى ذلك، كرّست لجنة المراجعة الاقتصادية والأمنية للعلاقات الأمريكية-الصينية، التابعة للكونجرس، في تقريرها السنوي لعام ٢٠٢٠، أحد فصولها الخمسة لتايوان، فضلاً عن إصدار مرسوم يقر بأن الولايات المتحدة كعضو في أي منظمة دولية، يجب أن تعارض أى محاولات من قبل الصين لإيذاء تايوان. كما مرر الكونجرس الأمريكي أيضاً "مبادرة الردع في المحيط الهادي"، والتي تم تمويلها بمبلغ ٢,٢ مليار دولار لعام ٢٠٢١^(٢).

وقد انعكست أبعاد الصراع في الشرق الأقصى - كما سبق بيانها- على الصراع فيما يتصل بتايوان:

عسكرياً: فمنذ دخول بايدن إلى البيت الأبيض في يناير ٢٠٢١، صعدت بكين من إرسال الطائرات المقاتلة والقاذفات ذات القدرات النووية لاختراق الأجواء التايوانية، مما دفع مسؤولي تايبيه إلى نشر أنظمة صواريخ وإصدار تحذيرات لمغادرة الطائرات الصينية هذه الأجواء. وتزامنت هذه التطورات المهمة مع تعيين الرئيسة التايوانية تساي إنج وين للجنرال السابق تشيو كو تشن، خريج كلية الحرب الأمريكية، وزيراً جديداً للدفاع بما يعنيه ذلك من تمتين التعاون العسكري.

وقد ردت بكين بخطاب صارم على مؤشرات تعزيز التعاون

(١) نهى عبد الرحمن أبو العينين، قضايا العلاقات الصينية الأمريكية وأثرها على مستقبل النظام الدولي "دراسة فترة دونالد ترامب من ٢٠١٧-٢٠٢١"، المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، ٢٠٢١، ص ٩٣-٩٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

What is America's policy of "strategic ambiguity" over Taiwan?, The Economist, 23 May 2022, available at: <https://2u.pw/67TLgs>

الأمريكية السابق تناولها^(١).

"الكونجرس هو فرع حكومي مستقل ومتساو. القرار لرئيس المجلس بالكامل"^(٥). ولكن رغم هذا التوتر، نجد أنه في منتصف أغسطس ٢٠٢٢ وفد من الكونجرس الأمريكي تايوان^(٦).

وعن موقف روسيا من قضية تايوان، فبالطبع جاء مؤيدا للصين، فقد صرح نائب وزير الخارجية الروسي أندريه رودينكو: "نعتقد أن للجانب الصيني الحق في اتخاذ الإجراءات التي يراها ضرورية لحماية سيادته ووحدة أراضيه فيما يتعلق بقضية تايوان". وأشار إلى أنه كان هناك تصعيد حول تايوان بسبب الأنشطة الاستفزازية من جانب واشنطن وأقمارها الصناعية". وأضاف أن "الوضع تفاقم بشكل خطير عندما زارت رئيسة مجلس النواب الأمريكي نانسي بيلوسي الجزيرة"^(٧).

وبشأن احتمالات الحرب في ظل هذا الاستقطاب، هناك اتجاه يرى أن ثمة عوامل (وإن كانت غير موضوعية) قد تدفع الصين إلى استخدام القوة، منها حالة عدم اليقين في مضيق تايوان، وإمكانية قراءة الصين للسياسة الأمريكية تجاه الجزيرة بشكل مبالغ فيه (مثلما الحال مع قراءة زيارة بيلوسي)، أو غلبة طموح الرئيس شي في إنهاء هذا الملف التاريخي المعلق. وتذهب بعض التحليلات الأمريكية إلى قراءة نتائج المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في أكتوبر ٢٠٢٢، ونجاح شي في إزاحة بعض قيادات الحزب، كمؤشر على الدور الذي بات يتمتع به شي داخل عملية صنع القرار، وتخلصه من التيار المؤيد لمهادنة الولايات المتحدة الأمريكية^(٨).

على الجانب الآخر، لا يمكن استبعاد تنفيذ الولايات المتحدة

سياسيًا ودبلوماسيًا: عملت إدارة بايدن على حشد الدعم لاستقلال تايوان من الحلفاء الإقليميين، وخاصة اليابان؛ وهو الأمر الذي أسفر عن التأكيد في اجتماع "اثنين زائد اثنين" لوزيري الخارجية والدفاع من الولايات المتحدة واليابان، في مارس ٢٠٢١، على "أهمية السلام والاستقرار في مضيق تايوان"؛ وهو الأمر الذي تكرر التأكيد عليه في اجتماعات متتالية إلى الآن^(٢).

وفي سبتمبر ٢٠٢١، أرسلت واشنطن مسؤولاً رفيع المستوى في وزارة الخارجية إلى الجزيرة في أول زيارة رسمية من نوعها منذ عقود. وانتقدت بكين الاجتماع، وحذرت الولايات المتحدة من "عدم إرسال أي إشارات خاطئة بخصوص "استقلال تايوان". وخلال تلك الزيارة المثيرة للجدل، أجرت الصين تدريبات عسكرية بالذخيرة الحية في الممر المائي الذي يفصل الجزيرة عن البر الرئيسي^(٣).

لكن من أبرز المحطات مؤخرًا في هذا الصدد هبوط رئيسة مجلس النواب الأمريكي نانسي بيلوسي، في تايبيه. وكانت محطة بيلوسي في تايبيه هي المرة الأولى التي يزور فيها رئيس مجلس النواب الأمريكي تايوان منذ ٢٥ عامًا^(٤). وقد حذرت الصين من "التأثير السياسي لزيارة بيلوسي، قائلة إن الجيش الصيني "لن يقف مكتوف الأيدي" إذا اعتقدت بكين أن "سيادتها وسلامتها الإقليمية" مهددة. بينما قال وزير الخارجية الأمريكي، بليكن، إن زيارة تايوان قرار من رئيسة مجلس النواب، وإن:

(١) بسبب رقائق الحاسوب.. تايوان ساحة جديدة للحرب بين الصين والولايات المتحدة، مرجع سابق.

(٢) د. أحمد قنديل تايوان: تفاقم التوتر بين الصين والولايات المتحدة، مرجع سابق.

(٣) رغم التوترات التي سببتها زيارة بيلوسي.. وفد من «الكونجرس» يزور تايوان اليوم، المصري اليوم، ١٤ أغسطس ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/U3clqj>

(٤) هبوط طائرة نانسي بيلوسي في تايوان وسط تأهب عسكري صيني، سي إن إن، ٢ أغسطس ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/Zygpv>

(٥) المرجع السابق. ولطالما كانت بيلوسي من الصقور ضد الصين في الكونجرس. لقد التقت سابقًا بمعارضين مؤيدين للديمقراطية والدالاي لاما - الزعيم الروحي للتيبت المنفي.

(٦) في ظل التوتر مع الصين.. وفد من الكونغرس الأمريكي في تايوان، العربية، ١٤ أغسطس ٢٠٢٢، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/1mY9kY>

(٧) روسيا: الصين تفضل الأساليب السلمية في معالجة قضية تايوان، مبتدأ، ٣ يناير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/NZAmyl>

(٨) محمد فايز فرحات، تكريس حالة اللابيين حول تايوان: الحرب المحتملة القادمة في آسيا، مرجع سابق.

الهند، أستراليا)، هناك تحديات تتصل بما يلي:

أولاً- عدم استيعاب الفاعل الأوروبي، وعدم تنسيق السياسات معه؛ الأمر الذي تجلّى في أزمة الغواصات الأسترالية مع فرنسا. بينما في حال الالتفات إلى متغير الحرب الروسية الأوكرانية، نجد أن هناك دافعا للتنسيق، خاصة في ظل التنسيق الصيني الروسي. كما أن هذا الابتعاد يفتح المجال إلى تقارب أوروبي صيني، على غرار ما حدث في ٣٠ ديسمبر ٢٠٢٠؛ إذ أعلن الجانبان عن التوصل إلى اتفاقية استثمار "تاريخية" بينهما، تلك الاتفاقية التي تم التوصل إليها بعد "مخاض عسير"^(٣). وينقسم الأوروبيون بشأن التعامل الأمثل مع العملاق الصيني الصاعد؛ إذ يرى فريق ضرورة احتواء القوة الصينية الصاعدة، اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً وتكنولوجياً، من خلال تعزيز التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية. بينما يرى فريق آخر أنه يجب السعى للتعاون مع الصين كلما ساحت الفرصة من أجل التعامل مع التحديات العالمية المتفاقمة^(٤).

ثانياً- استمرار الأزمة الكورية، فالعلاقات بين الكوريتين في أدنى المستويات منذ سنوات مع توقف المحادثات ودعوة الزعيم الكوري الشمالي كيم جونج أون إلى نمو "متزايد" في إنتاج الأسلحة بما في ذلك الأسلحة النووية التكتيكية. وقد أجرت كوريا الشمالية تجارب على إطلاق عشرات الصواريخ المحظورة في ٢٠٢٢ مما أثار توترا لدى جيرانها في شرق آسيا، خاصة كوريا الجنوبية واليابان^(٥). وهو لا شك أمر يضع الولايات المتحدة في موضع عدم الثقة أمام حليفها كوريا الجنوبية إذا لم يمكنها التعامل الجدي معه.

ثالثاً- لا يزال الماضي يلقي بظلاله على العلاقة بين كوريا

استراتيجية منظمة لدفع الصين إلى التورط في عمل عسكري ضد تايوان؛ بهدف استنزافها ودفعها إلى الانكفاء على الداخل وتوجيه "ضربة" للسرديّة الصينية حول "الصعود السلمي".

ذلك أن الحرب الروسية-الأوكرانية قد فتحت جدلاً واسعاً حول التأثيرات المحتملة لهذه الحرب على هذه المشكلة التاريخية. فإن كلاهما، أوكرانيا وتايوان، يحكمهما نظامان ديمقراطيان يواجهان تهديدات من دول ذات أنظمة ديكتاتورية^(٦). وقد حدّر رئيس الوزراء الياباني فوميو كيشيدا، في يناير ٢٠٢٣ أثناء وجوده في الولايات المتحدة، لدى اختتامه جولة في دول مجموعة السبع، من أن "شرق آسيا قد يكون أوكرانيا التالية"^(٧).

لكن الوجه الآخر للعملة، أنه تبقى تكلفة حرب جديدة أمر من غير اليسير الإقدام عليه في ظل نظام عالمي وإقليمي لم يتعاف بعد من حرب ما زالت تدور رحاها في أوكرانيا، كما أن خبرة الولايات المتحدة المأزومة في العراق وأفغانستان لا تقدم لها سنداً قوياً لتكرار التجربة.

خاتمة:

من هذا التبع يبدو وكأن القوى الكبرى تجتهد في تجديد بؤر الصراع في مختلف الأقاليم؛ فما هي بعد أن استقرت الأوضاع في الشرق الأوسط نسبياً بما يخدم مصالحها؛ حيث استقرت الصراعات الداخلية واستنزاف الموارد، ما هي تنتقل إلى الشرق الأقصى، لكن لخوض معارك ذات طبيعة مختلفة بما يتناسب مع تحقيق كل طرف لمصالحه. فقد أسس كل محور التحالفات والكيانات-سواء أمنية، أو اقتصادية- التي يراها ملائمة لتحقيق أهدافه. ورغم ذلك يواجه كل من التكتلين المشار إليهما بعض عوامل الضعف:

فعلى جانب التحالف الرباعي (الولايات المتحدة، اليابان،

(١) المرجع السابق.

(٢) رئيس وزراء اليابان: شرق آسيا قد يكون "أوكرانيا التالية"، البيان، ١٤

يناير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/pY75a1>

(٣) د. أحمد قنديل، اتفاقية الاستثمار "التاريخية" بين الصين والاتحاد الأوروبي والتوازنات الدولية، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، ١٠

يناير ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي: <https://2u.pw/hc4jkR>

(٤) المرجع السابق.

(٥) بيونغ يانغ تطلق صواريخ بعد تدريبات نووية مشتركة أميركية كورية جنوبية، فرانس ٢٤، ٢٤ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<https://2u.pw/0Uk1gb>

بالعقوبات على روسيا، ومدى إمكانية أن تكون حليفًا طويل المدى، فضلا عن ثبات الاستراتيجية.

على المستوى الصيني الداخلي، ثمة أزمة قد تتوالى تداعياتها جراء النمو المتتالي بميزانية الدفاع في الصين بما يمكن أن يوسع الفجوة بين التنمية العسكرية والاقتصادية بالبلاد؛ وذلك في ضوء مساعي بكين لمواجهة التهديدات الاستراتيجية الإقليمية^(٣).

لكن في كل الأحوال، فإن عجلة الصراع قد درت وتحركت بالصراع العالمي الرئيس نحو شرق وجنوب شرق آسيا؛ نحو الشرق الأقصى، والأشهر القادمة كقيلة بمزيد من شرح مسارات ومآلات ذلك الصراع وتأثيراته على مناطق العالم، وخاصة العالم الإسلامي.

الجنوبية واليابان - وهما من أقرب حلفاء أمريكا في شرق آسيا^(١). وقد حاولت واشنطن مراراً الضغط على طوكيو لتقديم تنازلات استرضائية لكوريا تشمل الاعتذار الواضح والمباشر عن استغلال الجنود اليابانيين للنساء الكوريات، لكن الرد الياباني كان قاطعاً في أنّ اليابان دفعت ثمن كل أخطاء الماضي من خلال قصفها بالقنابل النووية؛ الأمر الذي يشكل نقطة الضعف في الاستراتيجية الأميركية في الشرق الأقصى، وخاصة في مواجهتها للسلاح النووي الكوري الشمالي والتطلّعات القومية للصين في تايوان^(٢).

على المحور الروسي- الصيني، يتصل التحدي الأساسي بتداعيات الحرب الروسية الأوكرانية، لاسيما ما يتعلق

نيوز عربية، ١٦ مارس ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:
<https://2u.pw/CpW82F>

(١) براهما تشيلاني، تنافس جيوسياسي على الأمن العالمي، مرجع سابق.
(٢) محمد السمك، صراع الحلفاء، مرجع سابق.
(٣) الصين.. ماذا تعني زيادة الإنفاق الدفاعي بالنسبة للاقتصاد؟، سكاى

البرازيل: من اليمين المتطرف إلى اليسار مجددًا

أحمد عبد الرحمن خليفة*

تبدأ البرازيل حقبة جديدة من الديمقراطية السياسية والليبرالية الاقتصادية، ويتم إصدار دستور البرازيل عام ١٩٨٨^(٢).

ومع أن الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البرازيل بدأت آثارها في الظهور على الأقل منذ نهاية الحرب الباردة، وبالأخص خلال حكم فرناندو كاردسو (١٩٩٥: ٢٠٠٣)^(٣) الذي بدأ في تبني أجندة الليبرالية الاقتصادية والخصخصة، مع برامج الدعم الاجتماعي والحد من الفقر، إلا أنه عادةً ما تُربط نهضة البرازيل بحكم لولا دا سيلفا (٢٠٠٣: ٢٠١٠)^(٤)، الذي ترجم منجزات سابقه، وعمقها، فحول البلاد من مجرد دولة فقيرة ذات تعداد سكاني ضخم، أكثر من ثلثه يربح تحت خط الفقر، إلى قوة صاعدة في النظام الدولي، لها استقلاليتها في السياستين الداخلية والخارجية.

بعد ذلك ترك لولا منصبه؛ لأن الدستور يمنع من تولي الرئاسة لأكثر من مدتين رئاسيتين متتاليتين، إلا أن آثار

مقدمة^(١):

مرّت البرازيل بعد نهاية حقبة الاستعمار البرتغالي، الذي استمر لمدة ما يقرب من ثلاثة قرون (١٥٠٠-١٨٢٧)، بعددٍ من التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الأيديولوجية لم تتوقف حتى وقتنا الراهن (مارس ٢٠٢٣)، إذ بعد استقلالها دخلت في مرحلة من الملكية استمرت حتى عام ١٨٨٩ حين ألغيت بفعل انقلاب عسكري دُبر ضدها في ذلك العام؛ لُعلن بعدها جمهورية البرازيل، ومعها قيام نظام حكم عسكري. وخلال فترة الحكم العسكري (١٨٨٩: ١٩٨٥) عرفت البرازيل الاستبداد السياسي، ووقعت في فخ أزمات اقتصادية واجتماعية مختلفة. ومع ذلك، ظهرت بوادر رغبة في التحول من اقتصاد الاعتماد على الخارج إلى اقتصاد التصنيع. إلا أنه بعد عام ١٩٧٤ شهدت البرازيل تولي عسكريين راغبين في إحداث تحول ديمقراطي سلمي وتدريب في البلاد، فانتعشت الحريات، ونشطت مؤسسات المجتمع المدني وتأسست الأحزاب السياسية؛ ليتسلم المدنيون الحكم منذ عام ١٩٨٥، ومعهم

* ماجستير علوم سياسية، ومنسق مشروعات بمركز أركان للدراسات والأبحاث والنشر.

(١) يتقدم الباحث بالشكر للزميل/ أحمد بسيوني لقيامه على المساعدة في جمع جزء من مادة هذا التقرير.

(٢) عاطف معتمد، مدخل تعريفي: ملامح دولة تصنع المستقبل، (في): محمد عبد العاطي (مُحرر)، البرازيل: القوة الصاعدة في أمريكا اللاتينية، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٠)، ص ١٨-٢١.

(٣) فرناندو كاردسو، رئيس أسبق للبرازيل، وُلد عام ١٩٣١، جاء من خلفية أكاديمية متخصصة في علم الاجتماع والسياسة، تركت أبحاثه حول نظرية التبعية، وحصل على العديد من الأوسمة والجوائز. عمل لمدة طويلة كأستاذ في مدرسة كوليج دي فرانس. وكان قد ترشح للرئاسة عن الحزب الديمقراطي الاجتماعي، وشهدت فترة رئاسته إدخال إصلاحات مؤسسية وسياسية عديدة تتعلق بتسيخ الديمقراطية وحقوق الإنسان، ودور المجتمع المدني، للمزيد عنه انظر:

Fernando Henrique Cardoso, Britannica, Accessed: 5 March 2023, 4:20, available at: <http://bit.ly/41Gi6Ls>

(٤) لويس إيناسيو لولا دا سيلفا، ولد في بلدية غارانينوز في أكتوبر ١٩٤٥، كابن لأحد العمال البسطاء، لم يكمل تعليمه بسبب ضغوط الحياة، التي اضطرت له للعمل في سن مبكر كعامل في مصانع الحديد والصلب، وقُطع أحد أصابعه أثناء عمله. بدأ حياته السياسية عندما التحق بنقابة الصلب (الاتحاد العمالي للصلب) في عام ١٩٧٢، ثم أخذ يبرز بين أفراد هذا الاتحاد، ويشتهر بسبب قدرته الخطابية. بعدها أسس حزب العمال المعروف اختصارًا (PT) عام ١٩٨٢، ونجح في انتخابات مجلس النواب عام ١٩٨٦. ترشح لولا للرئاسة ثلاث مرات أعوام ١٩٨٩، ١٩٩٤، ١٩٩٨، قبل أن ينجح في انتخابات عام ٢٠٠٢؛ ليتولى الرئاسة لفترتين متتاليتين من ٢٠٠٣ حتى ٢٠١٠، ويبلغ لولا من العمر ٧٧ عامًا، للمزيد عنه انظر:

Luz Inácio Lula da Silva, Britannica, Accessed: 5 March 2023, 5:20, available at: <http://bit.ly/3yeFfan>

حكم بولسينارو البرازيل بأجندة يمينية محافظة، اهتمت بنخبة رجال الأعمال، وبالقيم المسيحية، وأعطت العسكريين اليد العليا في مؤسسات الدولة المختلفة، كما شجعت على حمل السلاح وبيعه، تحت شعار "شعب يملك سلاحه... لا يُستعبد". كما قدمت سياسات بولسينارو وأولويات الاقتصاد على البيئة والمناخ، ووثق علاقات بلاده بالولايات المتحدة في عهد ترامب. وقد جرى تشبيه بولسينارو "بترامب الاستوائي" Tropical Trump^(٥). إلا أن هذه الأجندة لم تكتمل بسبب حكم المحكمة العليا بالإفراج عن لولا بسبب تحيز القاضي الذي حكم في الدرجة الأولى، ويعود لولا للمشهد الانتخابي بعد ما يمكن تسميته "الموت السياسي"، وتزداد أسهمه الانتخابية، ثم يفوز بفارق ضئيل عن بولسينارو في جولة الإعادة التي أُجريت في ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٢^(٦).

وفي هذا الإطار، يقف التقرير على طبيعة التحولات

(٣) جاير بولسينارو، عسكري سابق، وصل إلى رتبة نقيب في الجيش، ويُمثل قادة الحقبة الدكتاتورية العسكرية النماذج المهمة بالنسبة له، إذ وضع في مكتبه صور لكافة رؤساء البرازيل إبان الحكم العسكري، إلى جوار صورته. نجح في الوصول إلى مجلس النواب عن ولاية ريو دي جانيرو في ١٩٩١، واشتهر بدعمه البرازيليين حمل السلاح، وكان شعاره المُتكرر الإشارة بأصابعه على شكل مسدس. لم يكن اسمه معروفًا خارج ريو، إلا أن الأزمة التي ضربت البلاد مع اتهامات الفساد التي وُجّهت لنخبة اليسار منذ ٢٠١٤، ساعدته في الصعود إلى قمة الساحة السياسية؛ ليرشح نفسه في انتخابات عام ٢٠١٨، وينجح في جولة الإعادة بنسبة ٥٥٪. وهزيمته في جولة الإعادة في أكتوبر ٢٠٢٢، أصبح أول رئيس يخسر انتخابات ولايته الثانية، للمزيد عنه انظر:

David Child, Who is Jair Bolsonaro, Brazil's new far-right president?, 1st January 2019, Accessed: 5 March 2023, 6:20, available at: <http://bit.ly/3EZY17S>

(٤) للمزيد بشأن هذه الأزمة، راجع: ستار شدهان الزهيري، الأزمة السياسية في البرازيل وانعكاساتها السياسية والاقتصادية، مجلة لارك، مجلد ١، عدد ٢٤، مايو ٢٠١٧.

(٥) عثمان الزباني، التحول السياسي في البرازيل: من انحرافات اليسار الى مأزق اليمين المتطرف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقييم حالة، ٢٩ يناير ٢٠١٩، متاح عبر الرابط التالي: <https://bit.ly/3ye0g4T>
(6) A Test for Democracy: Brazilian Presidential Elections, Council

سياساته ونجاحاته أوصلت ديالما روسيف (٢٠١١-٢٠١٦)^(١) من حزب العمال الذي أسسه لولا إلى الحكم، والتي حاولت الاستمرار على نهجه، إلا أن تعدد جهات المعارضة السياسية والاجتماعية، وعدم نجاح حزبهما في تأمين أغليات في المجالس النيابية أزاحتها عن الحكم قبل استكمال ولايتها الثانية. وخلال هذه الفترة الانتقالية التي تولى فيها نائبها، ميشال تامر^(٢)، ظهرت ملفات فساد لاحقت قيادات حزب العمال، وعلى رأسها لولا دا سيلفا، وزجت به في السجن، محكوم عليه بـ ١٠ سنوات، قضى منها ما يقرب من سنة ونصف؛ أحسن اليمين والأحزاب المنافسة للعمال من استثمارها لإلحاق الهزيمة بحزبه وباليسار عمومًا، وبخاصة جاير بولسينارو "اليميني" (٢٠١٩-٢٠٢٢)^(٣) الذي عمل على صياغة خطاب مناهض لهذه النخب من ناحية، وزعزعة الثقة فيها من ناحية أخرى، الأمر الذي مكّنه من الوصول في النهاية لرئاسة البرازيل^(٤).

(١) ديالما روسيف، من مواليد عام ١٩٤٧، بدأت مشوارها السياسي مبكرًا في عمر ١٦، حينما شاركت في الحركات الاحتجاجية ضد الحكم العسكري في البرازيل. عملت روسيف لسنوات كمحامية. كما عُينت في حكومة لولا دا سيلفا كوزيرة للمناجم والطاقة (٢٠٠٣-٢٠٠٥)، ورئيس لموظفي الرئاسة من ٢٠٠٥ حتى ٢٠١٠. شهدت الحقبة الوزارية في عهدها إنجازات ملموسة، كان على رأسها توصيل الكهرباء إلى ١١ مليون مواطن في ضواحي وأرياف البرازيل. بعد أن خاضت روسيف السباق الرئاسي عن حزب العمال، كانت أول امرأة في تاريخ البرازيل تتولى منصب رئيس الجمهورية، للمزيد عنها انظر:

Dilma Rousseff, The Archives of Women's Political Communication, Iowa State University, Accessed: 5 March 2023, 8:20, available at: <http://bit.ly/3F2D7X3>

(٢) ميشال تامر، هو ابن لأحد العائلات المهاجرة ذات الأصول اللبنانية، ولد عام ١٩٤٠، ودرس الحقوق في كلية القانون في ساو باولو، التحق بحزب الحركة الديمقراطية البرازيلية، الذي أصبح رئيسه فيما بعد، وكان أحد أعضاء لجنة إعداد دستور ١٩٨٨. ينشر تامر في العديد من الصحف والمجلات، وله مؤلفات تدور حول القانون والدستور والديمقراطية في البرازيل، للمزيد عنه انظر:

President Michel Temer Bio, Brazilian-American Chamber of Commerce, Accessed: 6 March 2023, 11:00, available at: <https://bit.ly/3L20G5Z>

تفشّي فيروس كورونا في البرازيل بقدر ما أثرت في شعبية بولسينارو، إذ راح ضحية الفيروس ما يقرب من ٦٨٥ ألف من قاطني البرازيل حتى أكتوبر ٢٠٢١، كأكبر عدد من الضحايا في العالم بعد الولايات المتحدة، ما وصفه بعض معارضيه "بإبادة جماعية تسببت فيها الحكومة للبرازيليين"، كما أظهرت استطلاعات الرأي التي أُجريت في منتصف عام ٢٠٢٢ تراجع شعبية بولسينارو، وارتفاع احتمالات هزيمته في مقابل مرشح اليسار لولا دا سيلفا^(١).

٢- سياسات اقتصادية متعثرة، وتردي في الأوضاع الاجتماعية:

شهدت سنوات حكم بولسينارو تعثر اقتصادي واضح، بسبب تفشي فيروس كورونا من جانب، وسوء إدارة الحكومة للأزمة من جانبٍ آخر، فانكمش الناتج المحلي الإجمالي للبرازيل بنسبة ٤,١٪ في عام ٢٠٢٠، ووصلت معدلات البطالة إلى مستوى تاريخي مرتفع بلغ ١٣٪، وارتفع الدين الحكومي من ٧٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي في عام ٢٠١٩ إلى ٨٩٪ عام ٢٠٢٠، كما بلغ الريال البرازيلي أدنى مستوى تاريخي له مقابل الدولار الأمريكي في هذا الوقت.

ورغم أن النصف الثاني من عام ٢٠٢١ شهد تحركات حكومية لتقديم اللقاحات، ودعم الانتعاش الاقتصادي للبلاد، فانخفضت معدلات البطالة إلى دون الـ ١٠٪ خلال عامي ٢٠٢١ - ٢٠٢٢، كما حقق الناتج القومي نموًا يقارب الـ ٢٪، بالإضافة إلى انخفاض الدين الداخلي إلى ٧٧,٦٪ في يوليو ٢٠٢٢، فإنه قد وصل عدد البرازيليين تحت خط الفقر مقدارًا بـ ٤٠ يورو (في الشهر) إلى ٢٣ مليونًا، فضلًا عما رصدته التقارير من أنه بنهاية عام ٢٠١٩ عانى أكثر من نصف سكان البرازيل (١١٧ مليونًا) درجة من درجات انعدام الأمن الغذائي، كما لم يجد ٤٣,٤ مليونًا طعامًا كافيًا، وواجه ١٩ مليونًا الجوع. وبسبب فيروس كورونا ارتفعت أعداد من يواجهون الجوع إلى ٣٣,١ مليون

الأمريكية والبرازيل، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، جامعة بني سويف، مجلد ١٤، العدد ١٣، يناير ٢٠٢٢، ص ٦١-٦٢.

السياسية والاقتصادية التي يمكن أن تحدث مع عودة لولا "اليساري" لرئاسة البرازيل على حساب "اليميني" جاير بولسينارو الرئيس المنتهية ولايته، وذلك من خلال فحص عدد من القضايا المتصلة بالداخل والخارج، من خلال المرور أولًا: على ممهّدات التحول، وثانيًا: على الملامح الأولية للتحول.

أولًا- ممهّدات التحول

كان صعود جاير بولسينارو لرئاسة الجمهورية البرازيلية، وتنصيبه رسميًا في يناير ٢٠١٩، ومعه أكثرية من اليمين المتطرف في المجالس النيابية وحكام الولايات، بمثابة تحول سياسي كبير في تاريخ البرازيل المعاصر، إذ قطع الصلة مع أربعة عقود سابقة، حكم فيها يساريون البلاد، خلال المدة من ٢٠٠٣ وحتى ٢٠١٦. إلا أن هذا الانقطاع لم يدم طويلًا، حتى شهدت البلاد مجموعة من التطورات مهّدت بدورها لحدوث تحولات جديدة، أبرزها ما يلي:

١- تفشي فيروس كورونا:

تعامل بولسينارو مع تفشي فيروس كورونا في البرازيل بأسلوب شعبي، قام على أساس التقليل من خطورة الفيروس وإنكار وجوده، إذ وصف الفيروس على أنه "إنفلونزا بسيطة"، فضلًا عن مهاجمة المختصين والخبراء، إذ أقال وزير الصحة بسبب دعوته المواطنين للتباعد الاجتماعي. كما أطلق حملة تحت شعار "البرازيل لا يمكن أن تتوقف" مفادها حث أصحاب الأعمال على عدم التوقف عن الإنتاج، إضافةً إلى تبني نظريات المؤامرة، إذ أشار إلى أن الدول تستعد للحروب، والحروب قد تكون نووية أو بيولوجية!، كما أدانت نخب مقربة منه الصين باعتبار أن انتشار الفيروس خطأها، وقد هدد بالانسحاب من منظمة الصحة العالمية؛ لتبنيها ما اعتبره سياسات أيديولوجية في التعامل مع الفيروس.

وبقدر ما انعكست هذه التصورات والمواقف على حالة

on Foreign Relations Channel, YouTube, 13 October 2022, Accessed: 5 February 2023, available at: <https://bit.ly/3Zvu5KA>

(١) وليد قاسم، الشعبية وجائحة كورونا: أدلة من الولايات المتحدة

عن زيادة المنحة الاجتماعية للفقراء، وتقديم مساكن للمحتاجين، كنوعٍ من الدعاية لنفسه بالطريقة نفسها التي يقوم بها لولا وأنصاره.

لكن، ولدت تصريحات بولسينارو بشأن انتقاد الديمقراطية، ومؤسساتها، وآلياتها، وزعمه المسبق قبل الانتخابات باحتمالات التزوير، ممثلةً في نظام الانتخاب الإلكتروني، ردة فعل معاكسة من قبل شرائح كبيرة من النخب المؤثرة في المجتمع، فتجمع ما يقرب من ٣٠٠٠ فرد قبل شهرين من الاقتراع، من رواد الأعمال والمصرفيين والمحامين، ووقعوا بياناً يدينون فيه هجوم بولسينارو على النظام الانتخابي ودعموا فيه سيادة القانون^(٣).

تأكدت هذه المخاوف، بعد أن وقعت أحداث شغب يوم الأحد ٨ يناير ٢٠٢٣، من قبل أنصار الرئيس بولسينارو فاقتحموا المقر الرئيسية للسلطات الثلاث، بما في ذلك القصر الرئاسي في العاصمة برازيليا، فكانت هذه بمثابة سابقة لم تحدث في تاريخ ديمقراطية البرازيل، سبقها بأيام رحيل بولسينارو قبل حفل تنصيب الرئيس الجديد بيومين إلى الولايات المتحدة، رافضاً تسليمه الوشاح الرئاسي^(٤).

٤- عودة لولا "الشعبية الطاغية":

يستند لولا إلى رصيده السابق من التقدم في التعليم، والصحة والاقتصاد، والبرامج الاجتماعية التي ساهمت في انتشار ما يقرب من ٢٤ مليون برازيلي من براثن الفقر إلى الطبقة الوسطى، فساعدتهم على تملك منازل، وزادت من دخلهم الحقيقي لأكثر من الضعف، بالإضافة إلى انخفاض معدلات البطالة من ١٠٪ إلى ما يقرب من ٦٪. كما يستند لولا إلى قدرته على المزج بين سياسات يسارية للحد من الفقر وتحقيق العدالة، وسياسات ليبرالية تحمي الصناعات

٢٠٢٢، تاريخ المشاهدة: ٩ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<http://bit.ly/3ZN2cxf>

(٤) البرازيل.. الديمقراطية وتهديد اليمين المتطرف، تقدير موقف، العربي،

١٥ يناير ٢٠٢٣، تاريخ المشاهدة: ١٢ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<http://bit.ly/3EV31vV>

برازيلي في بداية عام ٢٠٢٢^(١).

بالإضافة إلى ذلك، تعمقت صور اللامساواة في البرازيل، وأخذت أبعاداً مختلفة. تمثل البعد الأول في انعدام المساواة الإقليمية؛ إذ بنهاية عام ٢٠٢١ بلغ معدل الفقر في المنطقة الشمالية ٣٥,٣٪، بما يُعادل ضعف المعدل الوطني تقريباً، بينما بلغ معدل الفقر في الجنوب ٧,٧٪. أما البعد الثاني فهو عنصري؛ أظهر أن العمال البيض -الذين يمثلون ٤٣,١٪ من السكان (أقلية)- لديهم دخل أعلى بنسبة ٧٤٪ في المتوسط مقارنةً بالسود. كما بين استطلاع أن التمايز في الدخل تجلى بشكلٍ أكبر عند فحص وظائف ورواتب النساء، وبخاصةً الأفرو-برازيليات، منهم في الشمال الشرقي، حيث تتلقى المرأة البرازيلية السوداء في المتوسط ما يقرب من ٤٤,٤٪ من متوسط دخل الرجل الأبيض. كما اتضحت عدم المساواة من خلال أرقام التوظيف: فمن بين العاملين، كانت نسبة البيض في الوظائف غير الرسمية حوالي الثلث (٣٤,٥٪)، بينما ارتفعت النسبة بين السود والأشخاص من عرق مختلط إلى ٤٧,٤٪. ويمكن أن يرتبط العمل في القطاعات غير الرسمية بنقص الوصول إلى أنواع الحماية الاجتماعية وبرامج الرعاية الصحية^(٢).

٣- استقطاب سياسي:

تبني بولسينارو خلال حملته الرئاسية خطاب الصراع بين الخير والشر، ورفع شعار "البرازيل أولاً، والرب فوق الجميع"، إذ مارس بولسينارو -حسب محلل برازيلي- "لعبة التماهي مع مؤيديه؛ وبالتحليل النفسي يمكن ملاحظة تقمصهم النرجسية عندما يعتلي هو سدة الحكم". فهو يتمتع بشخصية جذابة، استطاعت عبر تطبيقات التواصل الاجتماعي الوصول إلى أعدادٍ كبيرة من الناس أكثر من تلك التي تحضر التجمعات. كما حاول بولسينارو، في الأشهر الأخيرة التي سبقت الانتخابات، الإعلان

(1) Delivorias Angelos, Brazil's Economy: Challenges for the New President, (Brussels: European Parliamentary Research Service, 2022), pp. 6-8.

(2) Ibid. p.8-9.

(٣) فيلم - البرازيل.. الجولة المصرية، قناة الجزيرة، اليوتيوب، ٢١ أكتوبر

قبل انتخابه، وتلك التي يُتوقع لها أن تحدث في البرازيل سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، بما هو معروف عن شخصيته، وثقافته، وخلفيته الاجتماعية والسياسية اليسارية.

١- الداخل: من الاستقطاب إلى التحالفات الواسعة:

انتهى بولسينارو عبر تاريخه السياسي إلى عددٍ من الأحزاب اليمينية في البرازيل، إلا إنه استقر في الحزب الاجتماعي الليبرالي. كما شدد بولسينارو على أهمية القيم المحافظة، والحفاظ على دور الكنيسة، التي تحترم النوع الاجتماعي، وترفض سياسات دعم التحول الجنسي والمثلية والإجهاض، كما تبني خطاباً معادياً للمرأة، والسود، والمهاجرين، انطلاقاً من تبنيه نظرة قومية وطنية، فضلاً عن اعتماد سياسة ليبرالية اقتصادية تدعم الخصخصة، وتُشجع أسلوب "الصفقة"، الذي يُعطي أولوية للريح الاقتصادي^(٥). لقد صعد مشروع بولسينارو على دعم من المسيحيين الإنجيليين، ولوبي ملاك الأراضي الزراعية، وأنصار حمل المدنيين للأسلحة، في ظل أجواء انعدام الأمن وارتفاع معدلات الجريمة^(٦).

ولذلك، قُدر عدد العسكريين الذين شغلوا مناصب سياسية في مستويات الإدارة العليا والمتوسطة في الحكومة الفيدرالية بنحو ٧ آلاف، تولى بعضهم مسؤولية ملف البيئة وغابات الأمازون. فصممت حكومة بولسينارو برنامج لغزو

الرأسمالية وتضمن الريح لنبذة رجال الأعمال^(١). فضلاً عن نجاحه ليس فقط في تسديد ديون البرازيل لصندوق النقد الدولي قبل موعدها، بل أقرض الصندوق ١٠ مليارات دولار عام ٢٠٠٩^(٢). بالإضافة إلى تنوع واستقلالية سياساته الخارجية، التي أعطت للبرازيل مكانة بين الدول النامية والمتقدمة على السواء^(٣).

حاول لولا أثناء حملته الانتخابية تذكير الجميع بأنه "ابن الشعب"، وحشد موجة تصويت للديمقراطية في مواجهة الاستبداد. كما لعب الشمال الشرقي مسقط رأس لولا، الذي يضم ٤٠ مليون صوت، ويسكن فيه أغلبية السكان الأصليين، ضحايا سياسات بولسينارو، حيث تضاعف معدل الاستيلاء على أراضي السكان الأصليين ثلاث مرات، لعب دوراً بارزاً في زيادة فرص دا سيلفا في النجاح، إذ وقع اختيار قيادات الشمال الشرقي من السكان الأصليين على لولا. وبذلك، يرمز لولا إلى الماضي أكثر من الحاضر أو المستقبل، إذ يُشير إلى برنامجه بالقول: "هل تعرفون كيف سأحكم، انظروا كيف حكمت في السابق"^(٤).

ثانياً- الملامح الأولية للتحويلات في الداخل والخارج

يُعد انتخاب لولا دا سيلفا وعودته من السجن إلى القصر، بمثابة قاطرة كافة التحويلات التي حدثت خلال الشهور الماضية

(١) للمزيد بشأن السياسات الاقتصادية للولا:

- فتر عماد خليل العبادي، عدنان خلف حميد، الهندسة السياسية.. دروس مستخلصة من نماذج دولية مختارة، قضايا سياسية، العدد ٦٥، مايو - يونيو ٢٠٢١، ص ص ٢٧٥-٢٧٨.

- صبري أحمد أبو زيد، محمد كمال صابر، محمد الأمين عبد الرحمن، الأفق الاقتصادية والبيئية للتنمية المستدامة في كل من مصر والبرازيل، المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية، جامعة قناة السويس، المجلد ١٢، العدد ٤، ٢٠٢١، ص ص ١٥٥-١٥٧.

(٢) محمد عزت، لولا ضد بولسونارو.. هل انتخابات البرازيل صراع بين الخير والشر حقاً؟ ميدان، ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٦ فبراير ٢٠٢٣، الساعة: ١١:٠٠، متاح عبر الرابط التالي: <http://bit.ly/3EV45Qr>

(٣) للمزيد بشأن مرتكزات سياسة لولا الخارجية:

- قاسم حسين السعدي، السياسة الخارجية للبرازيل بعد انتهاء الحرب

الباردة وأثرها على النظام الدولي (٢٠٠٢-٢٠١٠)، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد ٢٥، العدد ٥، ٢٠١٧.

- وليد أحمد عطاطره، الدبلوماسية البرازيلية: الاتجاه جنوباً نحو الصعود الدولي، معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، رسالة ماجستير غير منشورة، (بيرزيت: جامعة بيرزيت، ٢٠١٤).

(٤) فيلم - البرازيل.. الجولة المصرية، مرجع سابق.

(٥) أيمن يوسف، معاني صعود اليمين المحافظ في البرازيل في انتخابات ٢٠١٨ داخلياً وخارجياً وفلسطينياً، منظمة التحرير الفلسطينية: مركز الأبحاث، (٢٠١٩)، ص ص ١٧٦-١٧٨، متاح عبر الرابط التالي:

<https://bit.ly/3yyhll7>

(٦) صدفة محمد محمود، فوز مرشح اليمين برئاسة البرازيل: الدلالات والسيناريوهات المستقبلية، مجلة الديمقراطية، المجلد ١٩، العدد ٧٣، يناير ٢٠١٩، ص ص ٢٠٣-٢٠٤.

٢٣ فقط في عهد سلفه، مُثلت فيها المرأة بستة مقاعد، والسود بأربع وزارات^(٥)؛ ليضمن بذلك تكوين تحالف واسع من تكنوقراط وسياسيين، يمكنه من حكم البلاد، مع وجود أغلبية من غير حزبه في المجالس والولايات، وقد عُقد أول اجتماع للحكومة في السادس من يناير ٢٠٢٣^(٦).

ساعد لولا في تكوين هذا التحالف طبيعة الحياة الحزبية في البرازيل، وتنوع توجهات الأحزاب السياسية، إذ لا يتمتع أي حزب بأغلبية مطلقة سواء في مجلس النواب أو مجلس الشيوخ، فبينما يتألف مجلس الشيوخ من ٨١ عضواً، يُمثل حزب العمال -الذي ينتمي إليه لولا- بتسعة أعضاء فقط (١١٪)، ويُمثل حزب الديمقراطي الليبرالي -الذي ينتمي إليه بولسينارو- ١٤ عضواً (١٧٪)، وهو الحزب الأكثر تمثيلاً في المجلس بأكمله. أما مجلس النواب الذي يتألف من ٥١٣ نائباً، منهم ٩٩ ممثلين عن الحزب الليبرالي (١٩٪) و٦٨ ممثلين عن حزب العمال (١٣٪).

ومع ذلك، سيجد لولا تحدياً آخر يتمثل في أن حكام الولايات هم في أغلبهم دعموا بولسينارو، إذ أعلن ١٤ حاكماً دعمهم للأخير (في مقابل ١٠ فقط أعلنوا دعمهم لولا من أصل ٢٧ ولاية) من بينهم ساو باولو -أكبر ولايات البرازيل- التي يسكنها ٤٥ مليون نسمة، وأهمها من حيث دورها في الاقتصاد القومي، والتي

الأمازون، لتقدم تفويض مطلق لكبار ملاك الأراضي لاستغلال تربة غابات الأمازون، فقدت الأمازون مساحة ١٣ ألف كيلومتر مربع من الغابات خلال سنوات حكمه بزيادة ٢٠٪ عن السنوات السابقة. وفي مايو ٢٠٢٢ صرح وزير البيئة، أنه من المهم استغلال لحظة انشغال الصحافة بفيروس كورونا لتغيير اللوائح وتبسيط الإجراءات المتعلقة باستغلال أراضي الأمازون. وبذلك، كان الاهتمام بالبيئة في ذيل الاهتمام في البرازيل، والعبث بالطبيعة جاء باسم التنمية؛ ففضى بولسينارو على آليات حماية البيئة في البرازيل.

ارتكن بولسينارو في حملته الانتخابية للولاية الثانية إلى ثلاثة ركائز "الرب، والعائلة، والوطن" لبرنامج، دعم ذلك قبلها بتولي قساوسة إنجيليين مناصب وزارية في مجال التعليم والأسرة، كما أعلن تحوله من الكاثوليكية إلى البروتستانتية الإنجيلية؛ لاستمالة الناخبين المتدينين^(١).

أما مشروع لولا، فعلى النقيض من ذلك، يدعم السود، والأقليات، والشذوذ الجنسي، والحريات السياسية والمجتمعية، وعدم حمل السلاح، أو استخدام العنف المجتمعي، بالإضافة إلى تصريحه بضرورة وجود برازيل تسع الجميع^(٢). على هذا الخيط الأخير، بنى لولا خطابه وسلوكه قبل وبعد الانتخابات، إذ اختار المرشح السابق غيرالدو ألكمين^(٣)، الذي سبق خوضه الانتخابات الرئاسية ضد لولا في عام ٢٠٠٦، ليكون نائباً له^(٤). كما زاد عدد وزراء حكومته إلى ٣٧، بعدما كانوا

(١) فيلم - البرازيل.. الجولة المصرية، مرجع سابق.

(٢) وثائقي البرازيل - ماردة فعل المجتمع البرازيلي على فوز لولا بالانتخابات الرئاسية؟، وثائقية دي دبليو، ١٢ يناير ٢٠٢٣، تاريخ المشاهد: ٢٨ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي: <http://bit.ly/3Ylphpv>

(٣) غيرالدو ألكمين، وُلد في نوفمبر ١٩٥٢، وشارك وهو في سن الـ ١٩ في الحركة الديمقراطية البرازيلية؛ مناهضة الحكم العسكري في البلاد، كما كان أصغر عمدة بلدية. وكان قد عمل كطبيب ممارس، وفي عام ١٩٨٨ أصبح أحد المؤسسين المشاركين في الحزب الاشتراكي الاجتماعي، وخاض سباق الانتخابات الرئاسية ضد لولا دا سيلفا في الولاية الثانية عام ٢٠٠٦. بعدها أصبح حاكم ولاية ساو باولو لفترتين متتاليتين من ٢٠١٠ حتى ٢٠١٨، للمزيد عنه انظر:

Geraldo Alckmin, Willison Center, Accessed: 6 March 2023, 12:00, available at: <https://bit.ly/3JiquaD>

(٤) فانيسا بوشلوتير، لولا دا سيلفا يهزم جاير بولسونارو ويعود إلى رئاسة البرازيل، بي بي سي، ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٠ فبراير ٢٠٢٣،

الساعة: ١٢:٤٠، متاح عبر الرابط التالي: <http://bit.ly/3Ypr2Cd>

(٥) رئيس البرازيل المنتخب يهاجم سلفه: سلمني بلداً "في حالة شع"، سكاى نيوز عربية، ٢٣ ديسمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٣١ يناير ٢٠٢٣، الساعة

١:٣٠، متاح عبر الرابط التالي: <http://bit.ly/3SaxTxv>

(٦) شاهد: أول اجتماع وزاري لحكومة لولا في البرازيل، يورونيوز، ٦ يناير ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ١ مارس ٢٠٢٣، الساعة: ٦:٢٠، متاح عبر الرابط

التالي: <http://bit.ly/3EYyopn>

مغالزة إسرائيل، وزارها، فضلاً عن إعلانه رغبته في نقل السفارة البرازيلية إلى القدس في خطوة شبيهة بخطوة ترامب^(٤).

ومع هذا الخطاب الذي صدره بولسينارو بهدف أنه "سيحرر وزارة الخارجية من التحيز الأيديولوجي في العلاقات الخارجية الذي سيطر عليها في السنوات الأخيرة، وأنه سيُنعي علاقات بلاده مع الدول المتقدمة، التي يمكن الاستفادة منها اقتصادياً وتكنولوجياً"، فإن هذا لم يتحقق بالكامل على أرض الواقع. إذ إن خطابه بشأن الصين، لم يتحول إلى واقع بسبب دورها المتزايد في الاقتصاد البرازيلي، كونها شريكاً تجارياً أول للدولة بفارق كبير عن الولايات المتحدة، ثاني الشركاء، كما لم يستطع الإحجام عن دور بلاده في إطار مجموعة البريكس بالتعاون مع الصين وروسيا وجنوب أفريقيا والهند، أيضاً ساهم خطابه في وضع مسافة بينه وبين الاتحاد الأوروبي، وبخاصة ألمانيا، بسبب القضايا المتعلقة بسياسات حكومته في مجال البيئة في منطقة غابات الأمازون، فضلاً عن السياسات الحمائية الاقتصادية في المجالات الزراعية التي اتبعتها البرازيل^(٥).

ويمكن القول إن التغيير الوحيد كان مؤقتاً وخطابياً بدرجة كبيرة مع الولايات المتحدة في السنوات التي حكم فيها ترامب أمريكا. ففي بيان للخارجية البرازيلية -خروجاً على ثوابت سياساتها الخارجية: عدم الانحياز، رفض التدخل، والسلمية- رحبت بمقتل قائد فيلق القدس الإيراني قاسم سليمان على يد القوات الأمريكية. فضلاً عن تصريح ترامب برغبته ترقية درجة التحالف مع البرازيل إلى حليف رئيس من غير الناتو، وهو ما تحقق في يونيو ٢٠١٩؛ وذلك لزيادة التعاون الأمني والعسكري

في البرازيل، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ١٣ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٦ فبراير ٢٠٢٣، متاح عبر الرابط التالي:

<http://bit.ly/41NumKc>

(3) A Test for Democracy: Brazilian Presidential Elections, Op. cit.

(٤) أيمن يوسف، معاني صعود اليمين المحافظ في البرازيل في انتخابات

٢٠١٨ داخلياً وخارجياً وفلسطينياً، مرجع سابق، ص ص ١٧٩-١٨٥.

(5) Claudia Zilla, Foreign Policy Change in Brazil: Drivers and Implications, (Berlin: SWP Research Paper, 2022), pp. 5-6.

تولاها فريتاس^(١) الوزير السابق في إدارة بولسينارو^(٢).

ولكن يُشير أحد المختصين في النظام السياسي البرازيلي، أن الرئيس البرازيلي يتمتع وفقاً للدستور بصلاحيات رئاسية أوسع مقارنةً بالنظم الرئاسية الأخرى، كتلك الموجودة في الولايات المتحدة على سبيل المثال، وهو ما يضمن له قدرة أوسع على تشكيل التحالفات، وقيادة النظام السياسي، وتسيير دفة الحكم، كما أنه يرى أن سياسي بحنكة دا سيلفا، سيستطيع أن يوظف هذا التنوع لصالحه، وهو ما تبلور فعلياً في سرعة تشكيله للحكومة^(٣).

٢- السياسة الخارجية: من الميل إلى الولايات المتحدة إلى إعادة التوازن والاستقلالية:

من المعروف في أدبيات السياسة الخارجية لدول أمريكا اللاتينية، وللبرازيل بالتحديد، أن الرئيس يلعب دوراً مميزاً في ملفات السياسة الخارجية المختلفة، وأن شخصية الرئيس وقناعاته عامل حاسم في تغيير تفضيلات السياسة وأيديولوجيتها. ولذلك، ستكون قضايا السياسة الخارجية مؤشراً مهماً على معالم التحول في السياسة البرازيلية بصفة عامة على مستوى الخطاب وعلى مستوى التحركات الفعلية.

اتسم خطاب بولسينارو في ملفات السياسة الخارجية بالشعبوية، والاتساق مع الخطاب اليميني في الولايات المتحدة وإسرائيل. فمال ناحية الولايات المتحدة في عهد ترامب، ووصف الصين بأنها تريد شراء البرازيل، وأنه سيقبل الاعتماد عليها، في مقابل شركاء آخرين غربيين، كما لم يتضح لسياسته اهتمام خاص بمناطق العالم النامي، وبخاصة أفريقيا، كما عمل على

(١) تاريسيو دي فريتاس، ولد في يونيو ١٩٧٥، تلقى تعليماً عسكرياً، وخدم في الجيش لمدة ١٧ عاماً، تولى مناصب حكومية مختلفة في ظل إدارة ديلا روسيف، وبعدها أختير وزيراً للبنية التحتية في عهد جاير بولسينارو. ونجح في انتخابات الولاية بعدما ألحق الهزيمة بمرشح حزب العمال عام ٢٠٢٢، للمزيد عنه انظر:

Governador, SAO PAULO Website, Accessed: 6 March 2023, 10:40, available at: <http://bit.ly/3ZH0ftv>

(٢) سانتياجو فيار، عودة لولا: انعكاسات "المباراة الانتخابية" الأكثر جدلاً

النصف الغربي من الكرة الأرضية، من المتوقع أن يشمل هذا النهج تعاونًا متزايدًا مع حكومات دول أمريكا اللاتينية، وإنعاش المنظمات الإقليمية المختلفة، وأن يوازن لولا علاقات بلاده مع الولايات المتحدة بسبب الفترة التي شهدت توتر بعد تولي جو بايدن، وخاصةً وأنه يريد تطبيع علاقات الولايات المتحدة مع فنزويلا^(٤).

ترجم لولا هذا واقعياً، في قيامه بأولى جولاته الخارجية إلى الأرجنتين؛ لدفع عملية التكامل الإقليمي في ٢٣ يناير ٢٠٢٣، وناقش مع نظيره كيفية زيادة التعاون الاقتصادي والسياسي، وكذلك إمكانية إصدار عملة مشتركة للمعاملات التجارية والمالية بين البلدين^(٥). ثم في ١٠ فبراير زار واشنطن لبحث سبل التعاون مع الولايات المتحدة، فجاء على رأس الاهتمامات قضايا البيئة، وتدعيم الديمقراطية، ومكافحة اليمين المتطرف، والنفوذ الصيني في العالم، فضلاً عن دعوة البرازيل لاتخاذ موقف أكثر إيجابية تجاه الأزمة الأوكرانية^(٦).

على الصعيد العالمي، يُتوقع أن يحافظ لولا على علاقات وثيقة مع الدول أعضاء البريكس (روسيا، والهند، والصين، وجنوب أفريقيا)، والعمل مع الدول النامية الأخرى لتعزيز مصالحها في المنظمات متعددة الأطراف. ومع ذلك، فإنه من غير المرجح أن يغير موقف البرازيل فيما يتعلق بالحرب الروسية الأوكرانية، أو أن ينخرط بصورة مباشرة في المنافسة بين الولايات المتحدة والصين - وهما أكبر الشركاء التجاريين للبرازيل^(٧). وقد أعلنت إدارة لولا أنه سيوزر بكيين لمدة ٤ أيام تبدأ

مع البرازيل^(٨). كما أخذت البرازيل رسمياً خطأً حيادياً "سليماً" تجاه الأزمة الأوكرانية، لا هو يدين روسيا على طول الطريق، ولا يدعم أوكرانيا وحلفاءها دائماً، أو حتى يُنادي بوقف العمليات العسكرية، وإنما تذبذب سلوكها التصويتي وتصريحاتها تجاه الأزمة، ففي الوقت الذي صوتت فيه لصالح إدانة الغزو الروسي في جلسة مجلس الأمن ٢٥ فبراير ٢٠٢٢، امتنعت عن التصويت في مجلس حقوق الإنسان بشأن تعليق عضوية روسيا^(٩).

ولكن ما إن أُعلن فوز لولا رسمياً، حتى قدم العديد من رؤساء أمريكا اللاتينية له التهنئة، خاصةً التي تنتشر فيها حكومات يسارية، إذ يعد هذا الفوز ليس فقط انتصاراً لليسر في البرازيل، ولكنه انتصار مهم لليسر في أمريكا اللاتينية. كما تلقى لولا اتصالات دعم وتهنئة من قادة الولايات المتحدة وفرنسا وإسبانيا وكندا وأستراليا، الذين دعوا إلى ضرورة التعاون معاً في مجالات تغير المناخ والميادين الأخرى السياسية والاقتصادية.

في أول إشارة لملفات السياسة الخارجية قال لولا في خطاب التنصيب: "اليوم نقول للعالم إن البرازيل عادت وإنها مستعدة لاستعادة مكانتها في مكافحة أزمة المناخ"^(١٠). إن هذه الإشارة توضح الكثير حول معالم التحول الذي يسعى لولا لإحداثه في سياسة بلاده الخارجية، مقارنةً بسلفه؛ إذ على غرار فترات حكم لولا السابقة، من المرجح قيامه بدورٍ نشطٍ في الشؤون الدولية، سعياً لزيادة نفوذ البرازيل مع الحفاظ على مبدأ استقلاليتها السياسية الخارجية، والعلاقات الودية مع جميع البلدان. داخل

المشتركة بين البرازيل والأرجنتين؟، إنترجونا للتحليلات الاستراتيجية، ٢٥ يناير ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢ مارس ٢٠٢٣، الساعة: ١١:١٠، متاح عبر

الرابط التالي: <http://bit.ly/3ygDtFM>

(٦) لولا الخميس إلى واشنطن لإنعاش العلاقات الثنائية بين البرازيل والولايات المتحدة، سويس إنفو (SWI) swissinfo.ch، ٨ فبراير ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ١ مارس ٢٠٢٣، الساعة: ٢٠:٣٠، متاح عبر الرابط التالي:

<http://bit.ly/3ZIdYZH>

(7) Nigel Walker, Brazil: 2022 presidential election, (UK Parliament: House of Commons Library, December 2022), available at: <https://bit.ly/3FOFXvB>

(1) Ibid. pp. 18-19.

(2) Ibid. p.22.

(٣) لولا دا سيلفا في خطاب النصر: البرازيل عادت للساحة الدولية ولن تكون منبوذة وهي بحاجة إلى الوحدة، RT العربية، ٣١ أكتوبر ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ١ مارس ٢٠٢٣، الساعة: ٨:١٠، متاح عبر الرابط التالي:

<https://bit.ly/3IT97y7>

(٤) العلاقات الأمريكية البرازيلية.. لولا في واشنطن للقاء نظيره الأمريكي بايدين، فرانس ٢٤، ١٠ فبراير ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢ مارس ٢٠٢٣،

الساعة ٥:٥٠، متاح عبر الرابط التالي: <https://bit.ly/41LgVdH>

(٥) صدفة محمود، عقبات التكامل: ما فرص نجاح مشروع العملة

وينخرطون في المجتمع البرازيلي في المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية والثقافية. ونظرًا لانخراطهم في المجتمع سادت حالة من الانقسام بين أفراد الجالية، تبعًا لانتماءاتهم السياسية، وطبيعة أنشطتهم التجارية، وخلفياتهم الوظيفية والعلمية؛ فهم لا يشكلون قوة موحدة للتأثير، إذ تلعب المتغيرات الجليدة دور مهم في تكون مواقفهم. فمثلًا "لا يشعر أحفاد الموجات الأولى من المهاجرين عادةً بارتباط كبير بجذورهم"، بخلاف الجيلين الأول والثاني من العرب البرازيليين الذين يميلون إلى اتباع سياسات نشطة تجاه الشرق الأوسط مع الشعور بأنهم أقرب إلى العالم العربي^(٥).

ورغم أنه لا توجد إحصاءات تفحص آراء عرب البرازيل من الانتخابات، فإنه يسود اعتقاد بأن العرب من رجال الأعمال، والمنخرطين في أنشطة التجارة الزراعية دعموا بولسينارو، في حين أن النخب الفكرية والتعليمية والفنانين اتجهت نحو لولا، كما صوت المسلمون المتدينون للأخير، بسبب القضية الفلسطينية، كما أنه حسب بعضهم أظهر انفتاحًا على مجتمع المسلمين أكثر من بولسينارو^(٦).

لذلك، فإن تأثيرات فوز لولا على عرب البرازيل أو الجاليات العربية في البرازيل ستختلف تبعًا لوجهات نظرهم السياسية، ومواقفهم الأيديولوجية، ومصالحهم الخاصة. ففي حين قد تجد بعض الفئات التي كانت منتفجة اقتصاديًا من سياسات بولسينارو في فوز لولا انتقاصًا من مكاسبهم، سيجد بعض المسلمين المهتمين بقضايا العرب والإسلام والقضية الفلسطينية في لولا مخلص من تطرف بولسينارو بيمينيته

(٤) سانتياجو فيار، عودة لولا: انعكاسات "المباراة الانتخابية" الأكثر جدلاً في البرازيل، مرجع سابق.

(5) Arab Brazilians count on Lula to heal divisions, forge closer ties with Middle East nations, Arab News, 4 November 2022, Accessed: 3 March 2023, 8:00, available at: <http://bit.ly/3STwqw2>

(6) Eman Abusidu, Brazil elections: Arab diaspora fear four more years of Bolsonaro, Middle East Eye, 28 October 2022, Accessed: 3 March 2023, 9:00, available at: <http://bit.ly/3ZmlqK8>.

في ٢٨ مارس؛ لمناقشة القضايا المتعلقة بالتجارة والاستثمار، والحرب الروسية الأوكرانية، وغيرها من القضايا المهمة على الساحة الدولية^(١).

التغير الأهم الملموس عن سلفه، الذي سيكون له آثار بعيدة المدى هو في مجال سياسات البلاد تجاه البيئة؛ حيث صرح لولا في قمة المناخ السابعة والعشرين بشرم الشيخ: إنه سيغير سياسات البرازيل البيئية "١٨٠ درجة" عن سياسات بولسينارو؛ إذ تحت حكم الأخير، شهدت إزالة الغابات في منطقة الأمازون البرازيلية أعلى مستوى لها منذ ١٥ عامًا، ما عرّض الجهود العالمية للخطر بشأن تخفيف حدة تغير المناخ، كما حول بولسينارو حوكمة ملف البيئة من يد المختصين بشؤون البيئة والمجتمع المدني إلى يد العسكريين، الذين مالوا نحو أمننة سياسات البلاد تجاه الأمازون^(٢).

وتُعد البرازيل عالميًا من أهم الأطراف الفاعلة في مجالات الاهتمام بالبيئة وتحقيق التنمية المستدامة. ولقد شهدت البرازيل أثناء سنوات حكم لولا ٢٠٠٣ - ٢٠١٠ إنجازات واضحة في الحد من إزالة الغابات في منطقة الأمازون^(٣). ومن هنا، شدد لولا في خطاباته على أن "البرازيل على أتم الاستعداد لتولي زمام المبادرة من جديد في مكافحة أزمة المناخ، وسنحاول إثبات أنه من الممكن خلق قيمة مضافة وتكوين ثروات دون تدمير بيئتنا، فالبرازيل وكوكب الأرض كله بحاجة إلى أمازون مفعم بالحياة"^(٤).

٣- عرب البرازيل: أي تداعيات لفوز لولا؟

يعيش في البرازيل ما يقرب من ١١ مليونًا من أصول عربية، يُطلق عليهم "عرب البرازيل"، أغلبهم لبنانيون وسوريون؛

(١) أول زيارة.. رئيس البرازيل يلتقي نظيره الصيني في بكين، صوت بيروت إنترناشونال، ١٨ فبراير ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع: ٣ مارس ٢٠٢٣، الساعة: ١٩:٢٠، متاح عبر الرابط التالي: <https://bit.ly/3SYX86M>

(2) Claudia Zilla, Foreign Policy Change in Brazil: Drivers and Implications, Op. cit.

(٣) آلاء عثمان، البرازيل في مؤتمر المناخ.. تمثيل منقسم و"لولا" يرفع راية "الأمازون"، الشرق، ١٧ نوفمبر ٢٠٢٢، تاريخ الاطلاع: ٢٨ يناير ٢٠٢٣، الساعة: ١٢:٠٠، متاح عبر الرابط التالي: <http://bit.ly/3kQ9m4R>

المسيحية القريبة من إسرائيل.

خاتمة:

إن عودة لولا دا سيلفا إلى المشهد السياسي في البرازيل، إلى جانب تفشي فيروس كورونا، وما تبعها من سياسات اقتصادية واجتماعية هشة أنقصت من شعبية بولسينارو، وعمقت الاستقطاب السياسي في المجتمع البرازيلي، ساهمت في وضع بذور التحولات السياسية والاقتصادية التي ستشهدها البرازيل مع عودة اليسار إلى رئاسة الجمهورية ممثلًا في قيادته التقليدية لمؤسس حزب العمال، لولا دا سيلفا. إلا أن السياق الذي سيحكم فيه لولا يختلف كليًا عن السياق الذي حكم فيه في الفترات سابقة، عندما تسلم البلاد بحالة من الاستقرار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ساعدت في تحقيق نجاحات ملموسة في وقتٍ قياسي، وليس أدل على ذلك أن النسبة التي فاز بها لولا في الانتخابات الرئاسية كانت أقل نسبة يحصل عليها رئيس ناجح في تاريخ ديمقراطية البرازيل، بفارق أقل من ١٪ فقط عن منافسه الأقرب في جولة الإعادة.

ولذلك، فإن حجم التحديات التي تحيط برئاسة لولا هذه المرة أكبر وأعمد، في ظل مجتمع تبدو الهوة واسعة بين مكوناته ليس فقط سياسيًا واقتصاديًا، ولكن عنصريًا أيضًا. وللتعامل مع هذا التحدي لجأ لولا إلى سياسات التحالفات الواسعة في الداخل، وإعادة التوازن في السياسات الخارجية. فشكل حكومة كبيرة تضم إلى جانب حزبه كافة الأحزاب الممثلة في البرلمان تقريبًا

بما في ذلك أحزاب يمين الوسط. كما مثل بلاده في قمة المناخ السابعة والعشرين، حتى قبل تسلمه مقاليد السلطة الرسمية؛ ليؤكد عبرها تجديد التزام بلاده بالأجندة البيئية، وبضرورة حماية غابات الأمازون، وعودة البرازيل كقوة فاعلة في القضايا الدولية. بالإضافة لقيامه في الأيام الأولى بعد تنصيبه بزيارة الأرجنتين، أتبعها بزيادة إلى الولايات المتحدة، ثم سيشهد مارس قبل نهايته زيارة عمل مطولة للصين.

إن عودة لولا قد تعني الكثير للعرب والمسلمين ليس فقط داخل البرازيل، وإنما خارجه أيضًا، على الأقل من الناحية الرمزية. إذ إن بولسينارو كان قد أعلن في حملته الانتخابية رغبته نقل عاصمة بلاده للقدس، في خطوة على غرار ما قام به ترامب. وعلى الرغم من أنه لم ينفذ هذا الوعد، فإن مجرد الإعلان عنه قد أصاب عددًا من الدول العربية والإسلامية بحالة من الضيق بسبب هذه التصريحات، كما أن أحدًا لم يكن يدري هل كان سيحقق هذا الوعد حال نجاح في الوصول لولاية ثانية أم لا. لولا على المستوى الرمزي أقرب للدفاع عن القضايا العادلة في المجتمع الدولي، وفي القلب منها فلسطين، التي اعترف بها كدولة قبل عام من انتهاء ولايته الثانية في ٢٠٠٩. كما يشدد دائمًا على توثيق العلاقات في إطار تعاون الجنوب - الجنوب، الذي كان قاطرة للسياسة الخارجية البرازيلية في سنوات حكمه السابقة، والذي يتوقع أن يُعاد تفعيله في فترته الرئاسية الجديدة.

عروض كتب

صناعة علاقات دولية عالمية

د. آية عنان*

والاقتصاد السياسي "الماركسية" هي فكرة مستمدة من فرع آخر للنظريات الأوروبية للاقتصاد السياسي في القرنين التاسع عشر والعشرين وعلم الاجتماع التاريخي، والمدرسة الإنجليزية (ES) هي فكرة مجردة من القرن التاسع عشر والسلوك الدبلوماسي؛ ومن ثم فقد تمّ بناء حقل العلاقات الدولية على أسس فلسفة المعرفة الغربية، وتهميش الأجزاء الأخرى من العالم، خاصة العالم الثالث، ورؤية العالم فقط وما فيه من أحداث من خلال عدسات التنافس بين القوى العظمى.

انعكس هذا التوجّه أيضاً على الهيمنة الفريدة للولايات المتحدة من حيث السيطرة على الأخبار والمجلات والجمعيات الأكاديمية والمناقشات النظرية. ومن ثم ليس من الغريب أن تعكس العلاقات الدولية مخاوف الولايات المتحدة ومصالحها بشأن الحرب الباردة والاقتصاد العالمي والاصطفاف الأيديولوجي للعالم الثالث، لكن سرعان ما تغيّر الأمر بعد اختلال الهيمنة الأمريكية، وصعود قوى عالمية أخرى بعد عام ٢٠٠١ والحرب الأمريكية ضد الإرهاب العالمي، وفي هذا الصدد يقسم الكتاب تاريخ العلاقات الدولية إلى عدّة مفاصل هامة، أهمها النشأة الأولى حتى عام ١٩١٩، ثم فترة ما بين الحربين العالميتين منذ عام ١٩١٩ وحتى ١٩٤٥، ثم منذ عام ١٩٤٥ وحتى الحرب الباردة والثنائية القطبية، وبعدها فترة انهيار الاتحاد السوفيتي والقطبية الأحادية للولايات المتحدة الأمريكية بعد عام ١٩٨٩، وأخيراً بزوغ النظام العالمي ما بعد الغربي وصعود قوى دولية أخرى.

● العلاقات الدولية ما قبل عام ١٩١٩:

يناقش الكتاب في هذه الفترة تاريخ نشأة العلاقات الدولية

مقدمة:

يعد كتاب "تشكيل العلاقات الدولية العالمية: أصول حقل العلاقات الدولية وتطوره في ذكراه المئوية"^(١) أحد الأدبيات الهامة لدراسة علم العلاقات الدولية من منظور غير غربي؛ حيث يطرح عدّة تساؤلات هامة حول نشأة وتطور ومآل علم العلاقات الدولية، كردّ فعل على الرؤى الغربية التي تدّعي أن نشأة الحقل جاءت فقط كردّ فعل مع قيام الحرب العالمية الأولى؛ استجابةً لقضية السلام والحرب في المجتمع الدولي، كما يناقش الكتاب أيضاً الجدل حول طبيعة ونطاق العلاقات الدولية وهل العلاقات الدولية غربية فقط أم عالمية؟ ومن ثم يهدف الكتاب لإلقاء الضوء على رؤى غير غربية لإضفاء نكهة عالمية لحقل العلاقات الدولية، من خلال تقديم نظرة عامة واسعة النطاق على بعض الموضوعات الرئيسية للعلاقات الدولية خارج نطاق أوروبا وأمريكا الشمالية، وذلك من أجل الإجابة على تساؤل رئيس وهو متى وكيف ولماذا اكتسب حقل العلاقات الدولية هيكله المتمركز في الغرب؟

● هدف الكتاب ومحور رسالته:

ينتقد الكتاب التحيز الغربي المستمر للعلاقات الدولية على مستوي النظرية والتطبيق، ويهدف إلى معالجة السرد أحادي الجانب للعلاقات الدولية، فيرى المؤلفون أن العلاقات الدولية السائدة ليست أكثر من مجرد انعكاس للتاريخ الغربي المتقاطع مع النظرية السياسية الغربية، فالواقعية هي فكرة مستمدة من القرن الثامن عشر الأوروبي من ميزان القوى العالمية، والليبرالية هي فكرة مستمدة من المنظمات الحكومية الدولية الغربية (IGOs) ونظرياتها في القرنين التاسع عشر والعشرين،

* باحثة في العلاقات الدولية.

(1) Amitav Acharya and Barry Buzan, The Making of Global International Relations Origins and Evolution of IR at its Centenary, (Cambridge: Cambridge University Press, 2019).

من الحدوث مرة أخرى، وأصبح منع حرب أخرى هو الأولوية القصوى للنظام "الجديد". من خلال معرفة أسباب تلك الحرب، والحد من التسلح ونزع السلاح، ومن ثم كرس علم العلاقات الدولية نفسه للمشكلة الكبرى والنبيلة للحرب والسلام، وإدارة الفوضى الدولية وعلاقات القوى العظمى، وسباق التسلح والاقتصاد العالمي مع استمرار تهديد واستبعاد العالم الآخر من العلاقات الدولية، ولذا يجادل المؤلفان أن "أسطورة" تأسيس العلاقات الدولية في عام ١٩١٩ هي نصف الحقيقة، حيث إنه بالفعل أصبحت العلاقات الدولية مجالاً دراسياً واعياً بذاته في عام ١٩١٩، واكتسب مهارة ذات دلالة من خلال إضفاء الطابع المؤسسي، وصحيح أيضاً أن الصدمة الأولى من الحرب العالمية أعادت التركيز في أولويات المجال ومشكلة الحرب والسلام بين القوى العظمى في عالمٍ حاد الانقسامات الأيديولوجية، إلا أنه ليس صحيحاً أن التفكير المنهجي والتنظير حول العلاقات الدولية الحديثة بدأ في عام ١٩١٩.

● العلاقات الدولية ما بين الحربين العالميتين (١٩١٩-١٩٤٥):

يغطي هذا الجزء سنوات ما بين الحربين، كمحاولة فاشلة لاستعادة وتحسين المجتمع الدولي من قبل عام ١٩١٤، والحرب العالمية الثانية التي كانت نتيجةً لذلك الفشل. أعقبها أزمات متعدّدة مثلت تحديات للعلم، منها: أزمة منهجية للحدثة على نطاق عالمي والجولات اللاحقة لهذه الأزمة (الحرب العالمية الثانية، وإنهاء الاستعمار والحرب الباردة، وصعود قوى دولية أخرى)، ومن ثم يرى الكتاب أن بنية العلاقات الدولية في هذه الفترة حافظت على نسختها ١٠٠ مع استمرار نظام المحيط المركزي الذي يهيمن عليه الغرب؛ حيث إن مجال العلاقات الدولية وُلد خلال فترة ما بين الحربين، بهدف محدّد هو منع اندلاع حرب عالمية أخرى واسعة النطاق ومديرة ومنهكة. ومن ثم ظلّ الهدف الأساسي من نشأة العلم هو تجنّب الحرب وتحسين ظروف الناس وجعلهم يعيشون في مكان أفضل، وهذا الرأي مجسّد في أسطورة النقاش الواقعي / المثالي.

وفيما يتعلّق بالقضايا محل اهتمام الحقل سيطرت قضايا

حتى عام ١٩١٩ وهو التاريخ المعترف به من قبل الرؤى الغربية لميلاد حقل العلاقات الدولية؛ حيث تغيّر كلُّ شيء في العلاقات الدولية خلال هذه الفترة الزمنية، نتيجة عددٍ من الأحداث الهامة جاءت من ضمنها: تأثير ثورات الحدثة على العلاقات الدولية، وترسيخ التاريخ الاستعماري الغربي وردود الفعل ضده، وصدمة الحرب العالمية الأولى.

وهو ما أطلق عليه الكتاب النسخة الأولى من قيام المجتمع الدولي (الإصدار ١٠٠ من العلاقات الدولية). تميّز هذا المجتمع الدولي بانقسام صارم بين المركز (الغرب) بقيادة أوروبا والدول الأخرى (الأطراف)، كما تميّز بالاستعمار والعنصرية، والتوترات بين الملكية والحكومات الجمهورية، وقد أطلقت الحرب العالمية الأولى تنافساً أيديولوجياً ثلاثي الأبعاد بين الاشتراكية والفاشية والديمقراطية الليبرالية، مع دفع الملكيات إلى الخلفية، الصدمة الكبيرة الأخرى كانت لشريعة وصلاحيات حرب القوى العظمى كأداة للسياسة، ومن ثم ركّز علم العلاقات الدولية في هذه الفترة على دول المركز المتمثلة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية مع استبعادٍ تامٍ لباقي أنحاء العالم المهمّش.

● تأسيس حقل العلاقات الدولية ١٩١٩م:

صيغ لأول مرة مصطلح "دولي" عام ١٧٨٩ للإشارة إلى المعاملات القانونية بين الملوك، إلا أنه في العصر الحديث تمّ استخدام مصطلح "الدراسات الدولية" و"السياسات الدولية"، وفي هذا الصدد يبحث الكتاب في الجدول حول تاريخ التأسيس العلاقات الدولية، منتقداً ما تمّ طرحه من المنظور الغربي حول أسطورة التأسيس في عام ١٩١٩، وكيف ارتبط ذلك بما حدث من قبل؛ حيث يرى أن تأسيس العلم من حيث القضايا والمناهج النظرية نشأ وتأسس قبل عام ١٩١٩، وأن علم العلاقات الدولية لم ينشأ في عام ١٩١٩ كردّ فعلٍ على أهوال الحرب العالمية الأولى، بل بدأ قبل هذا التاريخ في إطار السياسات الدبلوماسية؛ كما أدّت الجهود المبذولة في تنظيم العالم من خلال عصبة الأمم إلى الاستعانة بمناهج القانون الدولي، والاقتصاد الدولي، حيث جعلت الحرب العالمية الأولى علم العلاقات الدولية مهووس بصدمة الحرب وكيفية منع الكارثة

الدولية، بما في ذلك الليبرالية والاشتراكية والواقعية، إلى جانب قضايا القومية، والمنظمات الدولية، والاقتصاد السياسي، والجغرافيا السياسية ومكافحة الاستعمار.

● العلاقات الدولية بعد عام ١٩٤٥ وفترة الحرب الباردة:

قام الكتاب بوصف هذه المرحلة بالنسخة المحدثة من المجتمع الدولي (١،١ من المجتمع الدولي) حيث سيطر على المجتمع الدولي في هذه المرحلة موضوعان رئيسان: الثنائية القطبية، والتي تضمنت توزيعاً جديداً للسلطة ومنافسةً على الشكل المستقبلي لقيادة النظام الدولي وتأثير الأسلحة النووية، ومن ناحية أخرى إنهاء الاستعمار والمواضيع ذات الصلة مثل القومية، والتنمية، وتجدر الإشارة إلى أن التفاعل بين القطبية الثنائية وإنهاء الاستعمار جعلت العلاقات الدولية "عالمية لأول مرة"، فقد شكّلت الحرب العالمية الثانية تحولاً مهماً في العلاقات الدولية من الإصدار ١،٠ للمجتمع الدولي، الذي تمّ إعداده لأول مرة أثناء القرن التاسع عشر إلى الإصدار ١،١ للمجتمع الدولي. والذي تميّز بعددٍ من الأحداث المفصلية وهي التحول من نظام متعدّد الأقطاب بعدة قوى عظمى إلى نظام ثنائي القطب مع قوتين عظميين فقط، وإدخال الأسلحة النووية وإيصالها عبر القارات، ونزع شرعية العنصرية وإنهاء الاستعمار في المستعمرات السابقة كمحيط جديد لـ"البلدان النامية" في العالم الثالث، فقد كان إنهاء الاستعمار تحولاً جذرياً للغاية في العلاقات السياسية بين المركز والأطراف.

● النشأة الثانية لعلم العلاقات الدولية ١٩٤٥:

خضع علم العلاقات الدولية لتأسيس ثانٍ في هذه المرحلة؛ حيث اتسع وتعمّق إضفاء الطابع المؤسسي؛ وأصبحت الولايات المتحدة هي مركز العلم (على الرغم من الفشل في تحقيق فكر الهيمنة) حيث على الرغم من هيمنة منظورات الواقعية الجديدة والنيوليبرالية، إلا أنه كان هناك قدر كبير من التنوع داخل الحقل، بسبب انتقادات الفلسفة الوضعية للعلم، وظهور المدرسة الإنجليزية، وتحديّ الماركسيين Gramscian، ونظريات التبعية، وما بعد الاستعمار.

ومن حيث القضايا، سيطرت على العلاقات الدولية خلال

الحرب العالمية الثانية، والحوار السياسي الدولي، ويرى الكتاب أن الحرب العالمية الأولى والثانية وكذلك الحرب الباردة ليست أحداثاً منفصلة، ولكن مراحل في أزمة أكثر عمومية تتكشف من عواقب التحول بالجملة في العلاقات الدولية التي ولدت خلال القرن التاسع عشر من قبل ثورات الحداثة، كما حدّدت نتيجة الحرب العالمية الثانية الملامح الرئيسية المسيطرة على العلاقات الدولية حتى نهاية الثمانينيات، والتي كان من أهمها: التنافس المادي والأيدولوجي المكثف على نطاق عالمي بين قوتين عظميين، وظهور الصين كمحور ثالث في لعبة القوة الكبرى والأيدولوجيا، والتأثير الهائل للأسلحة النووية وسباق التسلح، وكيفية التكيف مع تفكك الاستعمار.

أمّا فيما يتعلّق بالتنظير في حقل العلاقات الدولية فقد تركّز في التمييز القوي بين الشعوب "المتحضّرة" وتلك التي استعمرتها؛ ممّا ساهم في زيادة تهميش الاهتمام بالعلاقات الأساسية مع الأطراف (الدول المستعمرة)، على الرغم من أنه كان هناك رؤى أخرى غير غربية للعلاقات الدولية، تركزت حول مناهضة الاستعمار ومناهضة العنصرية (البيضاء)، لكنها بشكل أساسي لم تكن اتّخذت بعد الشكل الأكاديمي، فقد كانت مناهضة الاستعمار موضوعاً مشتركاً ودافعاً لكثير من التفكير بالعلاقات الدولية في دول المحيط. كان هذا صحيحاً بشكل خاص في تلك الأماكن مستعمرة أو مختزقة بشكلٍ كبيرٍ من قبل القوى الغربية، وكانت في كثيرٍ من الأحيان تتشابك مع مزيج من الإقليمية والقومية، والتنمية.

فالعلاقات الدولية لم تنشأ فقط من الانقسام المثالي والواقعي في الغرب، ولكن أيضاً بسبب الانقسام العرقي والاقتصادي والسياسي بين الغرب والبقية، ومن ثم أصبحت العلاقات الدولية مؤسسية بشكل كبير كتخصص أكاديمي، خاصة في الغرب، ولكن أيضاً إلى حدٍ ما أكثر عالمية. مع ذلك احتفظت بالكثير من الاستمرارية المركزية والتحيز الغربي، وكانت تركّز بشكل كبير على وجهات النظر الغربية ومشاكل المركز الغربي، حيث كان هناك قدر كبير من الاستمرارية في الأنواع الرئيسة للموضوعات والمناهج والنظريات في العلاقات

الاقتصادية التي بدأت في عام ٢٠٠٨، وبدأ المجتمع الدولي بشكل واضح في الانتقال إلى المرحلة ما بعد الغربية؛ حيث بدأت الدول النامية الكبرى مثل الصين والهند بتوحي أدوار القوى العظمى. فالثروة والسلطة والهيمنة كانوا جميعًا يبتعدون عن النواة الغربية القديمة واليابان. وكان هذا يوازيه تراجع مطرد في مكانة الولايات المتحدة، القوة العظمى الوحيدة من حيث القدرة المادية والفكرية والمكانة والسلطة، حيث واجهت الولايات المتحدة الأمريكية أزمة عميقة نتيجة الركود الكبير الذي بدأ في عام ٢٠٠٨ والتصويت لترامب وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في عام ٢٠١٦، وفي هذه المرحلة كان كلٌّ من المركز والأطراف متشابكين بشكل متزايد في مجموعة من الأزمات التي تهدد المصائر المشتركة.

فمع الانتشار المتزايد للثروة والسلطة في الدول (الأطراف) وظهور ثقافات أخرى حول العالم غير غربية، تمّ دفع العلاقات الدولية نحو التعددية في سياقٍ مستمرٍّ من تكثيف العولمة والاعتماد المتبادل؛ حيث كان هناك علامات على التحول الاقتصادي الشامل للأطراف. وكان التحول الأكثر دراماتيكيةً هو النمو الاقتصادي للعديد من البلدان في آسيا، بقيادة الصين والهند، فتقديرات معهد الاتحاد الأوروبي للدراسات الأمنية تؤكد أنه بحلول عام ٢٠٣٠، يمكن أن تستحوذ الصين والهند على أكثر من ٣٤٪ من الاقتصاد العالمي. وأيضًا فإن تقريرًا صادرًا عن برايس ووترهاوس كوبرز (٢٠١٥) يتوقع أن الصين والهند ستظهران كأكبر اقتصادين في العالم بحلول عام ٢٠٥٠، تليهما الولايات المتحدة واندونيسيا والبرازيل والمكسيك واليابان وروسيا. ووفقًا لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ٢٠١٣) فإن حصة الجنوب العالمي من الناتج المحلي الإجمالي العالمي قد ارتفعت من ٣٣٪ في عام ١٩٨٠ إلى ٤٥٪ في عام ٢٠١٠. وخلال نفس الفترة ارتفعت تجارة البضائع من ٢٥٪ إلى ٤٧٪، ومن ثم ربما تكون الأزمة الاقتصادية لعام ٢٠٠٨ بمثابة المعيار وتاريخ التحول بين الإصدار ١,١ و ١,٢ للمجتمع الدولي.

إن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي يواجهان أزمة عميقة،

هذه الفترة قضايا العلاقات بين الشرق والغرب، ممّا دفع إلى الاهتمام بالعلاقات بين الشمال والجنوب؛ حيث أدّى إنهاء الاستعمار ورفض العنصرية إلى تفكير العلاقات الدولية في الجنوب، بدلًا من ذلك تحوّلت معارضة الاستعمار إلى معارضة عدم المساواة الاقتصادية، والمركزية الأوروبية والعنصرية الخفية لكثيرٍ من التفكير الغربي للعلاقات الدولية.

وتستند فكرة أن حقل العلاقات الدولية كان لها "تأسيس ثان" بعد عام ١٩٤٥ إلى عدّة أحداث منها التوسّع الهائل في إضفاء الطابع المؤسسي من حيث التدريس والبحوث، وصعود جمعيات العلاقات الدولية الأكاديمية المستقلة، والصعود السريع للتخصّصات الفرعية الجديدة، وأبرزها الدراسات الاستراتيجية مع تركيزها على المشاكل الفريدة التي تطرحها الأسلحة النووية، وبدايات الاعتراف بالدول المهتمّشة في جوهر تفكير العلاقات الدولية.

يمكن تفسير معظم هذه التغييرات من خلال تحوّل مركز جاذبية العلم للولايات المتحدة، كمشارك عالمي في حين تخلّفت بريطانيا إلى المركز الثاني، وكانت ألمانيا واليابان تابعتين لأمريكا وتحت تأثيرها. ومن جانب آخر، كان تأثير الاتحاد السوفيتي ضئيلًا على التنظير في العلاقات الدولية، وجلب هذا التحول العديد من المزايا، مثل التمويل الأمريكي للأبحاث والدراسات في مجال العلاقات الدولية.

وفيما يتعلّق بالمنهجية سيطرت الأساليب الكمية بشكلٍ متزايدٍ على العلاقات الدولية الأمريكية، وظلّت الولايات المتحدة مسيطرةً على العلم، ومع ذلك، كانت هناك بدايات مشاركة العلاقات الدولية بين المركز والمحيط، بمساعدة ظهور نظريات التبعية، فعلى الرغم من أن إنهاء الاستعمار كان تغييرًا كبيرًا في الحقل وجزءًا أساسيًا من التحول من الإصدار ١,٠ إلى الإصدار ١,١ للعلاقات الدولية، حيث تمتعت الأطراف باستقلال وصوت سياسي أكبر، فإنه لم يكن لديها ثروة وقوة من الناحية المادية.

● العلاقات الدولية بعد عام ١٩٨٩:

تغطّي هذه الفترة من نهاية الحرب الباردة وحتى الأزمة

القوى العظمى الصاعدة تطمح للاعتراف بها عالمياً كقوى عظمى، تفتقر إلى أي رؤية متماسكة لكيفية تشكيل المجتمع الدولي. لذلك، فإنهم يركزون على تطوير الاقتصادات الوطنية لديهم فقط مما يعوق التقدم نحو صناعة علاقات دولية عالمية.

خاتمة:

تتمثل إحدى النتائج الرئيسية لهذا الكتاب في أنه على الرغم من الجهود المبذولة لتقديم المزيد من التنوع في العلاقات الدولية، مع استثناء مهم وهي نظريات ما بعد الاستعمار، فإنها - أي العلاقات الدولية - لا تزال غريبة وإن لم يكن بالتأكيد أمريكية.

ومع استمرار المركزية الأوروبية في التنظير وتحديد المبادئ والآليات الرئيسية للنظام الدولي (أوروبا الغربية بشكل أساسي، ولكن مع البصمة اللاحقة للولايات المتحدة)، بالإضافة إلى الأفكار والثقافة والسياسة والتجارب التاريخية والتطبيق العملي المعاصر، فإن ذلك ينعكس في مزيد من تجاهل واستبعاد وتمهيش الأفكار غير الغربية، فيما وصفه الكتاب بالعالمية الكاذبة، وهي الميل لعرض أو تقديم الأفكار الغربية والممارسات كمعيار عالمي، بينما يُنظر إلى الأفكار والممارسات غير الغربية على أنها خصوصيات ثقافية لا تصلح أن تكون عالمية.

وصفَ الكتاب أيضاً حالة المجتمع الدولي بالعنصرية المتضمنة في النسيان المستمر للدور الرئيسي الذي لعبه الغرب من خلال الاستعمار، فضلاً عن الانفصال بين نظرية العلاقات الدولية وتجربة العالم غير الغربي، وذلك على الرغم من أن العلماء الغربيين نادراً ما يعتبرون هذا عقبة أمام بناء النظرية.

وأخيراً يرى الكتاب أنه هناك حالة من الإنكار وعدم الاعتراف بدور الدول غير الغربية والمؤسسات الإقليمية والجهات الفاعلة في المجتمع المدني في المساهمة في النظام العالمي؛ حيث يُنظر إلى غير الغرب على أنهم مستهلكون، وليسوا منتجين، ومتلقون سلبيون وليسوا فاعلين نشطين، من الناحية النظرية.

في حين تشعر الصين وروسيا وتركيا ودول أخرى بثقة أكبر، لقد أضعفت الأزمة الاقتصادية الغرب مادياً، إضافة إلى إضعافه الليبرالي حيث تأكلت الأيديولوجية التي كانت تدعم سلطته. كما أن تزايد عدم المساواة بين الجنوب والشمال يشكك في التوافق بين الرأسمالية والديمقراطية، فالولايات المتحدة في عهد ترامب بدأت تشبه الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة في سنواته المتدهورة: فقد كان قوياً عسكرياً وغير قادر على استخدام هذه القوة لتحقيق تأثير جيد؛ وغير مثير للإعجاب اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وأيديولوجياً، فالافتراض الليبرالي بأن الديمقراطية هي المرافقة الطبيعية والحتمية للرأسمالية لم يعد ذا مصداقية، وبدأ الحديث عن قضايا الإرهاب والجريمة وحقوق الإنسان والهجرة، والأزمات العالمية المشتركة بما في ذلك عدم الاستقرار في الاقتصاد العالمي ومجموعة متنوعة من التهديدات البيئية، ومن ثم بدأ الحديث عن تعددية أكبر للمجال توجج الطلب على علاقات دولية عالمية.

● العلاقات الدولية ما بعد الغربية (التعددية العميقة):

يناقش الكتاب النسخة الأخيرة من العلاقات الدولية ويصفها بأنها ذات نواة متسعة، وأن القوى العظمى التي ستهيمن على المجتمع الدولي في العقود القادمة سوف تتطلع إلى الداخل إلى درجة وصفها "بالمتوجدة"، والمقصود بالتعددية هو المعنى الإيجابي لها وهو التنوع بدلاً من التجزئة بالمعنى السلبي؛ ولكن يظل التقدم نحو العلاقات الدولية المستقلة العالمية يواجه عقبات خطيرة، أهمها استمرار الهيمنة الغربية على العلم واستمرار العراقيل الاقتصادية في جنوب الكرة الأرضية التي تعوق التحقيق السريع لمشروع العلاقات الدولية العالمي، كما يوضح الكتاب أنه في هذه المرحلة أصبحت القوى العظمى الأكبر سناً مثل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي واليابان أضعف مادياً من ذي قبل و"غير قادرة أو غير راغبة بشكل متزايد في تولي زمام المبادرة لصناعة علاقات دولية عالمية" مع خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، بينما على صعيد آخر فعلى الرغم من أن

مدرسة كيوتو والعلاقات الدولية: محاولات غير غربية لنظام عالمي جديد

يمنى صلاح*

الغربية من خلال التركيز على التجربة الجسدية والحياة اليومية للناس.

كان الشغل الشاغل لمدرسة كيوتو هو محاولة المزاجية بين أفكار المثالية الأوروبية والميتافيزيقا والروحانيات المثالية الشرقية ولاسيما البوذية في محاولة لإبعادها عن ماديتها المفرطة، ولوضع مشروع فلسفي جديد قد يكون بديلاً لما هو كائن. ولكن مع الأسف، انخرط بعض أعلامها مع النظام الوطني المتطرف أثناء الحرب العالمية الثانية، فتلوّثت سمعتها وأثرت هذه العثرة الكبرى على مسارها سلبياً، فلم يدرس فكرها الثري بما فيه الكفاية.

● السياق التاريخي لنشأة مدرسة كيوتو:

لقد كان الخوف من غزو القوى الإمبريالية الأوروبية لليابان الدافع وراء تبني اليابان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر سياسة شاملة للتحديث في مسعى للحاق بركب الحضارة الغربية وتدارك الفجوة الحضارية مع الغرب. ولكن عملية محاكاة الغرب من قبل حكومة مييجي^(١) في عملية التحديث تمت إلى حدٍ كبيرٍ بالطريقة التي يمكن أن يُطلق عليها "الاستعمار الذاتي" حيث إن المسؤولين اليابانيين تبنوا نفس القوانين والمؤسسات السياسية والسياسات الاقتصادية التجارية الغربية، وطبقوها على السياق المحلي من خلال إعادة ترتيب جميع المؤسسات المحلية. وهذا التحديث الغربي الذي شهدته

مقدمة:

في كتابه "مدرسة كيوتو والعلاقات الدولية: محاولات غير غربية لنظام عالمي جديد"^(١)، يتناول كوسوكي شيميزو Kosuke Shimizu محاولة مدرسة كيوتو لتجاوز الهيمنة "الغربية" على بقية العالم وخلق "مجال عام" يضم جميع الأصوات المستبعدة ويعزز سياسات التعايش بين الثقافات المختلفة. ومن خلال إلقاء الضوء على الأسباب التي أدت إلى تعثر مدرسة كيوتو في تحقيق هذا الهدف، ينتهي الكاتب إلى أن أي محاولات لتجاوز "الغرب" مقدّر لها أن تتأثر بسياسات القوة ما دامت تتبني دون تمحيص المفهوم الأنطولوجي السائد للزمن التقدمي الخطّي (progressive linear temporality) وسردية الدولة القومية، وهذا ما يجب أن تنتبه إليه الاتجاهات المعاصرة في العلاقات الدولية، التي تسعى هي أيضاً إلى تخطي الهيمنة الغربية وتعزيز الحوار بين الشعوب المختلفة.

● ما هي مدرسة كيوتو؟

إن مدرسة كيوتو هي مدرسة فلسفية نشأت في جامعة كيوتو الإمبراطورية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، وتتألف المدرسة من عديد من الفلاسفة الذين طوّروا فلسفة وجودية يابانية مثل نيشيدا كيتارو، وتاناكي هاجيمي، ونيشيتاني كيجي، وكوساكا ماساكي، وميكي كيوشي، وتوساكا جون. وبالرغم من الاختلاف الفلسفي بين أعضاء المدرسة، فإن الأرضية المشتركة بينهم هي تركيزهم الحصري على إيجاد طرق لتجاوز الحداثة

* باحثة ماجستير في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة.

(1) Kosuke Shimizu, The Kyoto School and International Relations: Non-Western Attempts for a New World Order, (New York: Routledge, 2022).

(٢) المييجي، هي كلمة يابانية تعني حرفياً "الإدارة المُستنيرة"، وهي التسمية الرسمية التي أطلقت على فترة حكم الإمبراطور موتسوهيتو (١٨٦٨-١٩١٢ م) الذي بدأت في عهده حركة إصلاحية كبيرة عُرفت باسم Meji Restoration أو Meiji Ishin. وقد هدفت هذه الحركة الإصلاحية إلى إجراء تحديث شامل لكافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في اليابان، فضلاً عن الاهتمام ببناء دولة مركزية حديثة وتشكيل حكومات على نمط الحكومات الغربية. وقد أدت تلك الإصلاحات إلى تحوّل اليابان من دولة إقطاعية معزولة إلى دولة حديثة منفتحة على العالم.

بناؤها وفقاً لعلاقتها مع الآخرين والتجارب الخالصة التي تمرُّ بها.

ولكن بالرغم من انتقاده لفكرة الهويات الثابتة والمحددة سلفاً للفاعلين، فإنه كان يتعامل مع "الشرق" و"الغرب" كتصنيفات حتمية لا تقبل التغيير كما هو الحال في الخطاب الغربي الذي كان ينتقده، كما أنه لم يتساءل أبداً عما إذا كان ينبغي أن تكون الدولة هي الوحدة الحصرية التي تشكّل العالم.

أمّا القُطب الكبير الآخر في مدرسة كيوتو الفلسفية فهو تاناهاجي هاجيمي الذي سارَ على نفس خُطى نيشيدا من حيث محاولته المزاجية بين الفلسفة الغربية والشرقية، ولكنه وجّه من ناحية أخرى بعض الانتقادات لبعض التفاصيل والجزئيات التي انطوت عليها نظرية نيشيدا حيث قام بتقديم منطق جدلي ثلاثي للجنس البشري والأنواع والفرد كتوليفة بين الفلسفة الشرقية والغربية. وجادل تاناهاجي بأن "الأنواع" هي الوسيط بين التجربة الفردية وبين البشرية جمعاء وبين العالمية والخصوصية، وبين المجرّد والملموس، وهو ما كانت فلسفة نيشيدا تفتقده. على الرغم من أن تاناهاجي لم يذكر ذلك بشكل صريح فإنه كان يقصد بالأنواع الدولة القومية، وبعبارة أخرى، اعتبر تاناهاجي أن الدولة القومية هي الوسيط بين الأفراد والعالمية.

على الرغم من أن نيشيدا وتاناهاجي كانوا من أبرز رواد فلسفة مدرسة كيوتو وقدّموا إسهامات نظرية فلسفية قائمة على التوفيق والجمع بين الميتافيزيقا البوذية وأفكار فلاسفة الغرب وعلى الخصوص تكييف الوجودية التي كانت سائدة في أوروبا آنذاك مع الثقافة اليابانية التقليدية، فإن أفكارهم تمّ تحريفها من قبل النظام العسكري الياباني آنذاك لتدعيم الإمبريالية اليابانية.

● الجيل الثاني:

ضمّ الجيل الثاني من مدرسة كيوتو كلاً من نيشيتاني كيجي Nishitani Keiji، كوساكا ماساكي Kosaka Masaaki، كوياما إيواو Koyama Iwao، وسوزوكي شيجيتاكا Suzuki Shigetaka، وتلمذ فلاسفة هذا الجيل على يد الجيل الأول، نيشيدا وزميله

اليابان قد رفع مكانتها الدولية من "الآخر" البربري وغير المتحضّر إلى عضو في المجتمع الدولي مساوٍ إلى الدول الغربية. وعليه، وضعت اليابان نفسها في مكانة متقدّمة عن الدول غير الغربية الأخرى وأعطت لنفسها الحقّ في استخدام العنف ضدّ الآخر غير المتحضّر على غرار النموذج الغربي. وفي إطار هذه الظروف، نشأ الفكر الفلسفي لمدرسة كيوتو حيث أثار تحديث اليابان واستعمارها الذاتي ردّاً فعلٍ عنيفٍ من المثقفين المحليين، ومن ضمنهم فلاسفة مدرسة كيوتو، الذين حاولوا التوفيق بين عملية التحديث والتقاليد المحلية.

● الجيل الأول:

يشمل الجيل الأول من مدرسة كيوتو كلاً من نيشيدا كيتارو Nishida Kitarō وتاناهاجي هاجيمي Tanabe Hajime. وبشكل عام يمكن القول إن فلسفة الجيل الأول من مدرسة كيوتو تأثرت كثيراً بالبوذية وتركيزها على تحرير الناس من المعاناة؛ وبالتالي، كان هدف المدرسة في كتابات الجيل الأول هو فهم معاني الوجود في سياق معيّن وتحرير أولئك الذين يعانون من التجارب المأساوية والكارثية من خلال إعطاء معنى للوجود.

يعتبر نيشيدا مؤسس مدرسة كيوتو للفلسفة اليابانية وكان همُّه الرئيسي هو الإجابة على سؤال: ما هو الوجود؟ وقد طوّر نيشيدا كيتارو فلسفته عن الوجود في كتابه "دراسات في الخير"، الذي يُعتبر لبنةً أولى في صرح فلسفة يابانية وطنية، وقد ركّز كثيراً في هذا المؤلف على مفهوم "التجربة الخالصة Pure Experience" التي تعني الانتباه المباشر للواقع كما هو موجود. ويؤكّد نيشيدا على أن التجارب هي التي تبني الإنسان ولا وجود للإنسان قبل تجارب. وعليه، فعلى الرغم من هوية الفواعل والأشخاص قد تبدو متشابهةً لفترةٍ زمنيةٍ معيَّنة، فإنها عرضة للتغيير في كلّ لحظة بسبب تعرّضها لـ"تجارب خالصة" غير متوقّعة. وبالرغم من أن أفكار نيشيدا كان لها طابع فلسفي بحت، فإنها تشتبك بشكل أو بآخر مع الأسس الأنطولوجية للعلاقات الدولية حيث يرفض صورةً الجهات الفاعلة ذات الهويات الثابتة التي تفترضها نظرية العلاقات الدولية السائدة، ويؤكّد على فكرة العلائقية أي إن هويات الجهات الفاعلة يتمُّ

الحاضر. ووفقًا لفلاسفة الجيل الثاني، كانت هذه النقطة ضرورية في التمييز بين الحداثة الغربية والزمانية التقليدية اليابانية. ومع ذلك، في فلسفتهم السياسية، تمّ التغافل عن فكرة اللاخطية فجأة وأصبحت اليابان الأمة الوحيدة التي فهمت تمامًا كيف يعمل العالم، ولهذا فإن اليابان أفضل من الدول الآسيوية الأخرى؛ ونتيجة تلك الأفضلية، فإن اليابان لديها التزام أخلاقي بتأديب وتدريب الدول الآسيوية "الأخرى" لتصبح مثل اليابانية. في هذه اللحظة بالذات، تحوّلت الزمانية غير الخطية إلى زمن خطي تقدّمي، وتحوّلت القصة الجميلة لأخلاق "الشمولية" و"الانسجام" التي هدفوا إلى تحقيقها إلى إمبريالية فظّة.

● يسارنو مدرسة كيوتو:

يُعدُّ كل من توساكا جون وميكي كيوشي من الشخصيات الرئيسية لما يسمّى أحيانًا "الجناح اليساري لمدرسة كيوتو". وذلك لأنه لم تقتصر إسهاماتهم على محاولة التوفيق بين الوجودية وأفكار المدارس المثالية الفلسفية الأخرى وحسب، وإنما بادروا بشرح الماركسية من منطلقات وجودية وتقديم نقدٍ لاذعٍ إلى الرأسمالية. استخدم ميكي كيوشي، العلاقة بين الخيال والتاريخ لتوضيح رؤيته لمستقبل المجتمع. فعلى غرار فكرة نيشيدا عن "التجربة الخالصة"، بنى ميكي فلسفته على فكرة "التجربة الأساسية". ينظر ميكي إلى هذه التجربة على أنها تجربة أولية خام، قبل إضفاء أيّ معانٍ عليها من قبل اللغة، وهذا هو الإطار الأساسي لفلسفة ميكي، وقد استخدمه وطبّقه باستمرار في سياقات مختلفة. أمّا فلسفة توساكا عمومًا فتعدُّ نقدًا لفلسفة مدرسة كيوتو السائدة. حيث يرى توساكا أن مشكلة العسكرية والإمبريالية في اليابان تنبع من غياب الجمهور / عامة الناس من الخطابات والأفكار الفلسفية التي يطرحها المثقفون اليابانيون، وأن معظم الإسهامات الفكرية في اليابان لا تمتُّ بصلة بحياة الناس اليومية. ولذلك، دعا توساكا إلى ما يعرف بـ"تعميم العلوم" أي التفكير العلمي من منظور الأشخاص العاديين. وباستخدام هذا الفهم للحياة اليومية، يمكن للمرء أن ينتقد الروايات الميتافيزيقية السائدة، وبالتالي يؤسس أساسًا

تاناهاي هاجيمي، وتمثّل إسهامهم الأساسي في تطوير ما عُرف باسم "فلسفة تاريخ العالم". رأى هذا الجيل أن المشكلة الكبرى التي تواجه الحضارة الغربية هي الانحلال الأخلاقي الذي أدّى إلى حدوث العديد من الأزمات مثل الحرب العالمية الأولى والكساد العظيم. وللتغلّب على هذه المشكلة، ارتأى فلاسفة هذا الجيل أن العالم بحاجة إلى قوة جديدة متفوّقة أخلاقياً ألا وهي اليابان. واستنادًا إلى ذلك، فإن لليابان "مهمّة تاريخية" لتغيير العالم على أساس "الطاقة الأخلاقية الجديدة للشرق"، والتي من المفترض أن تعزّز التعايش بين التقاليد المختلفة. ومن هذا المنطلق، لم تكن مواجهة الحداثة الغربية حتميةً فحسب، بل كانت مرغوبة أيضًا. ولهذا، لم يكن اندلاع الحرب شيئًا مثيرًا للقلق بالنسبة لهم، ولكنه شيء يجب الاحتفال به.

وكان الجيل الثاني أكثر انخراطًا في عالم السياسة من الجيل الأول حيث كانوا من أكبر داعمي النظام الإمبريالي برُمته والتوسّع الإقليمي لليابان في آسيا وكذلك أيدوا الصراع المسلح ضدّ الولايات المتحدة والصين خلال الحرب العالمية الثانية. والجدير بالذكر أنه بعد انتهاء الحرب تمّ معاقبتهم كمجرمي حرب لتعاونهم مع الإمبريالية. ولا يزال مدى نيّتهم التعاون مع الحكومة الإمبريالية موضع نقاش وجدال، ولكن ممّا لا شكّ فيه أنهم كانوا من ضمن المؤيدين المتحمسين للحرب العالمية الثانية.

ومع ذلك، يمكن الوقوف على عددٍ من التناقضات في فلسفة الجيل الثاني من مدرسة كيوتو، خاصة طرحهم المتعلّق بالزمانية. فوفقًا للتقاليد الفلسفية الشرقية، ومن ضمنها البوذية التي تأثّر بها مدرسة كيوتو، فإن الزمن غير خطّي أو دائري، أي إن حركة الزمن دائرية، وهو ما يعني أن الزمن يسير في حلقة مفرغة. الليل يأتي في أعقابه النهار ثم يعود الليل مرة أخرى، والشتاء ينقضي ليأتي الصيف ثم تعود دورة الحياة لتكرّر نفسها. أما بالفلسفة الغربية، فإنها تتبني فكرة خطية الزمن، أي إن الزمن يبدأ ببداية ونهاية محددة ويسير وفقًا لخطّ مستقيم ويتقدّم بصورة خطيّة مباشرة من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل، وأن التاريخ يسير بشكل تقدّميّ، فالحاضر لا بدّ أن يكون أفضل من الماضي، والمستقبل لا بدّ أن يكون أفضل من

الغرب على حساب الاهتمام بالحياة الملموسة للشعوب العادية، على الرغم من أن ذلك كان الهدف الأساسي من فلسفتهم. أما عن ماروياما ماسا، فقد انتقد اعتماد فلسفة مدرسة كيوتو على البوذية ورأى أن الفلسفة البوذية لم توفر سوى مكاناً للأقطاب المختلفة للتعايش بجانب بعضها البعض، ولكنها لم تروّج أبداً للحوار فيما بينها، وهذا هو السبب الرئيسي، وفقاً لماروياما، في أن فلاسفة مدرسة كيوتو انتهى بهم الأمر بالمشاركة في الحرب.

والخلاصة، أنه مثلت فلسفة مدرسة كيوتو نقطة مرجعية لمفكري ما بعد الحرب، سواء من حيث تأثرهم بمفهوم التجربة الجسدية في فهم العالم المعاصر وغياب الاهتمام بالحياة اليومية للناس، أو من حيث الرغبة في تعزيز الحوار بين التقاليد المختلفة، ولذلك، من الممكن القول أن فلسفة مدرسة كيوتو لا يزال لها تأثير هائل على المفكرين اليابانيين.

● خاتمة:

من خلال دراسة فلسفة مدرسة كيوتو، يحاول هذا الكتاب الإجابة على السؤال التالي: ما الذي يمكن أن يتعلمه باحثو العلاقات الدولية في القرن الحادي والعشرين من تجربة مدرسة كيوتو؟

ويمكن تلخيص الإجابة في النقاط التالية:

أولاً، إن مفهومي التعددية والحوار أساسيان في تعزيز السلام والاستقرار في عالمنا المعاصر المثير للانقسام، حيث تخلق التعددية والحوار بين وجهات النظر المختلفة مساحةً مشتركةً يتم فيها تضمين جميع الأصوات المستبعدة. وعليه، تصبح ثنائية "الغربي" و"غير الغربي" بلا معنى. وقد حاول فلاسفة مدرسة كيوتو معالجة مشاكل الحداثة الغربية مثل تراجع الهيمنة، والاقتصاد الليبرالي الساحق، واغتراب الأفراد، والانقسام بين من يملكون ومن لا يملكون، والشعور بعدم اليقين وعدم القدرة على التنبؤ. ولكن بينما كان فلاسفة مدرسة كيوتو يطمحون إلى الوصول إلى عالمٍ حُرٍّ ومفتوح قائم على التعددية والحوار، فقد آل بهم المطاف في النهاية إلى صياغة

معرفةً أكثر صرامة. يمكن القول إن تركيز توساكا المستمر والحصري على الحياة اليومية للأشخاص العاديين، وموقفه النقدي القوي تجاه الفلسفة المثالية أنتج تصوّراً مختلفاً تماماً عن اليابان والعالم. في الواقع، فإنه في تحليل العلاقة بين اليابان والعالم، نادراً ما كان يستخدم مصطلحات الغرب أو الشرق وإنما كان تركيزه الأكبر على تحليل العلاقة الطبقية بين البرجوازية والجماهير.

● فلسفة مدرسة كيوتو في عصر ما بعد الحرب:

في الجزء الأخير من الكتاب، يتعرّض الكاتب بشكل موجز إلى إسهامات بعض المثقفين في فترة ما بعد الحرب الذين ورثوا تركيز مدرسة كيوتو المستمر على الحياة اليومية والتجربة الجسدية وفكرة العلائقية، وانتقدوا بعض جوانب القصور في فلسفتهم، وأضافوا عليها مثل تاكوتشي يوشيمي وهيروماتسو وatarو وماروياما ماساو. اهتمّ تاكوتشي يوشيمي بتحليل "الوجود" الغربي وأسباب الهيمنة الغربية على آسيا من خلال النظرية العلائقية التي جاءت في فكر نيشيدا. يرى تاكوتشي دائماً أن الحفاظ على وجود "الغربي" يحتاج دائماً إلى "غير الغربي" لاستمرار وجوده. فمن دون مقابلة "الغربي" بـ"غير الغربي"، فلن يصبح "للغربي" وجود. ومن نفس المنطلق، فإن ظهور ما يسمّى بـ"العلاقات الدولية غير الغربية" هو بالأساس تأكيد على الوجود الغربي، لأن وجود نظريات غير غربية للعلاقات الدولية يتطلب بالأساس وجود نظريات غربية أولاً. وهذه الحقيقة تبني وتعيد بناء «الغرب» باعتباره نقطة المرجعية الأساسية والعالمية. وبالتالي طالما يتم النظر من ثنائية الغربي / غير الغربي، سيبقى الغرب دائماً موجوداً ودائماً متقدماً على الشرق وفقاً للخريطة الزمنية التقدمية. كان هيروماتسو وatarو، الفيلسوف الماركسي البارز في اليابان، مثقفاً آخر في فترة ما بعد الحرب الذين اهتموا ببارث بمدرسة كيوتو للفلسفة. على الرغم من أن هيروماتسو وatarو قد أشاد بمحاولة مدرسة كيوتو مقاومة الإمبريالية الغربية وهيمنتها على بقية العالم، فإنه انتقد عدم اهتمامهم بالحياة الملموسة للناس. وبعبارة أخرى، يرى هيروماتسو بأن فلاسفة مدرسة كيوتو، انشغلوا بالانقسام بين الغرب وغير

مثلما فعلت مدرسة كيوتو. وبالتالي نحن بحاجة إلى إعادة النظر في اللغة والمفاهيم الجيوسياسية المكانية بطبيعتها التي نستخدمها، مثل "اليابان" و"الصين" و"الغرب" إذا أردنا المضي نحو إيجاد علاقات دولية أكثر تعددية.

ثالثاً، علينا أن نكون حذرين من إمكانية تحوُّل سردية اللاخطية الزمانية، إلى الزمانية الخطية كما في حالة مدرسة كيوتو، حيث تمَّ التغافل عن فكرة اللاخطية، خاصة في فكر الجيل الثاني، حين جادلوا بأن اليابان أفضل من الدول الآسيوية الأخرى، وبالتالي لديها التزام أخلاقي بتأديب وتدريب الدول الآسيوية "الأخرى" لتصبح مثل اليابان. أما نيشيدا وتاناهاشي وميكي فلم يكن هدفهم من البداية دعم الهيمنة الإمبريالية اليابانية على الدول الآسيوية الأخرى، إلا أنهم قد دعموا الإمبريالية اليابانية عن غير قصد من خلال تبني الزمنية الخطية لخطاب التحديث / الحضارة في فلسفتهم. وكان توساكا الفيلسوف الوحيد في المدرسة الذي تمكَّن من تجنب سلطة الإمبريالية على فكره من خلال التركيز على حياة الناس اليومية. وبالتالي لا بدَّ من الانتباه إلى تأثير السرديات السائدة في العلاقات الدولية سواء فكرة التقدم أو الزمنية الخطية على أيِّ محاولات لتجاوز هذه السرديات. فعدم الانتباه إلى تأثير تلك السرديات المهيمنة قد يجعل السرديات النقدية تحيد عن هدفها في نقد هذه السرديات المهيمنة، بل وقد ينتهي بها المطاف إلى تبنيها وتأكيداها عن دون قصد.

وفي النهاية، لا يزال الغموض يُلْفُ المدرسة، ولا زالت آراء المتخصِّصين متضاربة حولها، ولكن ممَّا لا شكَّ فيه أن مدرسة كيوتو هي أهم أعلام الفلسفة الوجودية اليابانية وسوف تظلُّ فلسفتها جهداً فكرياً مرموقاً تحدّي الهُوَّة الفاصلة بين الشرق والغرب.

فلسفة متغلقة ومنعزلة عن الآخرين، يفتقرون فيها إلى الحوار والتعاون، حيث إنهم لم ينخرطوا أبداً مع الغربيين، ناهيك عن "الآخرين" الآسيويين. وعليه، أصبحت الخطابات الفلسفية لمدرسة كيوتو مجردة ومنفصلة عن حياة الناس الملموسة، على الرغم من إصرارهم المستمر على أهمية تضمين حياة الناس اليومية في فلسفتهم.

ثانياً، من السذاجة للغاية القول إن مجرد إدخال هويات وأفكار مختلفة غير مهيمنة على المستوى المجرد في خطاب العلاقات الدولية سيحلُّ تلقائياً مشكلة الافتقار إلى التعددية. فإن تجربة مدرسة كيوتو تكشف لنا أهمية النظر في "اللغة" التي يتمُّ استخدامها. فقد أُجبرت مدرسة كيوتو بطريقة ما على استخدام لغة وستفاليا، اللغة الموجودة، بما تحمله من افتراضات محدَّدة مسبقاً للتقسيم الجغرافي، وسيادة الدولة، والدولة القومية باعتبارها الفاعل الرئيسي، والحكم الذاتي والتماسك الداخلي لكل دولة. ولهذا لم تستطع المدرسة تحقيق هدفها المتمثِّل في تجاوز الهيمنة الغربية على بقية العالم. وفي الواقع، فإن تبني خطاب الدولة القومية على أنها الفاعل الرئيسي، والحفاظ على سيادة الدولة كهدف أساسي، أصبح شرطاً أساسياً لقبول العضوية في عضوية "دائرة العلاقات الدولية" وعليه فإن السرديات والخطابات المختلفة التي تُنادي بعلاقات دولية غير غربية يمكن أن تُقبل وتحصل على مشروعية في حقل العلاقات الدولية فقط من خلال تبني سردية وستفاليا عن الدولة القومية، ومن دون ذلك لن يُعتدَّ بها كإسهام مختلف في حقل العلاقات الدولية. ولذلك، فإن الكثير من باحثي العلاقات الدولية اليوم يضطرون إلى تبني الافتراضات والانقسامات المضمَّنة في لغة وستفاليا التي تركز على الدولة، حتى لو كانوا ينتقدون الوضع الحالي للشؤون العالمية، تماماً